AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

N. MAKHOUL
BINDERY
14 OCT 1972
Tel. 260458

892.7
Sh5985sA
V.3
C.3

الشوقيات

892.78
Sh5985sA
1950
V.3
C.1

للمرحوم

أحمد شوقي بك

الجزء الثالث

المراثي

١٣٧٠ هـ — ١٩٥٠ م

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

شارع نوبار باشا رقم ١٢

[جميع الحقوق محفوظة للمؤلف]

سليمان باشا أباظه(*)

مَن ظنّ بعدكَ أن يقول رثاء ... فليَرْثِ مِن هذا الورى مَن شاء

فَجع المكارمَ فاجعٌ فى رَبِّها ... والمجدَ فى بانيهِ والعلياء

ونعَى النعاةُ إلى المروءة كنزَها ... وإلى الفضائل نجمَها الوضّاء

أأبا محمدٍ آتّئد فى ذا النوى ... وآرفُق بآلك وآرحمِ الأبناء

واستبق عِزَّهم (بطهراء) التى ... كانوا النجوم بها وكنتَ سماء(١)

أدجى بها ليلُ الخطوب وطالما ... مُلئت منازلُها سَنًى وسَناء(٢)

وإذا سليمان استقلَّ محلة ... كانت بساطًا للندى ورجاء(٣)

فآنظر من الأعواد حولك هل ترى ... من بعد طِبّك للنُفاة دواء(٤)

سارت جنازةُ كلِّ فضلٍ فى الورى ... لما ركبتَ الآلة الحَدْباء(٥)

(*) سليمان باشا أباظه : أحد سراة مصر الكبار ، وكان فى حياته كبير الأسرة الأباظية الشهيرة ، وقد أسندت إليه وزارة المعارف العمومية سنة ١٨٨٢ ، وتوفى سنة ١٩٠١

(١) طهراء : علم على بلدة الفقيد ، وهى من أعمال إقليم الشرقية بمصر .

(٢) تدجى الليل وأدجى : كلاهما بمعنى أظلم . والسنى ـ بالقصر ـ : الضوء . والسناء ـ بالمد ـ : الرفعة .

(٣) المحلة فى الأصل : هى الناحية التى ينزل بها القوم ، ولا تقل عن مائة بيت ، والمراد هنا بقوله « استقل محلة » أى إنه كان عميدها المنفرد بزعامتها وبالعمل لرفعتها .

(٤) الأعواد : جمع عود ، يطلق على المنبر ، وعلى السرير للحى أو الميت . وكان رجل من العرب يلقب « ذا الأعواد » لأنه كان يحمل دائما فى سرير . والشعراء العظماء يستعملون الأعواد للموتى وقلما يستعملون النعش ، تعظيما للموت وتكريما للميت . قال الشريف الرضى : أرأيت من حملوا على الأعواد ... الخ . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل أو رزق .

(٥) الجنازة ، بكسر الجيم وفتحها ؛ وقيل بالكسر : هى الميت ، وبالفتح : هى النعش وقيل بالعكس ، وأرجح تعريف يتناسب مع مألوف عصرنا هو إطلاقها بالكسر على سرير الميت والمشيعين له . والآلة الحدباء : كناية عن النعش ، وشكله أحدب كما هو معروف

وئيـتَمَ الأيتـــامُ أول مرة ورَمى الزمانُ بِصَرْفه الفقراءَ[1]

ولقـد عَهِدتُكَ لا تُضيِّع راجيًـا واليومَ ضـاع الكلُّ فيك رجاءَ

وعلمت أنك مَن يَوَدُّ ومَن يَفِى فقف الغـداةَ لو استطعتَ وفاءَ

وذكرتُ سعيَك لى مريضًا فانيًا فجعلتُ ســعيَ بالرِّثاء جزاءَ

والمرء يُذكَر بالجمائل بعده فارفَع لِذِكْرِكَ بالجميـل بِناءَ[2]

واعلم بأنك سـوف تُذكر مَرَّةً فيقالُ أحسنَ أو يقالُ أساءَ

أبَنِيه كونوا للعِدَى من بَعْدِه كيدًا وكونوا للولىّ عَزَاءَ

وتجلَّدُوا لِلْخَطْب مثـلَ ثباتِه أيامَ كان يُدافع الأَرْزاءَ

واللهِ ما مات الوزيرُ وكنتمُ فـوق التراب أعزَّة أحيـاءَ

---

(١) صرف الزمان : نوائبه وحدثانه .

(٢) جمائل : جمع جميلة ، والمقصود أن المرء يذكر بصنيعته الجميلة أو بمأثرته الجميلة ، فحذف الموصوف ثم جمع الصفة واستعملها . أقول وهذه صنعة قصد بها التجميل الفنى فى الكلام بذكر الجمائل والجميل فى البيت .

مصطفى باشا فهمى (*)

يأيها النّاعى أبا الوُزَرَاء ... هذا أوانُ جلائلِ الأنباءِ
حُثَّ البريد مشارقا ومغاربًا ... وأركبْ جناحَ البَرْق فى الأرجاء (١)
واستبكِ هذا الناسَ دمعًا أو دَمًا ... فاليومُ يومُ مدامع ودماء
لم تَنْعِ للأحياءِ غيرَ ذخيرةٍ ... ولّت وغيرَ بقيَّة الكبراء
رُزء البرية فى الوزير زيادةٌ ... فيما ألمَّ بها منَ الأرزاء
ذَهبت على أثرِ المشيَّع دولةٌ ... برجالها وكرائم الأشياء
نَدمانُ (إسماعيلَ) فى آثاره ... ذهبوا ، وتلك صُبابةُ النُدماء (٢)
وُلِدوا على راحِ العلا وترعرعوا ... فى نعمة الأملاك والأمراء
أودى الرَّدى بمهذَّب لا تنتهى ... إلّا إليه شمائلُ الرؤساء
صافى الأديم أغرّ أبلج لم يَزِدْ ... فى الشيْبِ غيرَ جلالةٍ ورُواء (٣)
مُتجنب الخُيلاء إلا عزّةً ... فى العزّ حُسْنٌ ليس فى الخيلاء

(*) مصطفى باشا فهمى : كان إلهاما موفقا لأمير الشعراء حين كناه بأبى الوزراء فهو والد الزعيمة العظيمة صفية زغلول زوجة الزعيم الخالد سعد زغلول ، وكان ياورا للخديو إسماعيل ، ووزيرا فى عهد توفيق ، فرئيسا للوزارة . ثم استقال ثم عاد للرآسة ولم يتركها إلا لمرضه قبيل الحرب ، وقد توفى أول سنة ١٩١٤ م .

(١) البريد : كلمة فارسية ، معناها القطع ، كانوا يقطعون أذناب وأعراف الخيل المستعملة لنقل رسائلهم علامة لها حتى لا يعوقها أحد فى الطريق ، وأول اصطناع العرب لهذه الطريقة كان فى زمن معاوية ، وكانوا يسمون الخيل المستعملة فى ذلك خيل البريد ، ونحن نطلق كلمة البريد على رسائل البوستة وغيرها كما هو معروف ، والمقصود بقوله « حث البريد » « واركب جناح البرق » ، هو الأمر للناعى بإذاعة النعي فى الدنيا بأسرع وسائل الإذاعة ، والغرض من ذلك هو إظهار ما للنعى من قيمة وخطر وعلو شأن .

(٢) الندمان ـ بفتح النون الأولى ـ : جمع نديم ، وهو الظريف الكيس أو المجالس على الشراب . وإسماعيل : هو سمو الخديو إسماعيل .

(٣) الرواء فى المرء : هو مظهر السيادة والعظمة .

عَفُّ السرائرِ والملاحظِ والخُطا ... نَزِهِ الخلائق طاهرِ الأهـواء(١)

مُتدرِّعٍ صَبْرَ الكرامِ على الأذى ... إن الكرامَ مشاغلُ السفهاء

نَقموا عليه رأْيَهُ وصنيعَه ... والحُكمُ للتاريخ فى الآراء

والرأْىُ إن أَخْلصتَ فيه سريرة ... مثلُ العقيدةِ فوق كلِّ مِراء(٢)

وإذا الرجالُ على الأمور تعاقَبوا ... كشفَ الزمانُ مواقفَ النُّظَراء

يأيُها الشيخُ الكريمُ تحيةً ... أَنْدَى لِقَبْرِكَ من زُلالِ الماء

هذا المصيرُ ، أكان طولَ سلامةٍ ... أَمْ لم يكنْ إلَّا قليلَ بقاء

ماذا ٱنتِفاعُك بالليالى بعدما ... مرَّت بك السبعون مرَّ عشاء(٣)

أوْ بالحياةِ ، وقد مشى فى صفوها ... عادِى السنين وعاثَ عادِى الداء

من لم يطبِّبْه الشَّبابُ فَداؤُه ... حتى يغيِّبه بغيرِ دَواء

قَسماتُ وجهِك فى التُّرابِ ذخائرٌ ... من عفَّةٍ وتكرُّم وحياء(٤)

ولكم أغارَ على مُحيَّا ماجدٍ ... وَطوَى مَحاسنَ مَسمح معطاء(٥)

كم مَوقفٍ صَعبٍ على من قامه ... ذلَّلتَه ونهضتَ بالأعباء

كِبْرُ الغَضَنفَرِ يومَ ذلك زادَه ... من نَخْوة وحَمِيَّةٍ وإباء(٦)

---

(١) الملاحظ : جمع ملحظ ، اسم مكان لما تقع عليه اللحاظ . يقول : إنه عفيف القلب وعفيف الأعين فلا يقع لحظه على الريب .

(٢) المراء : الجدل .

(٣) يقصد سبعين عاما ، ولكنه فى استعمال لفظ السبعين يجرى مجرى العرب الفصحاء فى استعمال هذا اللفظ للدلالة على الكثرة فقط لا العدد بعينه ، وفى هذا الباب جاء القرآن الكريم : (إن تستغفر لهم سبعين مرة) فليس المقصود عدد الاستغفار ولكن يراد الدلالة على كثرته .

(٤) القسمات : ملاح وتقاسيم الوجه .

(٥) مسمح — بفتح الميم — : واسع السماحة ، وفى القاموس المحيط : « يقال إن فيه لمسمحا ، كمسكن ، أى متسعا » . والمعطاء : كثير العطاء .

(٦) الغضنفر : اسم من أسماء الأسد .

من يَكْذب التاريخَ يَكذب رَبَّه ... ويُسىء للأمواتِ والأحياء

السلم لَوْ لم تودِ أمْسِ بِجُرْحِها ... أوْدَتْ بهذى الطَّعنَةِ النَّجلاء[1]

لو أُخِّرَتْ فى العيشِ بعدكَ ساعة ... لَبَكَتْ عليك بمَدمع الخنساء[2]

أُنفضْ غُبَارَكَ عنك وانظر هل ترى ... إلا غبارَ كتيبةٍ ولِواء

ياوَيْحَ وجهِ الأرضِ أصبحَ مأتما ... بعدَ الفوارس من بنى حواء

مِن ذائدٍ عن حوضه أو زَائدٍ ... فى مُلْكِه من صَولةٍ وَتَراء

أوْ مانع جارًا يُنَاضِلُ دونَه ... أو حافظٍ لِعهودِه مِيفاء[3]

يتقاذفُون بذاتِ هولٍ لم تَهبْ ... حَرم المسيح ولا حِمَى العَذراء[4]

من مُحْدَثاتِ العلم إلا أنَّها ... إثْمٌ عَواقبُها على العلماء

***

لهفى على رُكْنِ الشيوخ مُهدَّما ... والحاملاتِ الثكل واليُتَماء[5]

وعلى الشباب بكل أرض مَصرعٌ ... لهمُ وهُلكٌ تحتَ كلِّ سماء

خرجوا إلى الأوطان منْ أرواحِهم ... كرمٌ يليقُ بهم ومَحْضُ سخاء[6]

---

(١) يشير إلى اتفاق موته مع نشوب الحرب العالمية ، كأنه يقول : إن اتفاق موت المرثى مع نشوب الحرب لم يكن إلا لأن المتوفى كان سلما لقومه يشبه السلم العام للناس ، فهو والسلم توأمان .

(٢) يقول فى هذا البيت : إن السلم لو عاشت بعد الفقيد ساعة لبكت عليه بمدمع الخنساء ، وهى شاعرة عاشت فى صدر الإسلام اشتهرت بمراثيها فى أخيها صخر . وهذا البيت تأكيد لمعنى البيت قبله .

(٣) ميفاء : كثير الوفاء .

(٤) بذات هول : أى مقذوفات موصوفة بأنها ذات هول ، وهذا من باب إقامة الصفة مقام الموصوف .

(٥) الثكل : فقد الأبناء . واليتماء : من اليتم . وهو فى الناس فقد الأب ، ويكون فى غير الناس فقد الأم .

(٦) المحض : الخالص من كل شيء .

من كلِّ بانٍ بالمنيَّةِ فى الصِّبا ... لم يَتَّخِذْ عِرْسًا سِوى الهيجاء[1]

المُرْضِعات سَكَبْن فى وِجْدانِه ... حُبَّ الدِّيار وبغضةَ الأعداء

وقررْنَ فى أذُنَيْهِ يومَ فِطَامِه ... أنَّ الدماءَ مُهورةُ العلياء

***

أأَبَا البناتِ رُزِقْتَهنَّ كرائمًا ... ورُزِقْتَ فى أصهارِكَ الكرماء

لا تَذْهَبَنَّ على الذكورِ بِحَسْرةٍ ... الذكرُ نعمَ سُلَالة العظماء

وأرى بُناةَ المجد يثلم مجدهم ... ما خلفوا من طالح وغثاء[2]

إنَّ البنات ذخائرٌ من رَحمةٍ ... وكنوزُ حبٍّ صادقٍ ووفاء

والسَّاهراتُ لِعلَّةٍ أو كبرةٍ ... والصابرات لشدَّةٍ وبلاء

والباكياتُك حينَ ينقطعُ البكا ... والزَّائراتُكَ فى العَرَاء النائى[3]

والذَّاكِرَاتُك ما حَيِينَ تَحَدُّثًا ... بسَوَالِفِ الحُرماتِ والآلاء

بالأمس عزَّاهنَّ فيكَ عَقائلٌ ... واليومَ جَامَلَهُنَّ فيك رثائى

وأبيكَ ما الدنيا سِوى مَعْروفِها ... والبرّ ، كلُّ صنيعةٍ بجزاء

أَجَزِعن أن يجرى عليهنَّ الذى ... مِنْ قبلهنّ جرى على « الزهراء »[4]

عذرًا لهنّ إذا ذَهَبْنَ مع الأسى ... وطلبن عند الدمع بَعْضَ عزاء

ما كلُّ ذِى ولَدٍ يُسمَّى والِدًا ... كم من أبٍ كالصخْرةِ الصَّمَّاء

هَبْهُنّ فى عقل الرجال وحلمِهم ... أقلوبُهنّ سوى قلوبِ نِساء؟

---

(١) يقال : بنى على فلانة ، إذا اتخذها زوجة . والعرس ـ بكسر العين ـ : الزوجة يصف هذا الشباب السخى بروحه للأوطان بأنه يألف الحروب ويحبها كما يحب غيره من الناس الزوجات والعرائس والعيشة الوادعة .

(٢) الغثاء ـ بضم الغين ـ : الفاسد . (٣) الخلاء : البعيد ويعنى به هنا : القبور .

(٤) الزهراء : فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلوات الله عليه . والذى جرى عليها هو موت أبيها سيد الخلق .

أبو هيف بك(*)

اجعَلْ رِثاءكَ للرجال جَزاءَ ... وابعثْهُ للوطن الحزين عَزَاءَ
إن الديار تُريقُ ماء شئونها ... كالأمهات وتندُبُ الأبناء(١)
تُكل الرجال من البنينَ وإنما ... تُكلُ الممالكِ فقدُها العلماء
يجزَعنَ للعَلَمِ الكبير إذا هَوى ... جَزَعَ الكتائبِ قد فَقَدْنَ لِوَاء(٢)
عَلَمُ الشريعةِ أدركتْهُ شريعةٌ ... للموتِ يَنْظِمُ حُكْمُها الأحياء(٣)
عانَى قضاء الأرضِ عِلْمَ مُحصِّلٍ ... واليومَ عالجَ للسماء قَضاء
ومضى وفيه من الشبابِ بقية ... للنَّفْعِ أرْجَى ما تكونُ بقاء
إن الشبابَ يُحبُّ جَمًّا حافلاً ... وتحبُّ أيامُ الشبابِ مِلاء(٤)
بالأمسِ كانت لابن هَيْفٍ غَضْبَةٌ ... للحق تَذْكُرُها يداً بَيضاء(٥)
مَشَتِ البلادُ إلى رسالة (ملنر) ... وتحفزتْ أرضاً لها وسماء(٦)

(*) هو فقيد العلم والقانون عبد الحميد بك أبو هيف ، شغل منصب الأستاذ بكلية الحقوق ومنصب القيم على دار الكتب المصرية ، وقد وقف فى معارضة مشروع ملنر موقفا قانونيا لامعا . فاقترن اسمه من ذلك الحين بأعلام المجاهدين الكبار فى قضية البلاد ، وقد توفى سنة ١٩٢٦ .

(١) ماء الشئون : الدموع .

(٢) الكتائب : جمع كتيبة ، وهى الجماعة أو الفرقة من الجيش لها لواء ، أى رئيس تلتف وحدتها حوله

(٣) الشريعة : القانون .

(٤) الملاء : الأغنياء المتمولون ، الواحد منهم ملىء . ومن معانى الملاء أيضا : الحسنو القضاء : يقول : إن الشباب يحب كثيرا على أى حال ، ولكن أيام الشباب يحبين أكثر وهن فى غنى من المال الكثير ومن تولى المناصب ، كالحال فى شباب الفقيد :

(٥) يريد غضبته على مشروع ملنر وموقفه فى طليعة معارضيه .

(٦) المورد ملنر : هو أحد وزراء إنجلترا ، ورسالته التى مشت البلاد إليها وتحفزت لها : هى تقريره المشهور ، بعث من لندن مع أربعة من رجالات مصر الساسة ، وكادت البلاد تتأثر بهذا المشروع لولا الفقيد ومعه نفر قليل جدا قاموا بحملتهم ضده ، وفى هذه الحملة نشر الفقيد بحوثا قانونية فى تفنيد المشروع كانت من أهم مراجع رجال السياسة فى رفضه بعد .

فلمحتُ أعرجَ فى زَوايا الحق لم أعلَمْ عليه ذِمَّةً عَرْجاء[١]

ارتدَّتِ العاهاتُ عن أخلاقه لسموِّهِنَّ وحلَّتِ الأعضاءَ

عَطَفَتْهُ عَطْفَ القوس يوم رِمايةٍ وثَنَتْهُ كالماضى فزَادَ مَضاء[٢]

لما رأى (التقريرَ) ينفُثُ سُمَّهُ سَبَقَ الحُواةَ فأخرجَ الرُّقْطاء[٣]

هَتَكَ الحماية والرجالُ وراءَها يتلَمَّسون لها السُّتور رِياء

ما قَبَّحوا بالصبح من أشباحِها زَاحوا إليك فحسَّنوه مساء

يا قيِّمَ الدارِ التى قد أُخرِجَتْ للمُدْلِجين منارةً زَهراء[٤]

وترى لديْها الواردِين فلا ترى إلا ظِمَاً ينزلون رُواء[٥]

وتجالِسُ العلماء فى حُجراتها وتُسامرُ الحكماء والشعراء

تكفيكَ شيطانَ الفراغِ وتَعتنى بالجاهلين تردُّهم عقلاء

دارُ الذخائرِ كنت أكملَ كُتْبِها مجموعةً وأتمَّها أجزاء

لما خلت من كنز علمك أصبحت من كل أعلاق الكنوزِ خَلاء[٦]

هزَّ الشبابُ إلى رثائك خاطرى فوجدتَ فِىَّ وفى الشباب وفاء

---

(١) كانت ساق الفقيد مبتورة ، وكان يمشى على ساق صناعية .

(٢) فى هذا البيت وصف لهيئة الأعرج ، بلغ من جماله أنه قد يحبب المشية العرجاء للناس فتأمل . والماضى : السيف .

(٣) قوله « سبق الحواة فأخرج الرقطاء » لا يمكن أن يكون هناك أبلغ فى الإعجاز وأدق فى الإيجاز من هذا الكلام ، فقوله « سبق الحواة » صورة كاملة تريك كيف وثب الفقيد فوقف أمام المشروع كما يثب الحاوى فيقف أمام جحر الحية . وقوله « فأخرج الرقطاء » أعظم ما يمكن فى تصوير ذلك المشروع ، فقد نبه على اسم الكامن فيه بالرغم من جماله الظاهرى ونعومته الشبيهة بنعومة الحية .

(٤) الدار ، هى دار الكتب المصرية ، وكان الفقيد يشغل منصب مديرها .

(٥) الرواء : الماء الكثير .

(٦) أعلاق الكنوز : نفائسها .

(عبد الحميد) ألا أُسِرُّكَ حادثاً ... يَكسُو عظامك فى البِلَى السرَّاءَ ؟ (١)
قم من صفوف الحقِّ تلقَ كتيبةً ... ملمومةً وترَ الصفوفَ سـواء
وتر الكِنانةَ شِيبَها وشَبابَها ... دون (الفضيّةِ) عُرْضةً وفِدَاء
جَمَعَ السلامُ الصُّحْف من غاراتها ... وتألفَ الأحزابَ والزعماء
فى كلِّ وِجْدان وكلِّ سَرِيرةٍ ... خَلَفَ الودادُ الحِقْدَ والبَغْضاء
وغَدا إلى دين العشيرةِ يَنتهى ... مَنْ خالف الأعمامَ والآباء
لا يحجبون على تجنِّيهم ولا ... يَجدون إلا الصَّفْحَ والإغضاء
والأهلُ لا أهلاً بَحَبْل ولائهم ... حتى تراهم بينهم رُحَمـاء
كذَبَ المريبُ يقولُ بعد غَدِ لنا ... خُلْفٌ يُعيدُ ويُبْدِئُ الشَّحناء
قلبى يُحَـدِّثنى وليس بخائنى ... أن العقولَ ستقْهَرُ الأهواء

***

يا (سعدُ) قد جَرَت الأمور لغاية ... أللهُ هيَّأها لنـا ما شاء (٢)
سبحانَه جمعَ القلوبَ من الهوى ... شتَّى وقوَّى حولَهُ الضُّعَفاء
الفُلكُ بعد العُسْرِ يُسِّرَ أمرُها ... واستقبلت ريحَ الأمور رُخاء
وتأهَّبت بك تستعدُّ لزاخرٍ ... تَطَأُ العواصفَ فيه والأنواء
رجعت براكبها إلى رُبَّانِها ... تُلقى الرَّجاء عليـه والأعباء
فاشدُدْ بأرباب النُّهَى سُكانَها ... واجعل ملاكَ شرَاعها الأكفاء (٣)
من ذا الذى يختارُ أهلَ الفضل أو ... يَزِنُ الرجالَ إذا اختيارُك ساء
أخرجْ لأبناء الحضارةِ مجلِسًا ... يُبْقِى على اسمك فى العصور ثَناء

---

(١) الحادث : هو حادث ائتلاف الأحزاب المصرية فى وقت نظم هذه القصيدة التى تعد من مفاخر المراثى فى الشعر العربى .

(٢) سعد : هو الزعيم الخالد الذكر سعد باشا زغلول ، وكان رئيس البرلمان فى عهد ذلك الائتلاف .

(٣) السكان : مؤخر السفينة . وملاك الشىء : قوامه الذى يملك به .

مولانا محمد علي (*)

بيتٌ على أرض الهدى وسمائه ... الحقُّ حائطه وأُسُّ بنائه

الفتحُ من أعلامه والطهرُ من ... أوصافه والقُدس من أسمائه

تحنو مناكبُه على شعب الهدى ... وتُطِل سُدّتُه على سيمائه (١)

مَن ذا ينازعنا مقالدَ بابه ... وجَلالَ سدتهِ وطُهرَ فنائه ؟

ومحمدٌ صلى على جنبانه ... واستقبل السَّمحاتِ فى أرجائه

واليوم ضَمَّ الناس مأتمُ أرضه ... وحوى الملائك مِهرجانُ سمائه

يا (قُدسُ) هيِّئ من رياضك ربوةً ... لنزيل تُربك واحتفل بلقائه (٢)

هو من سيوف الله جل جلالُه ... أو من سيوف الهند عند قضائه

فَتح النبيُّ له مناخَ بُراقِه ... ومعارِجَ التشريف من إسرائه

بطلٌ حقوقُ الشرقِ من أحماله ... وقضيةُ الإسلام من أعبائه

لم تُنسه الهندُ العزيزة رقةً ... للشرق أو سهراً على أشيائه

وقَباؤه نسج الهنود فهل تُرى ... دفنوا الزعيم مكفَّناً بقَبائه ؟ (٣)

(النيل) يَذكر فى الحوادث صوته ... والترك لا ينسون صدقَ بلائه

(*) هو كبير زعماء الهند المسلمين . توفى سنة ١٩٣١ ، وكان لا يألو جهدا فى خدمة الإسلام فى شتى أقطاره ، وقد أقيمت له فى القاهرة حفلة تأبين كبيرة ألقيت فيها هذه القصيدة .

(١) السدة : باب الدار .

(٢) يا قدس ، لأنه دفن فى القدس .

(٣) القباء — بفتح القاف — : نوع من الثياب .

* * *

قل للزعيم محمد نزل الأسى ... (بالنيل) واستولى على بطحائه[١]

فمشى إليك بجفنه وبدمعه ... وإلى أخيك بقلبه وعزائه[٢]

اجتزته فحواك فى أطرافه ... ولو انتظرت حواك فى أحشائه

ولقد تعوّد أن تمرّ بأرضه ... مرّ الغمام بظله وبمائه

نَمْ فى جوار الله ما بك غربةٌ ... فى ظل بيت أنت من أبنائه

الفتح وهو قضيةٌ قُدسيةٌ ... يا طالما ناضلتَ دون لوائه

أفتى بدفنك عند سيدة القُرى ... مُفتٍ أراد اللهَ فى إفتائه[٣]

بلد بَنُوه الأكرمون قصورُهم ... وقبورُهم وقفٌ على نزلائه[٤]

قد عشت تنصرُه وتمنحُ أهله ... عونًا فكيف تكون من غربائه

---

(١) محمد هو المرقى .

(٢) يريد بأخيه : مولانا شوكت على وقد آلت إليه زعامة المسلمين فى الهند بعد أخيه

(٣) سيدة القرى : المقصودة هى القدس الشريف ، ولابد للدفن فى هذا الحرم من تصريح دينى يصدره مفتى الإسلام هناك ، ولا يصرح بذلك إلا لمن ثبت نفعه للاسلام وللعرب

(٤) يقصد بالبلد : فلسطين وسوريا جميعا . وكثيرا ما هتف أمير الشعراء بآل هذه البلاد إعجابا بأخلاقهم .

سيد درويش (*)

كلّ يوم بِهرجانٌ كلّلوا ... فيــه ميتًــا بِرياحين الثناء (١)
لم يعلّم قَوْمــه حرفًا ولم ... يُضِئِ الأرضَ بِنور الكهرُباء
جُومِل الأحياء فيه وقضى ... شهَواتِ أهلُه والأصــدقاء
ما أضل الناسَ . حتى الموتُ لم ... يَخْلُ من زُورٍ لهم أو من رياء (٢)

***

إنما يُبكى شُعاعٌ نابغٌ ... كلما مرَّ به الدهرُ أضــاء
ملأَ الأفواه والأسماع فى ... ضجّةِ المَحْيا وفى صمت الفَنــاء
حائِطُ الفنّ وبانِى رُكنِهِ ... (معبدُ) الألحان (إسحُقُ) الغناء (٣)
من أُناسٍ كالدَّرارِى جُــدُدٍ ... فى سَمَــواتِ الليالى قُدماء
غَرَسَ النــاسُ قديمًا وبَنوْا ... لم يَدُمْ غَرْسٌ ولم يخلدْ بنــاء
غير غرسٍ نابغ أو حجَرٍ ... عبقَرِيٍّ فيهما سِرُّ البقــاء
من يَدٍ موهوبةٍ مُلْهَمــةٍ ... تَغْرِسُ الإحسانَ أو تبنى العلاء

***

بُلبُــلٌ إسكَنْدرِىُّ أيْكُهُ ... ليس فى الأرض ولكن فى السماء (٤)
هَبَطَ الشاطئَ من رابيــةٍ ... ذاتِ ظِلٍّ ورَياحين وماء

(*) الشيخ سيد درويش . كان رحمة الله يعد فى طليعة المجددين فى الموسيقى العربية ، وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة أقيمت لذكراه فى سنة ١٩٣١ .

(١) المهرجان : الاحتفال ، معرب .

(٢) الزور : الكذب .

(٣) معبد وإسحاق : رجلان من أشهر رجال الغناء والموسيقى .

(٤) كان رحمه الله من نشء الإسكندرية . والأيك : فى الأصل هو الشجر الملتف الكثير . يقول : إنه إذا كان لكل بلبل من أيك يتخذه عشا ، فهذا البلبل الاسكندرى أيكه ليس محله الأرض ، ولكن السماء هى محله اللائق به .

يحمـــل الفنَّ نميرًا صافيًا غَدَقَ النبع إلى جيـــل ظِماء (١)
حَـــلَّ فى وادٍ على فُسحتِه عزَّت الطَّيْرَ به إلا الحـداء
يملأُ الأسحار تَغْـــريدًا إذا صرف الطَّيْرَ إلى الأيك العِشاء
ربما استَلهم ظَلْماء الدُّجى وأتى الكوكبَ فاستوحى الضياء
ورمى أُذْنَيـــه فى ناحيـــةٍ يَخْلِسُ الأصواتَ خَلسَ الببَّغاء
فتـــلقَّى فيهما ما راعـــهُ من خَفِيِّ الهَمْسِ أو جَهْرِ النِّداء

***

أيها الدرويش قمْ بُثَّ الجوى واشرَحِ الحُبَّ وناج الشهداء
آضرِب العُودَ تَفُـــهْ أوتارُه بالذى تَهْوى وتنطق ما تشاء
حرِّك النَّـــايَ ونُحْ فى غابه وتنفس فى الثُّقُوبِ الصُّعَداء (٢)
وآسكُب العَبرةَ فى آماقه من تباريحَ ، وشجوٍ ، وعزاء
وآسمُ بالأرواحِ وآرفعها إلى عالم اللُّطف وأقطار الصفاء (٣)

***

لا تُرِقْ دمعًا على الفنِّ فلن يَعْـــدِمَ الفنُّ الرُّعاةَ الأُمَناء
هو طـــيرُ الله فى رَبوتِـــه يبعثُ الماءَ إليـــه والغِـذاء
روَّحَ الله على الدنيـــا به فَهى مثلُ الدار ، والفنُّ الفِناء
تكْتسى منـه ومن آذاره نَفحةَ الطِّيب وإشراقَ البَهاء (٤)
وإذا ما حُـــرِمت رِقَّتَـــه فَشَت القسوَةُ فيها والْجَفاء

---

(١) الغدق ـ بفتح الغين والدال ـ : الكثير .
(٢) الصعداء ـ بضم الصاد وفتح العين ـ : تنفس ممدود .
(٣) عالم اللطف : هو عالم المعانى والأرواح ، ولا تسمو إليه الأنفس إلا فى أوقات الصفا والانشراح .
(٤) آذار : شهر من فصل الربيع ، أعجمى .

وإذا ما سِيمت أو سقِمت ... طاف كالشمس عليها والهواء
وإذا الفنُّ على المُلْكِ مشى ... ظَهر الحسنُ عليـــه والرُّواء
قد كسا الكَرْنكُ مصرًا ما كسا ... من سَنًى أبلى اللَّيالى وسَناء
يُرْسلُ اللهُ به الرسْـــل على ... فتراتٍ من ظُهورٍ وخفـــاء
كلما أدَّى رســـولٌ ومضى ... جاء مَن يُوفى الرِّسالاتِ الأداء

***

سيِّدَ الفنّ آسترِح من عالَم ... آخرُ العهدِ بنُعْماه البـــلاء
ربما ضـــقتَ فلم تنعَمْ به ... وسَرى الوحْىُ فنَسَّاك الشقاء
لقد آستخلفت فنًّا نابغا ... دفَع الفنُّ إليـــه باللّواء
إن فى مُلك فؤادٍ بُلبلًا ... لم يُتَحْ أمثـــالُه للخُلفاء (١)
ناحلٌ كالكُرَة الصُغرى سَرى ... صوتُهُ فى كُرةِ الأرض الفضاء
يستحى أن يهتفَ الفنُّ به ... وجمالُ العبقَـرياتِ الحياء

---

(١) يراد بالبلبل هنا : الموسيقار النابغة الأستاذ محمد عبد الوهاب ، وهو الذى حمل لواء التجديد فى الموسيقى بعد الشيخ سيد درويش .

عمـــر المختـــار(*)

ركزوا رُفاتَك فى الرمال لِواءَ ... يَستنهض الوادى صباح مَسَاء(١)

يا وَيحهم ، نصبوا مَنارًا من دمٍ ... تُوحى إلى جبلِ الغـدِ البغضاء(٢)

ما ضرَّ لو جعلوا العلاقة فى غدٍ ... بين الشـعوب مـودّةً وإخاء ؟

جُرحٌ يصيحُ على المدَى وضحيّةٌ ... تتلسُ الحـرّيةَ الحمـراء(٣)

يأيها السيف المجرَّدُ بالفَـلَا ... يكسو السيوف على الزمان مضاء

تلك الصحارى غِمْـدُ كُلِّ مُهندٍ ... أبلَى فأحسن فى العـدوّ بَلاء

وقبورُ موتَى من شـباب أُميةٍ ... وكُهولِهم لم يَبرحوا أحيـاء

لَوْ لاذَ بالجوزاء منهـم معقِلٌ ... دَخـلُوا على أبراجها الجوزاء(٤)

فتحوا الشّمالَ سُهولَه وجبـالَه ... وتوغلوا فاسـتعمروا الخضراء

وبنَوْا حضارتهم فطاولَ ركنُها ... (دارَ السلام) و (جلّق) الشّماء(٥)

(*) شهيد المسلمين والعرب بطل طرابلس الخالد عمر المختار ، هو من الأسرة السنوسية أصحاب الطريقة السنوسية ذات النفوذ الروحانى العظيم فى كثير من أقطار الإسلام . ظل يقاتل الطليان فى سبيل الذود عن وطنه وقومه حتى قبضوا عليه وأعدموه شنقا سنة ١٩٣١ ، وأشيع وقتئذ أنهم سلكوا فى إعدامه سبلا بشعة متوحشة ، ولم يرحموا سنه التى نيفت على التسعين .

(١) ركز اللواء : غرزه فى الأرض . وهذا استعمال لغوى مشتق من الركيزة ، وهى قطع الفضة والذهب والمعادن ، كان العرب فى الجاهلية يحفرون لها فى الأرض ويسمونها الدفائن . فقوله « ركزوا رفاتك » استعمال أريد به الإشارة إلى أن هذه الرفات من النفائس والذخائر التى يضن بها ويحرص عليها .

(٢) المنارة : موضع النور ، وجعلها منارة من دم : هو لون من التبشيع العجيب ، كأنه يعجب كيف جعلوا موضع النور والائتناس محلا للتنفير والإزعاج .

(٣) الحرية الحمراء : هى المكتسبة بالدم ، إشارة إلى قولهم : الحرية شجرة لا تنبت إلا بالدماء .

(٤) الجوزاء : نجم معروف فى السماء .

(٥) دار السلام : بغداد . وجلق : دمشق .

***

خُيِّرْتَ فاخترت المبيت على الطَّوى ... لم تبْن جاهًا أو تلمَّ ثراء[١]

إن البطولةَ أن تموت من الظما ... ليس البطولة أن تُعبَّ الماء

إفريقيا مهد الأُسودِ ولحدُها ... ضجت عليكَ أراجلًا ونساء

والمسلمون على اختلاف ديارهم ... لا يملِكون مع المصاب عزاء

والجاهليةُ من وراء قبورهم ... يبكون زَيْدَ الخيل والفلحاء[٢]

***

فى ذمّة الله الكريم وحفظه ... جسدٌ (ببرقة) وُسِّدَ الصحراء[٣]

لم تُبْقِ منه رَحَى الوقائع أعظُما ... تَبلى ولم تُبق الرماحُ دماء

كَرُفات نَسْرٍ أو بقية ضَيْغَم ... باتا وراء السافيات هباء[٤]

بطل البداوة لم يكن يغزو على ... «تَنْكٍ» ولم يك يركبُ الأجواء[٥]

لكن أخو خيل تحمى صَهواتِها ... وأدار من أعرافها الهيْجاء

***

لبَّى قضاء الأرض أمسِ بمهجةٍ ... لم تخش إلا للسماء قضاء

وافاهُ مرفوعَ الجبين كأنه ... سُقراطُ جرَّ إلى القُضاة رداء

شيخ تمالك سنَّه لم ينفَجِرْ ... كالطفل من خوف العِقاب بكاء

وأخو أمورٍ عاش فى سَرَّائها ... فتغيرت فتوقَّعَ الضرّاء

---

(١) اللمّ : الجمع .

(٢) الفلحاء : لقب عنترة العبسى ، أما زيد الخيل فعلم على فارس بهذا الاسم .

(٣) إقليم من طرابلس الغرب حاضرته برقة ، اشتهرت بوقائعها الحربية المتعددة التى حدثت بين العرب والطليان .

(٤) السافيات : الرياح .

(٥) تنك : هى الدبابة المستعملة فى الحروب .

الأسْدُ تَزْأَرُ فى الحديد ولن ترى ... فى السجن ضِرْغامًا بكى استخذاء
وأنى الأسير يجرُّ ثِقلَ حديده ... أسـدٌ يُجرِّرُ حيةً رقطاء
عَضّت بساقيْه القيـودُ فلم ينؤ ... ومشت بهيكله السنون فَناء
تسعون لو ركبت مناكِبَ شاهق ... لترجلت هضـباتُهُ إعياء[1]
خفيت عن القاضى وفات نصيبُها ... من رِفق جند قادةً نُبلاءَ
والسنُّ تعطف كل قلبٍ مهذّبٍ ... عرف الجدودَ وأدرك الآباء

***

دفعوا إلى الجلّادِ أغلب ماجدًا ... يأسو الجِراح ويُطلق الأُسَراء
ويُشاطرُ الأقران ذُخْرَ سلاحِهِ ... ويَصُفُّ حول خِوانه الأعداء[2]
وتخيروا الحبـل المَهين مَنيةً ... لِلّيث يلْفِظ حـوله الحوباء[3]
حَرموا الممات على الصَّوارم والقَنا ... من كان يُعطى الطعنةَ النجلاء
إنى رأيتُ يد الحضارة أُولعت ... بالحق هَدْمًا تارةً وبنَاء
شرَعتْ حقوقَ الناس فى أوطانهم ... إلا أُباةَ الضـيم والضعفاءَ

***

يأيها الشعب القريب أسامعٌ ... فأصوغَ فى عُمَرَ الشهيدِ رثاءَ
أم أَلجمتْ فاكَ الخطوبُ وحَرّمت ... أذنيك حين تُخاطَبُ الإصغاء
ذهب الزعيمُ وأنت باقٍ خالدٌ ... فانْقُدْ رجالك وآختر الزُّعماءَ
وأرح شيوخك من تكاليف الوغى ... وآحمل على فتيانك الأعباء

---

(١) الشاهق : الجبل . والتسعون : هى التسعون عاما التى يحدد بها عمر المرئى حين قبضوا عليه ليعدموه .
(٢) الخوان : مائدة الطعام .
(٣) الحوباء : النفس .

عبد الحليم العلايلى بك(*)

لقد لَبَّى زعيمُكمُ النِّداء ... عزاءً أهل دِمياطٍ عزاءَ
وإن كان المُعَزّى والمُعَزّى ... وكلُّ الناسِ فى البلْوَى سواء
جُفِعْنا كُلُّنا بعلائِلىٍّ ... كركنِ النَّجْم أو أسنى علاء
أرَقُّ شباب دمياطٍ عليها ... وأنشطهم لِحاجتِها قضاء
وخيرُ بُيوتِها كرمًا وتقوى ... وأصْلا فى السِّيادة وانْتماء
فَتًى كالرُّمحِ عاليَةً وعُودًا ... وكالصَّمصام إفْرِندا وماء (١)
وأعطى المالَ والهِمَمَ العوالى ... ولم يُعط الكرامة والإباء
شبابٌ ضارَع الرَّيحانَ طيبًا ... ونازعه البشاشة والبهاء
وجندِىُّ القضية منذ قامت ... تعلَّمَ تحتَ رايتها اللِّقاء
ورُوِّع شيخُها العالى بيومٍ ... فكان بمنكبيْهِ له وقاء (٢)
سعى لضميره ولوجه مصرٍ ... ولم يتولَّ ينتظِرُ الجزاء

***

وعَيْشٍ كالغمامِ يَرِفُّ ظلًّا ... إذا ذهب الزِّحامُ به وجاء
ولم تقع العيونُ عليه إلا ... أثار الحُزنَ أو بعثَ البكاء

(*) عبد الحليم بك العلايلى : كان عالية دمياط ، توفى سنة ١٩٣٢ ، بعد أن ترك له فى القضية المصرية مواقف مذكورة . اشتهر منذ نشأ بعلو الهمة ونفوذ الكلمة ، فانتخب للمجالس النيابية بالنيابة عن دائرة دمياط عدة مرات ، وانتخب لمنصب سكرتير حزب الأحرار الدستوريين فكان فى رجالات ذلك الحزب ممن يشار إليهم ، وكان من أمير الشعراء بمنزلة الصهر والصديق .

(١) عالية الرمح : نصفه الأعلى الذى يلى السنان . والصمصام : السيف . وإفرنده وماؤه : كلاهما تمييز لجوهره .

(٢) يقصد « بشيخها العالى » المغفور له سعد باشا زغلول .

عَجِبْنا كيف لم يخضَرّ عُودًا وقد حمل المُرُوءَةَ والوفاءَ
مشت دِمياط فالتفّتْ عليهِ تُنازعهُ الذّخيرة والرّجاء

***

بَنِي دمياطَ ، ماشيءٌ بباقٍ سوى الفردِ الذى احتكر البقاء
تعالى اللهُ لا يبقى سـواه إذا وردت بَرِيَّتُه الفنـاء
وأنتم أهلُ إيمـانٍ وتقوى فهل تلقوْن بالعتبِ القضاء
مَلأتم من بيوتِ الله أرضًا ومن داعى البُكور لها سماء
ولا تستقبلون الفجر إلا على قدمِ الصلاة إذا أضاء
وترتقبون مطلَعه صِغارًا وتستبقُون غُرَّته نسـاء
وكم من موقفٍ ماض وقفتُمْ فكُنتم فيه لِلْوَطن الفِداء
دفعتُمْ غارةً شَعْوَاء عنه وذُدتُمْ عن حواضره البَلاء

***

أخى (عبدالحليم) ولستُ أدرى أأدعو الصّهر أم أدعو الإخاء
وكم صحّ الودادُ فكان صِهرًا وكان كأقرَبِ القُربى صفاء
عجيبٌ تركك الدنيا سقيمًا وكنتَ النحل تملأُها شِفاء (١)
وكنا حين يعضلُ كلَّ داءٍ نجىءُ إليك نجعلك الدواء
مضت بك آلةٌ حدباءُ كانت على الزمن المَطِيَّةَ والوِطاء (٢)
وسارت خلفك الأحزابُ صفًّا وسِرْتَ فكنت فى الصف اللّواء
تُؤَلفُ بينهم ميْتًـا وتَبنى كعهدك فى الحياة لهم وَلاء

---

(١) يريد تشبه المساعى الكثيرة النبيلة التى كان يقوم بها المرثى بعمل النحل .
(٢) الآلة الحدباء : النعش .

حافظ إبراهيم(*)

قد كنتُ أُوثر أن تقولَ رِثائى ... يا مُنصِفَ الموتى من الأحياء
لكنْ سبَقْتَ ، وكلُّ طول سلامةٍ ... قَدَرٌ وكلُّ مَنِيّة بِقَضاء
الحقُّ نادى فاستجبتَ ولم تزل ... بالحقِّ تحفِلُ عند كلّ نداء
وأتيتَ صحراء الإمام تَذوب من ... طول الحنين لساكن الصحراء(١)
فلقيتَ فى الدّار الإمامَ محمدًا ... فى زمرة الأبْرار والحنفاء(٢)
أثرُ النعيم على كريم جبينه ... ومراشدُ التفسير والإفتاء
فشكوْتما الشوق القديم وذقتُما ... طيب التدانى بعدَ طول تنائى
إن كانت الأولى منازِلَ فُرْقَةٍ ... فالسمْحة الأخرى دِيارُ لِقاء(٣)
وَوَدِدتُ لَوْ أنى فِداك من الرَّدى ... والكاذبون المُرجفونَ فِدائى
الناطقونَ عن الضغينة والهوى ... الموغرو الموتى على الأحياء
من كلّ هَدَّام وَيبنى مجدَه ... بكرائم الأنقاض والأشلاء
ما حطّموك وإنما بك حُطّموا ... من ذا يُحَطِّم رفرف الجوْزاء؟(٤)

(*) هو المرحوم محمد حافظ إبراهيم بك ، شاعر سباق معدود فى الطليعة . وكان يلقب بشاعر النيل . توفى سنة ١٩٣٢ ، فرثاه أمير الشعراء شوقى بك بهذه القصيدة التى ينبئ مطلعها على مبلغ تقديره لصاحبه ووفائه له .

(١) صحراء الإمام : المقبرة التى دفن بها ، وهذه الصحراء تنسب للامام الشافعى لوقوع ضريحه رضى الله عنه فى نطاقها .

(٢) الإمام : هوالمرحوم الشيخ محمد عبده العالم الدينى الكبير ، وقد اشتهر المرحوم حافظ فى حياته باكتساب عطفه ورضاه .

(٣) الأولى : الحياة الدنيا .

(٤) الرفرف : ما يجعل عليه طرائف البيت . والجوزاء : نجم معروف فى السماء . فالتعبير برفرف الجوزاء : كناية عن أسنى مواضع الشرف والسمو .

أُنظرْ فأنت كأمسِ شأنكَ باذخ ... فى الشرق ، واسمك أرفعُ الأسماء

بالأمسِ قد حلّيتَنِى بقصيدةٍ ... غرّاء تُحفَظُ كاليد البيضاء[1]

غِيظَ الحسودُ لها وقمتُ بشكرها ... وكما علمتَ مَودّتى ووفائى

فى محفلٍ بشّرتُ آمالى به ... لمّا رفعتَ إلى السّماء لِوائى

يا مانِحَ السُّودان شرْخَ شبابِهِ ... ووليَّهُ فى السِّلم والهيجاء

لما نزلت على خمائله ثَوى ... نَبْعُ البيان وراءَ نبع الماء

قَلدتَهُ السيفَ الحسامَ وزِدْتَهُ ... قلمًا كصدر الصَّعْدةِ السمراء[2]

قلمٌ جرى الحِقَبَ الطِّوال فما جرى ... يَوْمًا بفاحشةٍ ولا بهجاء[3]

يكسو بمدحتِه الكِرَامَ جلالةً ... ويُشَيِّعُ المَوْتى بحُسْن ثناء

***

إسكندريَّةُ ياعروسَ الماء ... وخميلةَ الحكماء والشعراء[4]

نشأت بشاطِئِك الفنونُ جميلةً ... وترعرعت بسمائك الزهراء

جاءتك كالطير الكريم غرائبًا ... فجمعتها كالرَّبْوَةِ الغنّاء

قد جمّلوكِ فصِرْتِ زِنبَقةَ الرّبَى ... للوافدين ودُرَّةَ الدَّأماء

---

(١) يريد القصيدة التى انشأها المرحوم حافظ وأنشدها فى المهرجان العظيم الذى أقيم فى القاهرة ، وقد حضرت إليه وفود الأقطار العربية ، وظل سبعة أيام تكريما لمبايعة أمير الشعراء شوقى بإمارة الشعر فى الشرق العربى عامة ، وهى التى يقول فيها :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا * وهذى وفود الشرق قد بايعت معي

(٢) الصعدة : قناة الرمح ينبت عودها مستويا .

(٣) الحقب : جمع حقبة ـ بكسر الحاء ـ وهى المدة من الزمن أو السنة .

(٤) نظم المرحوم شوقى هذه القصيدة وهو فى الإسكندرية ، فكان لابد لشاعريته المستوعبة من وصف هذه المدينة وفاء لإقامته فيها وتثنية .

غرَسوا رُباكِ على خمائِل بابلٍ ... وبَنَوْا قُصورَكِ فى سنا الحمراء(١)

واستحدثوا طُرُقًا منوَّرةَ الهدى ... كسبيل عيسى فى فجاجِ الماء(٢)

نُحذى كأمسِ من الثقافة زينة ... وتجمَّلى بِشَبَابك النُّجباء

وتقلدى لغةَ الكتاب فإنها ... حجَرُ البناء وعُدَّةُ الإنشاء

بنَتِ الحضارةَ مرتين ومهدتْ ... للمُلكِ فى بغدادَ والفيحاء

وسَمَتْ بقُرطبةٍ ومصْرَ فحلّتا ... بين الممالك ذِروَةَ العَلياء(٣)

ماذا حشدتِ من الدُّموعِ لحافِظٍ ... وذَخرتِ من حزنٍ له وبكاء؟

ووجدتِ مِنْ وقْع البلاء بفقدهِ ... إنّ البلاء مَصارعُ العظماء

اللهُ يشهد قد وفيْتِ سخيَّةً ... بالدمعِ غيرَ بَخيلةِ الخطباء

وأخذتِ قِسْطًا من مناحَةِ ماجد ... جَمّ المآثِرِ طيّبِ الآباء

هَتف الرُّواةُ الحاضرونَ بشعره ... وحدا به البادون فى البيداء(٤)

لُبْنانُ يَبكيه وتبكى الضادُ من ... حَلب إلى الفيحا إلى صنعاء

عَرَبُ الْوَفاء وفوْا بذِمّةِ شاعر ... بانى الصُّفوفِ مُؤَلِّف الأجزاء

ياحافظ الفُصحى وحارسَ مجدها ... وإمامَ من نجَلت من البُلغاءِ(٥)

مازلت تهتفُ بالقديم وفضلِه ... حتى حميت أمانة القدماء

جدّدتَ أُسلوبَ (الوليد) ولفظه ... وأتيت للدنيا بسحر (الطائى)(٦)

---

(١) بابل : موضع مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر . والحمراء : قصر مشهور فى الأندلس .

(٢) الفجاج ـ بكسر الفاء ـ : جمع فج ـ بفتحها ـ الطريق الواسع بين الجبلين .

(٣) قرطبة : إحدى عواصم الأندلس الكبرى ، وكانت فى المغرب مثل بغداد فى المشرق ، كلتاهما منبع للعلوم والفنون فى أزهر عصور الإسلام .

(٤) البادون : السائرون فى البادية .

(٥) نجلت : أى ولدت .

(٦) الوليد : هو أبو عبادة البحترى الشاعر العباسى الشهير . والطائى : هو حبيب الطائى الشهير بأبى تمام .

وجريتَ فى طلب الجديدِ إلى المدى ... حتى اقترنْتَ بصاحب البُؤَساء[1]

ماذا وراء الموتِ من سَلْوى ومن ... دَعةٍ ومن كرم ومن إغضاء ؟

اِشْرَح حقائق ما رأيت ولم تزل ... أهلًا لِشَرْحِ حقائق الأشياء

رُتَبُ الشجاعةِ فى الرجال جلائلٌ ... وأجلّهن شجاعةُ الآراء

كم ضِقْتَ ذرعًا بالحياة وكيدها ... وهتفتَ بالشكوى من الضرّاء

فَهَلُمّ فَارِقْ يأسَ نفسِك ساعة ... واطْلُعْ على الوادى شُعاعَ رجاء

وأشِرْ إلى الدنيا بوجهٍ ضاحكٍ ... خُلِقت أَسِرَّته من السَّراء

ياطالما ملأَ النـدِىّ بشاشة ... وهدى إليك حَائِجَ الفقراء

اليوم هادَنت الحوادِث فاطّرح ... عِبءَ السنين وألق عبء الداء

خلّفت فى الدنيا بيانًا خالدًا ... وتَرَكت أجيالًا من الأبناء

وغدًا سيذكرك الزمان ولم يزل ... للدَّهرِ إنصافٌ وحسنُ جزاء

---

(١) البؤساء : كتاب لفكتور هيجو ، عربه الفقيد .

محمد تيمور (*)

ضربوا القِباب على اليباب وثَوَوْا إلى يوم الحسابِ (١)
هَمدوا وكلُّ محرّك يوما سيسكن فى التراب
نزلوا على ذئب البِلى فتضيفوا شرّ الذئاب
وكأنهم صَرْعى كَرَى بالقاع أوصَرْعى شراب
فإذا صحَوْا وتنبهوا فالله أعلم بالمآب

***

مِن كل منفضّ الوفو د هناك مهجورِ الجنابِ
موروث كل مَضنةٍ إلا الذخيرة من ثواب (٢)

***

يا نائحاتِ محمّد نُحْنَه غضَّ الإهاب
فى مأتم لم تخل فيه المكرمات من انتحاب
تبكى الكريمَ على العشيرة والحبيبَ إلى الصحاب
حسْب الحمامِ دموعكنّ المستهلةُ من عتاب (٣)
فارجعْن فيه لحكمة أو جئن فيه إلى احتساب
فى العالم الفانى مصير العالمين إلى ذَهاب
من سار لم يَثن العَنا ن ومن أقام إلى اقتراب

(*) محمد تيمور ، أديب كبير اشتهر بوضع القصص الاجتماعية ، ولكن الموت لم يمهله فاخترم شبابه فى سنة ١٩٢١ .

(١) القباب : جمع قبة . والمقصود بضرب القباب هنا : هو الكناية عن المقبرة .

(٢) المضنة : هى الشىء النفيس يكون موضعا للضن به .

(٣) الحمام ـ بكسر الحاء ـ : الموت .

***

ياوارث الحسب الصميـــم وكاسبَ الأدب اللُّباب
وابنَ الذى علم الرجا لُ حياءه من كل عاب(١)
وكأنه فى كُتبه عثمانُ فى ظل الكتاب(٢)
ماذا نقمت من الشبا ب وأنت فى نِعم الشباب
مُتحلِّيا هبـــةَ النبو غ مطوّق المنح الرِّغاب
ولم الترحّلُ عن حيا ة أنت منها فى ركاب
لم تعد شاطئها ولم تبلغ إلى ثبج العُباب(٣)

***

رفقاً على محزونة الـ ـأبياتِ موحشة الحِجاب(٤)
فقدتك فى العمر الطريـــ ـر وفى زهاالدنياالكعاب(٥)
تبكى وتندُب إلفها بين الأفانين الرطاب
وانظر أباك وثُكلَه ورُزوحه تحت المصاب
لو كان يملك سرَّ يو شع ردّ شمسَك من غياب(٦)

---

(١) وابن الذى . . . الخ : هو المرحوم أحمد باشا تيمور ، كان عالما بحاثا اشتهر بالاطلاع الواسع وباقتناء أثمن الكتب .

(٢) يشبه والد الفقيد فى إقباله على الكتب فى شيخوخته بعثمان بن عفان الخليفة الثالث الذى مات والكتاب العزيز فى يده . (٣) العباب : البحر . وثبجه : وسطه .

(٤) موحشة الحجاب : كناية عن شدة مصاب هذه السيدة . يقال : إن خدرها أقفر من الأنس حتى صار يبعث الوحشة والهلع فى قلب صاحبته .

(٥) العمر الطرير : هو سن الشباب . ويقصد بقوله « الدنيا الكعاب » أنه كان يعيش فى دنيا مزهوة بنعيمها وثروتها .

(٦) يوشع — كما فى التوراة — هو يشوع بن نون اصطفاه الله وأرسله لبنى إسرائيل بعد موسى ، وأمره بمحاربة الجبارين ، ففى بعض وقائعه ابتهل إلى الله أن تقف الشمس حتى ينتقم من أعدائه ، فوقفت ولم تغرب مدة يوم أو نحو ذلك .

***

أعلِمْتَ غيرك من جلا الـ ـمثيل فى جُدد الثيابِ
وكسا غرائب جِده حُللا من الهزل العُجاب
متمـــيزا حين التميـ ـزُ ليس من أرب الشباب
أُفق العلا كنتَ الشهـا بَ عليه لا ذَنَبَ الشهاب
يا رُبَّ يومٍ ضاق ذر عُك فيه بالحسد الغضاب
سَعْهم فأنتَ جمعتهم الشهدُ مائدةُ الذباب
خُـــذ منهم نقد العفا فودَع لهم نقد السِّباب
دون النبوغ وأَوْجِه مالا تَعُدّ من الصعاب
فإذا بلغت الأوج كنـ ـت الشمس تهزأ بالضباب(١)

***

لا تَبعدنَّ فهـــذه آمال قومك فى اقترابِ
أُشرُف بروحك فوقهم ملَكا يرفرف فى السحاب
وانظر بعين نُزِّهت عن زُخرف الدنيا الكذاب
تَرَ من لِداتك أمـــةً كست الديار جلال غاب(٢)
أُسْد تجول بغير ظُفـ ـر أو تَصول بغير ناب
جعلوا الثبات سلاحهم نعم السلاحُ مع الصواب
أمَّا الأمور فإنهـــا بلغت إلى فصل الخطاب
فإذا ملكت توجُّهًا لله فى قُدس الرحاب
سل فاتحَ الأبواب يفـ ـتح للكتابةِ خيرَ باب

---

(١) الأوج : العلو .
(٢) لدات الإنسان : هم المقاربون له فى السن . والغاب : جمع غابة ، وهى مأوى الآساد
(٣) يصف شباب الأمة المصرية فى ثورة سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ .

يعقوب صروف(*)

سماؤكِ يا دنيا خِداعُ سَرابِ ... وأرضُك عمران وَشِيكُ خراب(١)

وما أنت إلا جيفة طال حولَها ... قيام ضباع أو قعودُ ذئاب

وكم ألجأ الجوعُ الأسودَ فأقبلت ... عليك بظُفر لم يعفّ وناب

قعدت من الأظعان فى مقطع السُّرى ... ومرُّوا ركابًا فى غبار ركاب

وجُدت عليهم فى الوداع بساخر ... من اللَّحظِ عن ميْت الأحبة نابى(٢)

أقاموا فلم يؤنسك حاضرُ صحبةٍ ... ومالوا فلم تستوحشى لغياب

تسوقين للموت البنين كقائد ... يرى الجيش خلقًا هيِّنًا كذباب

رأى الحرب سلطانًا له وسلامة ... وإن آذنت أجناده بتباب(٣)

ولولا غرور فى لُبانك لم يَجد ... بَنوك مذاق الضرّ شهدَ رُضاب(٤)

ولا كنتِ للأعمى مَشاهدَ فتنةٍ ... وللمُقْعَد العانى مجال وثاب(٥)

ولا ضل رأى الناشئ الغِرّ فى الصِّبا ... ولا كرّ بعد الفرصةِ المتصابى

ولا حسِبَ الحفّارُ للموتِ بعدَما ... بَنى بيديْه القبرَ ألف حساب

يقولون يَرثى كلَّ خِلٍّ وصاحب ... أجلْ إنما أقضى حقوقَ صِحابى

(*) هو الدكتور يعقوب صروف : أحد صاحبي مجلة المقتطف وجريدة المقطم . كان متبتلا للعلم معدودا فى طليعة الكتاب والعلماء الذين يشار إليهم بالبنان ، توفى سنة ١٩٢٨

(١) السراب : هو ما يرى فى وسط النهار كأنه الماء . ووشيك : سريع .

(٢) النابى : الكليل .

(٣) يقال : آذنته بكذا ، أى أنذرته . والتباب : الهلاك .

(٤) اللبان — بتشديد اللام مضمومة — : جمع لبانة ، وهى الحاجة يطلبها الإنسان من غير احتياج إليها ، بل بدافع من علو الهمة والرغبة . والرضاب : هو ريق الإنسان مادام فى فمه .

(٥) العانى : المقيد ، ومن هنا سمى الأسير بالعانى ، لأن من شأنه أن يقيد .

جزيتهمُ دمعى فلما جَرى المدَى ... جعلْتُ عيون الشعر حسنَ ثوابى

كفى بذُرى الأعوادِ منبرَ واعظ ... وبالمستقلّيها لسانَ صَواب(١)

دعوتُك يا يعقوب من منزلِ البِلى ... ولولا المنايا ما تركت جوابى

أذكّركَ الدنيا وكيفَ ولم يزل ... لها أثرًا شهدٍ بفيكَ وصاب(٢)

حملنا إليك الغارَ بالأمسِ ناضرًا ... وسُقنا كتابَ الحمد نِلو كتاب(٣)

وما آنفكّت الدنيا وإن قل لبُثها ... لسانَ ثوابٍ أو لسان عِقاب

ألا فى سبيلِ العلم خمسونَ حِجةً ... مضت بين تعليم وبين طِلاب

قطعتَ طِوالَ ليلِها ونهارها ... بآمال نفس فى الكمال رغاب

رأى اللهُ أن تُلقى إليك صحيفةٌ ... فنزهتَها عن هَوشةٍ وكِذاب(٤)

ولم تتخذها آلةَ الحقدِ والهوى ... ولا مُنتدًى لغوٍ وسُوقَ سِباب

مشينا بنورىْ عليها وبيانها ... فلم نَسْر إلا فى شُعاع شِهاب

وعشنا بها جيلَيْن قمتَ عليهما ... معلمَ نشءٍ أو إمام شَباب

رسائل من عفوِ الكلام كأنها ... حواشى عُيونٍ فى الطُّروس عِذاب(٥)

هى المحض لا يَشقى به ابنُ تميمة ... غذاءً ولا يشقى به ابن خِضاب(٦)

---

(١) بالمستقليها : أى براكيبها .

(٢) الشهد : عسل النحل ، والصاب : المر .

(٣) إشارة إلى الاحتفال بالفقيد فى اليوبيل الفضى لمجلته المقتطف . والغار : ورق شجر كانت تتخذ منه أكاليل الظافرين .

(٤) هذه الصحيفة هى مجلة المقتطف التى تعد بحق أمجد صحيفة علمية أدبية فى الشرق العربى كله وكان الفقيد مختصا بتحريرها .

(٥) قوله « كأنها حواشى عيون ... الخ » . العيون : هى عيون الماء ويقصد بحواشيها : النباتات والزهور التى تنبت حواليها .

(٦) المحض : هو الخالص من كل شىء ، وابن تميمة وابن خضاب : يقصد بالأول اليفع الناشىء ، وبالثانى الشايب الذى يخضب شعره .

سهولٌ من الفُصحى وقفتَ بها الهوى ... على ما لديها من رُبى وهِضاب

وماضِعتَ بين الشرقِ والغرب مِشيةً ... كما قيل فى الأمثال حجلُ غراب

فلم أرَ أنقى منك سُمعةَ ناقلٍ ... إذا وسَم النقلُ الرجالَ بِعاب

وكم أخذ القول السرىّ مُعرّبٌ ... فما ردّه لِاسمٍ ولا لِنصاب

وقُدْتَ على الفُصحى بخيرات غيرها ... فوالله ما ضاقت مناكب باب

وقدّمادنت (يونان) منها و(فارسٌ) ... و(روما) لحلّوا فى فسيح رحاب

تبتّلْتَ للعلم الشريف كأنه ... حقيقةُ توحيدٍ وأنت صَحابى

وجشّمت مَيدان السياسة (فارسًا) ... وكلُّ جوادٍ فى السياسة كابى(١)

وكنا ونمرٌ فى شغاب فلم يزل ... بنا الدهر حتى فضّ كلَّ شغاب

رأى الثورة الكبرى فسلَّ يراعَه ... لتحطيم أغلال وفك رقاب(٢)

وما الشرق إلا أسرةٌ أو عشيرةٌ ... تلمُّ بنيها عند كل مُصاب

***

سلامٌ على شيخ الشُيوخ ورحمةٌ ... تَحدَّرُ من أعطاف كلِّ سحاب

ورفّافُ ريْحان يروحُ ويَغتدى ... على طيّباتٍ فى الخِلال رِطاب

وذكرى وإن لم تَنسَ عهدك ساعةً ... وشوقٌ وإن لم نفتكر بإياب

ووَيْحَ السَّوافى هل عرضن على البِلَى ... جبينَك أم سترنَهُ بِحجاب(٣)

---

(١) المقصود بفارس فى هذا البيت هو الدكتور فارس نمر الشريك الثانى للفقيد فى مجلتى المقتطف والمقطم ، ولكنه الشريك المختص بالسياسة كما كان الفقيد مختصا بالعلم ، وقوله : وكل جواد فى السياسة كابى ، إشارة رقيقة إلى المثل القائل لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة .

(٢) يريد أن الدكتور نمر لم يشاغب حبا فى المشاغبة ، ولكنه كان متأثرا بفكرة عامة .

(٣) السوافى : الرياح .

وهل ضُنَّ ماءٌ كان فيه كأنه حياءُ بَتولٍ فى الصلاة كعاب[1]

ويا لحياةٍ لم تَدَع غيرَ سائلٍ أكانت حياةً أم خليلةَ داب[2]

وأين يدٌ كانت وكان بنانُها يراعَةَ وشيٍ أو يراعةَ غاب

ولَهْفى على الأخلاق فى ركن هيكل ببطن الثرى رثَّ المعالم خابى

***

نَعيش ونَمضى فى عذابٍ كلذّة من العيش أو فى لذة كعَذاب

ذهبنا من الأحلام فى كل مذهب فلما انتهينا فُسِّرت بذَهاب

وكل أخى عيشٍ وإن طال عيشُهُ تُرابٌ لعمرُ الموتِ وابنُ تراب

---

(١) البتول : المنقطعة عن الرجال وعن الدنيا إلى الله تعالى .

(٢) الداب ، بمعنى الدأب .

حسين شيرين بك(*)

أرأيتَ زينَ العابدين مُجهَّزًا ... نقلوه نقلَ الوردِ من محرابه(١)
من دار توْأَمِه وصِنو حيانه ... والأول المألوف من أترابه(٢)
ساروا به من باطل الدنيا إلى ... بَحبوحة الحقِّ المبين وغابه(٣)
ومضَوْا به لسبيل آدمَ قبلَه ... ومصايرِ الأقوام من أعقابه
تحنو السماءُ على زكيِّ سريره ... ويَمَسُّ جيدَ الأرض طيبُ ركابه
وتطيب هامُ الحاملين وراحهُم ... من طيب تحمله وطيبِ ثيابه
وكأن مصرَ بجانبيه ربوةٌ ... آذارُ آذنها بوشْك ذَهابه
ويكاد من طربٍ لعادته الندَى ... ينسلُّ للفقراء من أثوابه(٤)
الطيّبُ ابن الطيبين وربما ... نضح الفتى فأبان عن أحسابه
والمؤمنُ المعصوم فى أخلاقه ... من كل شائنة وفى آدابه
أبداً يراه الله فى غلَس الدُّجى ... فى صَحن مسجِده وحولَ كتابه

(*) حسين بك شيرين : كان مثالا عاليا من أمثلة مكارم الأخلاق ، وكانت بينه وبين أمير الشعراء صداقة تشبه القربى ، وقد توفى فى سنة ١٩٣١ ، فنظم فيه هذه القصيدة رثاء له وتعزية لشقيقه إسماعيل بك شيرين .

(١) أراد تشبيهه بعلى زين العابدين ابن سيدنا الحسين رضى الله عنهما ، وفى زين العابدين هذا يقول الشاعر الفرزدق :

ما قال « لا » قط إلا فى تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه « نعم »

وتجهيز الميت : تهيئته للقبر .

(٢) الصنو : الأخ الشقيق . والتوأم : المولود مع غيره فى بطن ، وهذه حال الفقيد مع أخيه . والأتراب : لدات المرء وزملاؤه الذين ولدوا فى سن متقاربة معه .

(٣) بحبوحة المكان : وسطه .

(٤) الندى : الكرم .

ويُرى اليتامى لائذين بظله ويرى الأراملَ يَعتصِمن ببابه
ويراه قد أدّى الحقوق جميعَها لم يَنسَ منها غير حق شبابه
أدّى من المعروف حِصَّة أهله وقضى من الاحساب حقَّ صحابه(١)

***

(مهويش) أين أبوكِ أهل ذهبوا به لِم لم يَعُد أيانَ يومُ إيابه ؟(٢)
قد وكَّل اللهَ الكريمَ وعينَه بك فاحسبيه على كريم رحابه
ودعِي البُكا يَكفيه ما حَمَّلتِه من دَمعك الشاكى ومن تسكابه
ولقد شربتِ بحادث يا طالما شربتْ بناتُ العالمين بصابه
كل امرئ غادٍ على عُوّاده وسؤالِهم : ما حالهُ ماذا به ؟
والمرءُ فى طلب الحياة طويلة وخُطى المنية من وراء طِلابه
فى بِرِّ (عَمكِ) ما يقوم مكانَه فى عطفه وحنانه ودعابه

***

(إسكندرية) كيف صبرُك عن فتًى الصبر لم يُخلق لمثل مُصابه(٣)
عطِلت سماؤك من بريق سحابها وخَبا فضاؤك من شُعاع شهابه
زينُ الشباب قضى ولم تتزوّدى منه ولم تتمتعى بقرابه
قد ناب عنك فكان أصدقَ نائبٍ والشعبُ يَهوى الصدقَ فى نُوّابه
أعلمتِه اتخذ الأمانة مرةً سبباً يبلّغه إلى آرابه
لو عاش كان مؤمَّلا لمواقفٍ يرجو لها الوادى كرامَ شبابه

---

(١) المعروف هنا ، بمعنى البر بالناس والقيام بواجب المحتاجين .
(٢) مهويش : اسم تركى ، وهو علم على ابنة الفقيد .
(٣) كان الفقيد من الإسكندرية منشأ ، وعضو مجلس بلديتها .

يجلو على الألباب همّةَ فكره ويُناوِل الأسماعَ سِحرَ خطابه
ويفى كديدنه بحق بلاده ويفى بعهد المسلمين كدابه[1]

***

تفواك (إسماعيل) كلُّ علاقة سيَبتُّها الدهرُ العضوضُ بنابه[2]
إن الذى ذُقتَ العشيةَ فقدَه بِتَّ الليالى مُوجعًا لعذابه
فارقتَ صِنوك مرتين فلاقِه فى عالم الذكرى وبين شعابه[3]
من عادة الذكرى تَرُد من النوى من لا يدين لنا بطىٍّ غيابه
حلمٌ كأحلام الكرى وسْنانهُ مُستعذَب فى صدقه وكذابه
أسكُبْ دموعَك لا أقول اسْتبقها فأخو الهوى يَبكى على أحبابه

---

(١) الديدن : العادة .
(٢) إسماعيل بك شيرين ، شقيق المرثى .
(٣) يشير هذا البيت إلى أن الفقيد كان مغتربا فى سويسرا طيلة زمن الحرب الكبرى .

محمـــد عبد المطلب(*)

قام من غلّته الشاكى الوصِبْ ... وتلقّى راحـــةَ الدهر التَعِبْ(١)
أيها النفس آصْبرى وآسترجعى ... هتف الناعى بعبـــد المطّلب(٢)
نزل التُرب على مَن قبلَه ... كلُّ حىٍّ منتهـــاه فى التُرب
ذهب اللَّـــيِّن فى إرشادهِ ... كالأبِ المشفق والجَدِّ الحدِب
القريبُ العتبِ من معنى الرضا ... والقريب الجدِّ من معنى اللعب
والأخُ الصـــادق فى الوُدّ إذا ... ظَهَر الإخوان بالودّ الكذب
خاشـــع فى درسه مُحْتشِمٌ ... فكِهٌ فى مجلس الصفو طَرِب
قلَّدَ الأوطان نَشْأً صالحاً ... وشبابا أهـــل دين وحسب
ربما صالَتْ بهم فى غـــدها ... صَوْلَة الدُولَة بالجيش اللجب(٣)
جعـــلوا الأقلام أرماحَهمُ ... وأقاموها مقـاماتِ القُضُب
لا يَميلون إلى البغى بهـــا ... كيف يَبغى مَن إلى العلم انتسب ؟
شاعِرَ البـــدوِ ومنهم جاءنا ... كلُّ معنًى رقَّ أو لفظٍ عَذُب
قد جرت ألسُنُهم صافيـــةً ... جرَيانَ الماء فى أصل العشُب
سَلِمَتْ من عَنَتِ الطبع ومن ... كلفةِ الأقلام أو حشْوِ الكتب(٤)

(*) هو الأستاذ محمد عبد المطلب أستاذ الأدب فى مدرسة دار العلوم . كان ينظم الشعر مؤثراً فى نظمه طريقة البادين ، ولذلك كان يلقب بشاعر البدو . وقد توفى سنة ١٩٣١ ، وأقيمت له حفلة تأبين ألقيت فيها هذه القصيدة .

(١) يريد بالوصب : المتعب من مرض أو من علو الهمة .

(٢) الاسترجاع ، هو قول : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٣) الجيش اللجب : الكثير العدد والعدة .

(٤) العنت : المشقة .

قد نزلتَ اليـــومَ فى باديةٍ عَمَرت فيها (امرأ القيس) الحِقب[١]
ومشى (المجنونُ) فيهـــا سالبًا نفض اللّوعـــةَ عنه والوصَب[٢]
أعرِ النـــاسَ لساناً ينظموا لك فيه الشعرَ أو يُنشوا الخطب
قم صِف الخُلْدَ لنا فى مُلكه من جلال الخلْق والصُّنْع العجب
وثمارٍ فى يواقيت الرُّبى وسُلافٍ فى أباريق الذهب[٣]
وانثر الشعر على الأبرار فى قُدُس الساح وعُلوىّ الرحب
واستعر (رضوان) عُودَىْ قصب وترنّم بالقوافى فى القصب[٤]
واســـقِ بالمعنى إلهيا كما تتساقَوْن الرحيق المنسكِبْ
كلما ســـبّحت للعرشِ به رَفعَ الرحمنُ والرُّسْلُ الحجُب
قم تأمّل ! هـذه الدار وَفَى لكَ من طُلابها الجمعُ الأرِبْ[٥]
وَفَتِ الدارُ لبانى رُكنها وقضى الحقَّ بنو الدار النُجُب[٦]
طلبوا العـــلم على شَيْخِهُم زمنًا . ثم إذا الشيخ طُلِب
غاب عن أعينهم لكنه ماثلٌ فى كل قلبٍ لم يغِب
صـــورةٌ مُحْسنة ما تختفى ومثـــالٌ طيبٌ ما يحتجب
رجلُ الواجبِ فى الدنيا مضى يُنْصِفُ الأُخرى ويقضى ما وجب
عاش عيش الناس فى دنياهُمُ وكما قد ذهب الناسُ ذهب
أخـــذ الدرسَ الذى لُقّنه عُجم النـــاس قديمًا والعرب

---

(١) امرؤ القيس : الشاعر الجاهلى المعروف .
(٢) المجنون : مجنون لبلى ، من شعراء البادية كامرئ القيس .
(٣) يواقيت الربا : الأكمام المنفتحة بالورود والثمار التى تشبه الياقوت . والسلاف : الخمر .
(٤) رضوان : هو الملك القائم على الجنة ، والقصب : المزمار أو الناى الذى يترنم به .
(٥) الجمع الأرب : أى الكثير الحصافة والكياسة والدهاء .
(٦) النجب : جمع نجيب .

يرثى جـــدّته(*)

خُلقنا للحيـــاة وللممات ... ومن هذين كلُّ الحادثات
ومن يُولدْ يَعِشْ ويمُت كأن لم ... يمـــرّ خيالُهُ بالكائنات
ومهـــد المرء فى أيدى الرواقى ... كنعش المرء بين النائحات(١)
وما ســـلم الوليد من اشتكاء ... فهل يَخـــلو المعمّر من أذاة(٢)
هى الدنيا قتالٌ نحن فيـــه ... مقاصد للحسام وللقَنـــاة
وكلُّ الناس مدفوعٌ إليـــه ... كما دُفع الجبانُ إلى الثبات
نُروِّع ما نروع ثم نُرمَى ... بسهمٍ من يد المقـــدور آتى
صـــلاة الله يا (تمزار) تَجزى ... ثراك عن التـــلاوة والصلاة
وعن تسعين عاماً كنت فيها ... مثـــالَ المحسنات الفُضليات
بررتِ المؤمناتِ فقال كلٌّ ... لعـــلكِ أنتِ أُمُّ المؤمنـات
وكانت فى الفضائل باقيـــاتٌ ... وأنتِ اليوم كلُّ الباقيات
تبَنَّاكِ المـــلوكُ وكنتِ منهم ... بمـــنزلة البنين أو البنات
يُظلّون المناقب منكِ شتى ... ويؤْوون التقى والصالحـــات
وما ملكوكِ فى (سوق) ولكن ... لدى ظل القَنـا والمرهَفات

(*) جدته : هى المرحومة السيدة (تمزار) معتوقة جنتمكان إبراهيم باشا والى مصر ، وسترى فى القصيدة كيف بلغت الجدة المحترمة تلك المنزلة العالية .

(١) المهد : الموضع يهيأ للطفل . والرواقى : جمع راقية ، والراقية عند العرب هى الأم أو نحوها ، تضع التمائم والتعاويذ على الطفل حفظاً له من العين أو من الشياطين ، على زعمهم .

(٢) المعمر : هو الذى يمد له فى العمر . يقول فى هذه الأبيات الثلاثة : إن الدنيا لا ثبات لها ؛ فالإنسان فيها كأنه خيال بل كأنه لم يوجد ، فالراقيات والنائحات والمهد والنعش والصغر والكبر لقاء الأقدار سواء ، فلا شىء يرد الموت ولا يمنع القدر .

عَنَت لهم (بمورة) بنتَ عشر وسيفُ الموت فى هام الكُماةِ[1]
فكنتِ لهم وللرحمن صيدا وواسطةً لعِقد المسلمات
تَبعتِ محمدًا من بعد عيسى لخيرك فى سنيك الأولَيات
فكان الوالدان هدًى وتقوى وكان الولد هذى المعجزات
ولو لم تَظهرى فى العُرب إلَّا بأحمدَ كنت خيرَ الوالدات[2]
تجاوزتِ الولائد فاخراتٍ إلى فخر القبائل واللغات
وأحكم من تحكَّم فى يراع وأبلغ مَن تبلّغ من دواة
وأبرأ مَن تبرأ من عداء وأنزه من تنزّه مِن شمات
وأصون صانَ لأخيه عرضًا وأحفظ حافظٍ عهد اللدات
وأقتل قاتل للدهر خُبْرا وأصبر صابر للغاشيات
كأنى والزمانُ على قتال مُساجلةً بميدان الحياة[3]
أخاف إذا تثاقلت الليالى وأُشفق من خفوف النائبات
وليس بنافعى حذَرى ولكن إباءٌ أن أراها باغتات

---

(١) عنت لهم . . . الخ : مأخوذة من قولهم « عن الصيد للصائد » إذا ظهر . ومورة : علم على صقع بعينه هو الوطن الأول لجدته . والكماة : جمع كمى ، وهو الفارس المدجج بالسلاح . بعد أن قال إن جدته كانت متبناة للملوك بين كيف وقع لها ذلك ، فقال : إنها لاحت للفرسان المغيرين على وطنها (مورة) فأخذوها أسيرة حرب ، وهى لم تجاوز العاشرة ، وكان هذا لخيرها حيث أكرمها الله فنشأت مسلمة ونزلت من الملوك بمنزلة بناتهم .

(٢) أحمد : هو الاسم الشريف لأمير الشعراء . يقول لجدته فى هذا البيت : إذا لم يكن لك نسب فى العرب إلا ولادتك لى لكنت بهذا خير أمهات العرب . ولقد وضع هذا البيت نفسه توأما لبيت المتنبى الذى يخاطب به أمه فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والد ٭ لكان أباك الضخم كونك لى أما

(٣) المساجلة فى القتال : هى من قولهم « الحرب سجال يوم لك ويوم عليك » .

أمأمونٌ من الفَلك العوادى ... و (برجلُه) يخُط الدائرات

تأمل هل ترى إلا شِباكا ... من الأيام حولك مُلقيات

ولو أن الجهات خُلقن سبعًا ... لكان الموتُ سابعةَ الجهات

لعًا للنعش لا حُبًا ولكن ... لأجلِك يا سماءَ المكرمات[1]

ولا خانتــه أيدى حامليه ... وإن ساروا بصبرى والأناة

فلم أر قبــله المريخَ مُلقّى ... ولم أسمع بدفن النيّرات

هناك وقفتُ أسألكِ آتئادا ... وأُمسك بالصّفات وبالصَّفاة[2]

وأنظرُ فى ترابك ثم أُغضى ... كما يغضى الأبىُّ على القَذاة

وأذكر من حياتك ما تَقضّى ... فكان من الغداة إلى الغداة

---

(١) لعا : كلمة دعاء تقال للعاثر ، تقول « لعا له » إذا أردت سلامته ، و « لا لعا له » إذا أردت غير ذلك .

(٢) الصفاة : الحجر الصلد ، والمقصود بها هنا القبر .

محمد عبـــده(*)

مفسِّرَ آى الله بالأمس بيننا ... قم اليومَ فسِّر للورى آية الموت
رحمتَ ، مصيرُ العالمين كما ترى ... وكلُّ هناء أو عزاء إلى فوت
هو الدهر ميلادٌ فشغلٌ فمأتمٌ ... فَذِكْرٌ كما أبقى الصَّدى ذاهبُ الصوت(١)

(*) هو الأستاذ الإمام محمد عبده مفتى الديار المصرية . توفى سنة ١٩٠٥ ، وقد ظهرت أسمى ملكاته فى فهم وتفسير القرآن الشريف .

(١) يقول : إن الإنسان يشبه الصوت ، وذكره من بعده يشبه الصدى . والصدى : هو ما يرد على الصوت شبيهاً بصوته ، ويقال له الرجع أيضا .

رياض باشا(*)

تمـاتٌ فى المواكب أم حياةُ ... ونعش فى المناكب أم عِظَاتُ
ويومُك فى البرية أم قيـام ... وموكبك الأدلّة والشيات (١)
وخطبك (بارياض) أم الدّواهى ... على أنواعهـا والنّازلات
يَجِلُّ الخطْبُ فى رجل جليلٍ ... وتَكبرُ فى الكبير النائبات
وليس الميْتُ تَبكيه بلاد ... كمن تَبكى عليه النائحات

***

وهل تَلقى منَاياها الرّواسى ... فتَهوِى ثم تُضمرها فَـلاةُ (٢)
وتُكسَر فى مراكزها العوالى ... وتُدفَن فى التراب المرهَفات (٣)
ويُغشَى الليثُ فى الغابات ظُهرا ... وكانت لا تَقرّ بها الحصاة
ويَرمى الدهرُ (نادى عين شمس) ... ولا يَحمى لواءهمُ الرُّماة (٤)
أجلْ حُملت على النعش المعالى ... ووُسّدت التراب المَكْرُمات
وحُمّلت المدافعُ ركنَ سلم ... يشـيّعه الفوارسُ والمُشاة
وحَلّ المجـدُ حفرتَه وأمسى ... يطيف به النوائحُ والبُكاة

(*) يقترن تاريخ رياض باشا بتاريخ كبار الحوادث فى مصر منذ الخديوى إسماعيل إلى أواخر حكم عباس الثانى تقريبا ، فتاريخه فى الواقع هو تاريخ مصر طيلة هـذه الحقبة من الزمن .

(١) الشيات : جمع شية ، وهى العلامة : يشبه يوم مات رياض يوم القيامة ، ويشبه جنازته بأشراط وعلامات القيامة .

(٢) الفلاة : الصحراء .

(٣) العوالى : الرماح . والمرهفات : السيوف .

(٤) نادى عين شمس : موضع المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان القبط فى فترة من الخلاف وقع بين الطائفتين المصريتين ، لا أعادها الله .

***

هوَى عن أوْج رفعتِه (رياضٌ) وحازته القرونُ الخاليات
كأن لم يملإ الدنيا فعالا ولا هتَفت بدولتــه الرّواة
نعَاه (البرق) مُضطربًا فاجت نجــوم فى السماء مُحلّقات
كأن الشمسَ قد نُعِيت عشاء إليها فهى حَسْرى كاسفات
صحيفةُ غابر طُويت وولّت على آثار من دَرجوا وفاتوا
يقول الآخرون إذا تَلوْها كذلك فَلْيَلِدْن الأمهات
جزى الله الرضا أبوَىْ (رياضٍ) هما غرَسَا وللوطن النبات
بنو الدنيا على ســفرٍ عقيم وأســفارُ النوابغ مرجعات
أرى الأموات يَجمعُهم نشورٌ وكم بُعث النوابغُ يوم ماتوا
صلاحُ الأرض أحياءٌ وموتى وزينتُها وأنجمها الهُــداة
قرائحُهم وأيديهم عليهــا هدًى ويسارةٌ ومُحسّــنات
فلو طُلبت لهم دِيةٌ لقالت كنوزُ الأرض نحن هى الدّياتُ

***

أبا الوطنِ الأسيفِ بكَتك مصر كما بكت الأبَ الكهفَ البناتُ
قضيتَ لها الحقوق فتًى وكهلا ويوم كبِرتَ وانحنتِ القَناة
ويومَ النهى للأمراء فيها ويوم الآمرون بها العصاة (١)
فكنت على حكومتها سِراجًا إذا بَسطت دُجاها المُشكِلات
يزيد الشيبُ نفسَك من حياة إذا نقصت مع الشيب الحياة
وتملؤك السّنُونَ قوًى وعزمًا إذا قيل السنون مُثبّطات

---

(١) يشير إلى أيام الثورة العرابية فى مصر وإلى لون الحكم قبيل تلك الثورة .

كَيْفِ الهندِ أبلَى حين فلّت ورقّت صفحتاه والظُّبات (١)
رفيعُ القـــدر بالأمصار يُرْنى كما نظرت إلى النَّجم السُّراة (٢)
كأنك فى سماء المُلك (يحيى) وآلُك فى الســـماء النيّرات (٣)
تسوس الأمرَ لا يُعطَى نفاذًا عليك الآمرون ولا النُّهَاة
إذا الوزراء لم يُعطـــوا قِيادا نبذتَهم كأنهم النَّـــواة
زَماعٌ فى انقباضٍ فى اختيالٍ كذلك كان (بسمرك) الثبات (٤)
صفات بلّغتك ذُرى المعالى كذلك تَرفع الرجلَ الصفات
وجدتَ المجـــدَ فى الدنيا لواء تلقّاه المقـــاديم الأُباة
ويَبقى الناسُ ماداموا رعايا ويبقى المُقـــدِمون هم الرُّعاة

***

(رياضُ) طويتَ قرنًا ماطوته مع (المأمون) (دِجلة) و(الفرات) (٥)
تمنّت منـــه أيامًا تحـــلَّى بها الدولُ الخوالى الباذخات
وَودّ (القيصران) لو أن (روما) عليها من حَضارته سِمات (٦)
حباك الله (حاشيتَيه) عُمْرا وأعمارُ الكرام مبارَكات
فقمتَ عليه تجربةً وخُـــبرا ومدرسةُ الرجال التّجربات
تَمـــرُّ عليك كالآيات تترى صنائعُ أهـــلِه والمحـــدَثات

---

(١) الظبات جمع ظبة ـ بضم الظاء ـ حد السيف .
(٢) السراة ـ بضم السين ـ : جمع سارى ، ولا يكون السرى إلا للمشى بالليل .
(٣) يحيى : هو يحيى البرمكى وزير هارون الرشيد .
(٤) بسمرك : وزير ألمانى ضرب مثلا فى الحنكة والمهارة السياسية . والزماع : الذى يزمع الأمر فى جرأة وإقدام ثم لا ينثنى .
(٥) المأمون : هو المأمون العباسى . ودجلة والفرات : نهران بالعراق .
(٦) سمات : علامات .

فأدركتَ (البخار) وكان طفلا فشـــبَّ فبايعَتْه الصافنات[١]

تُجاب على جناحيْه الفيافى وتَحكُم فى الرياح المُنشآت

ويُصعَد فى السماء على (بروج) غـــداً هى فى العوالم بارجات[٢]

وبَيْنا الكهرُباءُ نُعَـــدّ خَرقا إذا هى كل يومٍ خارقات

ودان البحرُ حتى خيض عُمقا وقيـــدت بالعنان السافيات[٣]

وبُلّغتِ الرسائلُ لا جَناحٌ يجوب بهـــا البحارَ ولا أداة

كأن القُطرَ حين يجيب قطرا ضمـــائر بينها متناجيات

***

رهينَ الرّمس حـــدّثنى مَليًّا حديث الموتِ تَبْدُ لِىَ العِظات[٤]

هو الخبرُ اليقين وما ســـواه أحاديثُ المـــنى والتُّرّهات[٥]

سألتك ما المنية أىُّ كأس وكيف مَذاقُها ومَن السّقاة

وماذا يوجس الإنسانُ منها إذا غَصّت بعلقمها اللّهاة[٦]

وأىُّ المصرعَيْنِ أَشَدُّ : موتٌ على علم أم الموتُ الفوات ؟[٧]

وهل تقع النفوسُ على أمانٍ كماوقعت على (الحرم) القَطاة ؟[٨]

---

(١) الصافنات : الخيل .

(٢) يريد بالبروج : الطائرات .

(٣) العنان : الزمام . والسافيات : الرياح .

(٤) الرمس : القبر .

(٥) الترهات : جمع ترهة ، بتشديد الراء مفتوحة ، وهى الباطل .

(٦) اللهاة ـ بفتح اللام ـ موضع الحلق من داخل الفم .

(٧) الموت الفوات : الموت المفاجئ .

(٨) القطاة : الحمام أو طير يشبه الحمام ، ويقصد بالحرم : الحرم المكى حيث يحرم صيد الطيور اللائذة به .

وتخلد أم كزعم القوم تبلى ... كما تبلى العظامُ أو الرُّفات ؟
تعالى الله قابضُها إليه ... وناعشها كما انتعش النَّبات
وجازيها النعيمَ حِمًى أمينا ... وعيشًا لا تكدِّره أذَاةُ
أمثلُك ضائقٌ بالحق ذَرعًا ... وفى بُرديْك كان له حماة[1]
أليس الحقّ أن العيش فانٍ ... وأن الحىَّ غايتُه الممات
فنَم ما شئت لا توحشْك دُنيا ... ولا يَحْزُنْك مِن عيشٍ فَوات
تصرّمتِ الشبيبةُ والليالى ... وغاب الأهلُ واحتجب اللّدات
خلَت (حِلميةٌ) ممَّن بناها ... فكيف البيتُ حولك والبنات[2]
أفيه من (المحلة) قوتُ يوم ... ومن نِعمٍ ملأْن (الطودَ) شاة[3]
وهل لك من حريرهما وِسادٌ ... إذا خَشُفت لجنبيْك الصَّفاة[4]
تَولى الكلُّ لم ينفعك منه ... سوى ما كان يَلتقط العُفاة
عبادُ الله أكرمُهم عليه ... كرامٌ فى بريته أُساة
كمائدة المسيح يقوم بؤس ... حواليها وتَقعد بائسات
أخذتُك فى الحياة على هنات ... وأىُّ الناس ليس له هنات ؟[5]
فصفحًا فى التراب إذا التقينا ... ولُوشِيَتِ العَداوة والتِّرات

---

(١) حماة جمع حمة ، وهى الإبرة يضرب بها النحل ونحوه .

(٢) الحلمية : حيث كانت دار الفقيد . وقوله « وكيف البيت حولك والبنات » . يسأله عن حاله فى القبر وعن زاده هناك .

(٣) المحلة : محلة روح قرية فى إقليم الغربية بمصر ، حيث كانت توجد أملاك الفقيد الواسعة .

(٤) الصفاة : الحجر والمقصود به هنا القبر .

(٥) الهنات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير . وقد تعرف أسباب تلك الهنات من قصيدة مطبوعة فى الجزء الأول من الشوقيات .

خُلقتُ كأنى (عيسى) حرائم على قلبى الضغينةُ والشَّمات
يُساء إلىَّ أحيانا فأمضى كريمًا لا أفوت كما أفات
وعَقدى للرجال وإن تجافَوْا منازلُ فى الحفاوة لا تفات

***

طلعت على (النَّدىّ) (بعين شمس) فوافتها بشمسيْن الغداة
على ما كان يَندو القومُ فيها تَوافى الجمعُ وائتمر السَّراة (١)
تَملَّكهم وقارك فى خُشوع كما نَظمت مُقيمها الصَّلاة
رأيتَ وجوه قومك كيف جلَّت وكيف تَرعرعت مصرُ الفتاة
أجيلَ الرأىُ بين يديك حتى تَبينت الرزانةُ والحصَاة (٢)
وأنت على أعِنَّتهم قدير وهم بك فى الذى تَقضى حُفاة (٣)
إذا أبدى الشبابُ هوًى وزهوًا أشار إليه حلمُك والأَناة
فهلّا قمت فى النادى خطيبًا لك الكلمُ الكبار الخالدات
تُفجِّر حكمة (التسعين) فيه فآذانُ الشبيبة صاديات (٤)
تقول متى أرى (الجيران) عادوا وضُمَّ على الإخاء لهم شتَات (٥)
وأين أُولو النُّهى منا ومنهم عسى يأسَون ما جرح الغُلاة (٦)

---

(١) يندو القوم : إذا اجتمعوا ليتشاوروا فى ناديهم . والسراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .
(٢) الحصاة : العقل والرأى .
(٣) الحفاة : جمع حفى ، وهو هنا بمعنى العالم يتعلم باستقصاء . قال الله تعالى « كأنك حفى عنها » ، أى سائل عنها باستقصاء .
(٤) التسعين . هى مدة عمر الفقيد . وصاديات ، أى ظامئات .
(٥) الجيران : هم القبط والمسلمون فى مصر .
(٦) الغلاة : هم البالغون حد الإفراط فى عقائدهم وآرائهم .

مشت بين العشيرة رُسْلُ شرٍّ ... وفرّقت الظنونَ السيئات

إذا الثقةُ اضمحلّت بين قوم ... تمزقت الروابطُ والصّلات

فثِق فعسى الذين ارْتَبت فيهم ... على الأيام إخــوانٌ ثِقات

وربَّ محبَّبٍ لا صــبرَ عنه ... بدت لك فى محبتــه بَداة(١)

ومكروهٍ على أخذات ظنٍّ ... تحببه إليــك التجربات

بنى الأوطان هبّوا ثم هبوا ... فبعضُ الموت يَجلبه السُّبات(٢)

مشى للمجد خَطْفَ البرقِ قومٌ ... ونحن إذا مشينا (السلحفات)

يُعِدُّون القُوَى برًّا وبحرا ... وعُدَّتُنا الأمانى الكاذباتُ

---

(١) البداة ، من قولهم : بدا لى فى هذا الأمر بداء ، أى ظهر لى فيه شىء .

(٢) السبات : النوم ، وأصله الراحة ، ومنه قوله تعالى : « وجعلنا نومكم سباتا » .

عثمان باشا غالب (*)

ضجّت لمصرَع (غالب) فى الأرض (مملكةُ النبات)
أمست (بتيجان) عليـ ـه من الحِداد مُنكِّسات (١)
قامت على (ســاق) لغيـ ـبته وأقعــدت الجهات
فى مأتم تَلــقَى الطبيـ ـعةَ فيــه بين النائحات
وترى (نجومَ الأرض) من جزعٍ موائدَ كاســفات
والزهرُ فى (أكمامه) يَبكى بدمع الغــاديات
حُبست أقاحىُّ الرُّبى والعهدُ فيها مُومِضات (٢)
وشــقائقُ النعمان آ بت بالخــدود مخمشات (٣)
أمَّا مصاب الطبِّ فيـ ـه فسل به مَلأ الأُساةِ (٤)
أودى الحِمــامُ بشيخهم ومآبِهم فى المُعضِــلات
مُلقِى الدروس المســفرا تِ عن الغُروس المثمِرات
قد كان حربَ الظــلم حر بَ الجهل حرب النزَّهات
والمُســتضاء بنُــوره فى الحافيات المُظلمات
عــلم الورى فى علمــه فى الغرب مغترب الرفات

(*) عثمان باشا غالب : كان طبيبا عظيما وعالما بالنبات يشار إليه بالبنان ، توفى فى باريس سنة ١٩٢٠ .

(١) التيجان للنبات : هى أكاليل الثمار ، كالأكمام .

(٢) الأقاحى : جمع الأقحوان ، ويطلق هنا على النبات أو الزهر ، ولكنه فى الأصل علم على نبات بعينه . والربى جمع ربوة ، وهى المكان المرتفع .

(٣) شقائق : جمع شقيقة ، وهى الموضع ينبت الأعشاب . وشقائق النعمان : موضع بعينه كثر فيه النبات المختلف الألوان والشيات ، مر عليه النعمان بن المنذر فأعجبه فقال : هو لى . فلم يعد أحد يمسه . ومن ذلك سمى شقائق النعمان وصار كل موضع ينبت مثل ذلك يقال له شقائق النعمان . والخدود فى شقائق النعمان يقصد بها الورود . وتخميشها ، يعنى لطمها أو قطعها .

(٤) الملأ : الجماعة من الناس . والأساة جمع آسى ، وهو الطبيب .

قد كان فيه محلَّ إجـــلالِ الجهـــابذةِ الثِّقاتِ
ومثّـــلَ المصريّ فى حظ الشعوب من الهِبات
قل للدريب إليـــك لا تأخذْ على الحرّ الهنات
إن النوابغَ (أهـــلَ بد ر) مالهم من سيئات (١)
هم فى عُلا الوطنِ الأدا ةُ فلا تحطَّ من الأداة
وهم الألى جمعـــوا الضما ئر والعزائمَ من شَـــتات
لهم التِّجِـــلَّة فى الحيا ة وفوق ذلك فى الممات
(عثمانُ) ثُم تَر آيةً اللهُ أحيا (المومياتِ)
خرجَت بنين من الثَّرى وتحركت منه بنات
واسْمـــع بمصر الهاتفـــين بمجدها والهاتفات
والطـــالبين لحقهـــا بين السكينة والثَّبات
والجاعليهـــا قِبـــلةً عند الترنُّم والصـــلاة (٢)
لاقَـــوْا أُبوّتَهـــم على غُرِّ المناقب والصفات
حتى الشـــباب تراهمُ غلبوا الشيوخَ على الأَناة
وزَنوا الرجالَ فكان ما أَعطَوْا على قدر الزّنات (٣)
قل للغالِطِ فى الحقـــا ئق حاضرٍ منهـــا وآت
الفكرُ جاء رســـولُه وأتى بإحـــدى المُعجزات
عيسى الشعورِ إذا مشى ردَّ الشعوبَ إلى الحياة

---

(١) أهل بدر : هم أول الغزاة مع محمد صلى الله عليه وسلم ، شبه النوابغ بهم . ووجه الشبه بينهما هو سبق كل منهما لإحراز أسمى مراتب الشرف والرفعة . تقول : وهذا نوع من وجه الشبه لم نر شاعرا فطن إليه قبل شوقى حياه الله .

(٢) الترنم : أحد ضروب العبادة فى المسيحية ، كالصلاة عند المسلمين .

(٣) الزنات : جمع زنة (كعدة) وهى المرة من الوزن .

عبـــد الحى(*)

طُوِىَ البساطُ وجَفَّت الأقداحُ ... وغدت عواطل بعدكَ الأفراح(١)
وآنفضَّ نادٍ بالشآم وسامرٌ ... فى مصرَ أنت هَزاره الصّداح(٢)
وتقوَّضت للفنّ أطولُ سَرْحةٍ ... يُغدَى إلى أفيائها ويُراح(٣)
والله ما أدرى وأنت وحيدُه ... أعليه يُبكى أم عليك يُنَاح؟
(إسحاقُ)مات فلاصَبُوح و(معبد) ... أودى فليس مع الغَبوق فَلاح(٤)
مَلِكَ الغِناء أزاله عن تخته ... قدَرٌ يُزيل الراســياتِ مُتاح
فى الترب فوق (بنى سويفَ) يتيمةٌ ... ومن الجواهر زَيّفٌ وصِحاح(٥)
ما زال تاجُ الفن تيّاهاً بها ... حتى استبدّ بها الردى المُجتاح
لو تستطيع كرامةٌ لمكانها ... مَشت الرياضُ إليه والأدواح

***

رُحماكَ (عبد الحى) أمُّك شَيخةٌ ... قعدت وهِيض لها الغداةَ جَناح
كُسرت عصاها اليوم فهى بلاعصا ... وقضى فتاها الأجودُ المِسماح
الله يعلمُ إن يكن فى قلبها ... جُرح ففى أحشاء مصرَ جراح

(*) هو المرحوم عبد الحى المغنى ، ذاع صيته فى مصر وجاوزها إلى الأقطار العربية حتى عد وحيد عصره وإمام فنه . توفى سنة ١٩١٢ م .

(١) طوى البساط : تعبير يكنى به عن انتهاء عوامل السرور .

(٢) الهزار : طائر حسن الصوت ، وهو فارسى ، معرب عن هزار دستان .

(٣) السرحة : الشجرة العظيمة . والأفياء . جمع فىء ، وهو من شجر الظل والثمر

(٤) إسحاق ومعبد : علمان على مغنيين . والصبوح : الشرب أول الصباح . والغبوق الشرب بالعشى .

(٥) دفن الفقيد فى بنى سويف وهى بلدة مشهورة بالقطر المصرى . والجواهر الزائفة : هى ضد الجواهر الصادقة الصحيحة .

والناسُ مَبْكِىٌّ وباك إثرَه ... وبُكا الشعوبِ إذِ النوابغُ طاحوا

كان النَّدامى إن شدوت وعاقروا ... سيانِ صوتُك بينهم والرَّاح(١)

فيما تقول مُغنّيا ومُحدِّثا ... تتنافسُ الأسماعُ والأرواح(٢)

فارقتَ دنيا أرهقتك خسارةً ... وغنِمت قربَ الله وهو رَباح

يا مُخلفا للوعد وعدُك ماله ... عندى ولا لك فى الضمير بَراح

عبَثت به وبكَ المنيةُ وانقضى ... سببٌ إليه بأُنسنا نَرتاح

لما بلغنا بالأحبّة والمنى ... بابَ السرور تَغيب المِفتاح

زعموا نعيَّكَ فى المجامع مازحا ... هيهات فى ريْب المَنونِ مزاح

الجدُّ غايةُ كلِّ لاهٍ لاعبٍ ... عند المنيةِ يَجْزَع المِفراح(٣)

رَمَت المنايا إذ رميْنَك بُلبلا ... أرداه فى شَرك الحياة جماح

آهاتُه حُرَقُ الغرام ولفظُه ... سجعُ الحمَام لو آنهن فصاح

وذبحن حنجرةً على أوتارها ... تُوسَى الجِراحُ وتُذبح الأتراح

وفللن من ذاك اللسانِ حديدةً ... يَخشى لئيمٌ بأسَها ووَقاح

وأبحْن راحتَك البِلى ولطالما ... أمسى عليها المالُ وهو مباح

روحٌ تناهت خِفةً فتخيرت ... نُزلا تَقاصرُ دونه الأشباح

قم غنّ ولدانَ الجنانِ وَحُورَها ... وأبعث صداك فكُلنا أرواحُ

---

(١) الندامى : جمع نديم . وعاقروا : من المعاقرة ، وهى شرب الراح . والراح : الخمر يشبه صوته بالخمر لأن كليهما مسكر .

(٢) يقول : إن حديثه كان مثل غنائه . والمأثور عن عبد الحى أنه كان فكه الحديث بارع النكتة .

(٣) المفراح : كثير الفرح .

محمد ثابت باشا(*)

سِرْ أبا صالح إلى الله واترك ... مصرَ فى مأتمٍ وحُزنٍ شديدِ
هذه غايةُ النفوسِ وهذا ... مُنتهى العيشِ مُرِّه والرغيد
هل ترى الناسَ فى طريقك إلا ... نعش كهلٍ تلاه نعشُ وليد
إنَّ أوهى الخيوط فيما بدا لى ... خيطُ عيشٍ معلَّقٌ بالوريد(١)
مُضغةٌ بين خَفقةٍ وسكونٍ ... ودمٌ بين جريةٍ وجُمود
أنزلوا فى الثَّرى الوزيرَ ووارَوْا ... فيه تسعين حجةً فى صعود
كنت فيها على يدٍ من حرير ... لِلَّيالى فأصبحت من حديد(٢)
قد بَلوناكَ فى الرياسة حينًا ... فبَلوْنا الوزيرَ عبدَ الحميد(٣)
آخذًا من لسان فارسَ قسطًا ... وافرَ القسم من لسان لَبيد(٤)
فى ظلال الملوك تُدنى إليهم ... كلَّ آوٍ لظلِّكَ الممدود
لستَ مَنْ مَرَّ بالمعالم مَرًّا ... إنما أنت دولة فى فقيد
قُم فحدِّث عن السنين الخوالى ... وفتوحِ المملَّكين الصِّيد(٥)

(*) هو أحد باشوات مصر الكبار . عاصر أكثر ولاة مصر من الأسرة العلوية ، وتوفى سنة ١٩٠١ بعد أن عمر حوالى تسعين عاما .

(١) الوريد : شريان ـ بكسر الشين ـ ، وهو عرق رئيسى فى جسم الإنسان . يشبه العروق فى جسم الإنسان بالخيوط ليتوصل بذلك إلى إثبات ضرورة الضعف فى الحياة وعدم بقائها .

(٢) يد من حرير ، كناية عن رفاهية العيش .

(٣) بلوناك فى الرياسة : أى اختبرناك . والوزير عبد الحميد هو عبد الحميد الكاتب المشهور

(٤) القسم : هو العطاء أو الحظ . ولبيد : شاعر عربى قديم . والغرض أن المرثى كان ملما بالفارسية والعربية .

(٥) الصيد : جمع أصيد ، وهو العزيز الجانب .

والذى مرَّ بين حالٍ قديم ... أنت أدرى به وحالٍ جديد
وصِف العزَّ فى زمان (علىٍّ) ... وآذكر اليُمنَ فى زمان سعيد(١)
كيف أُسطولُهم على كل بحر ... وسَراياهمُ على كلِّ بِيدِ(٢)
قد تَوَلَّوا وخلَّفوك وَفيًّا ... فى زمانٍ على الوفىِّ شديد
فألْحِق اليومَ بالكرام كريمًا ... وألْقهم بين جَنةٍ وخلود
وتقبَّل وَدَاعَ باكٍ على فَقْـ ... ـدِكَ وَافٍ لعهدِك المحمود

---

(١) يريد زمان محمد على الكبير ، ورفاهة العيش فى زمن الخديو سعيد باشا .
(٢) السرايا : جمع سرية — بالياء المشددة مفتوحة — ، وهى القطعة من الجيش لا يزيد عددها عن الأربعمائة . والبيد : جمع بيداء ، وهى الصحراء .

محمد فريد بك(*)

كلُّ حيٍّ على المنيَّـة غادى ... تَتَوالى الركابُ والموتُ حادى (١)

ذَهب الأوّلونَ قَرْنًا فقَـرْنًا ... لم يَدُم حاضرٌ ولم يَبـق بادى (٢)

هل تَرى منهمُ وتَسمعُ عنهم ... غـيرَ باقى مآثرٍ وأيادى (٣)

كُرَةُ الأرض كم رمَتْ صولجانا ... وطوَت من مَلاعبٍ وجِياد

والغُبـارُ التى على صفحتَيْها ... دَورَانُ الرَّحى على الأجساد (٤)

كلّ قبرٍ من جانب القفر يبدو ... علم الحق أو منار المعَاد

وزِمام الركاب من كلّ فَجٍّ ... وتحطّ الرِّحالِ من كل وادى

تَطلع الشمسُ حيث تطلع نضْجا ... وتُنحّى كمِنجَل الحصّاد (٥)

تلك حمراء فى السماء وهـذا ... أعوجُ النَّصل من مِراس الجِلاد

ليت شعرى تَعمَّدَا وأصَرَّا ... أم أعانا جنـايةَ المِيـلاد

كذبَ (الأزهَرانِ) ماالأمرُ إلا ... قَدَرٌ رائحٌ بما شاء غادى (٦)

(*) محمد بك فريد : الرئيس الثانى للحزب الوطنى ، هو الضحية الغالية للوطنية المصرية فقد ورث عن والده ثروة طائلة جدا بذلها إلى آخر درهم فى سبيل طلب الاستقلال لمصر والسودان ، وظل يجاهد إلى أن مات معدما فقيرا فى سنة ١٩٢٠ محكوما عليه بالنفى والتشريد حيث لم يسمح له بالعودة إلى وطنه إلا ميتا .

(١) الحادى : هو الذى يغنى للقافلة فتنشط فى مسيرها .

(٢) الحاضر : ساكن الحضر . والبادى : ساكن البادية .

(٣) الأيادى : جمع يد . ويقصد باليد ، العطية أو الصنيعة ، ولاتجمع اليد على أيادى إلا بهذا المعنى فإذا أريد جمع اليد الحقيقية قيل : أيدى .

(٤) المفهوم من المقام أن الرحى المقصودة هى رحى المنون ، فاكتفى بتعريفها بأل . كأنه يقول : الرحى المعهودة .

(٥) قوله : وتنحى كمنجل الحصاد ، أى هلالا شكله كالمنجل فى اعوجاجه .

(٦) الأزهران : الشمس والقمر .

يا حماما ترنّمت مُسعِداتٍ ... وبها فاقةٌ إلى الإسعاد (١)

ضاق عن ثُكلها البُكا فتغنّت ... ربَّ ثكل سمعتَه من شادى (٢)

الأناةَ الأناةَ كلُّ أليفٍ ... سابقُ الإلفِ أو مُلاقى انفراد

هل رَجعتُنَّ فى الحياة لفهمٍ ... إنّ فهمَ الأمور نِصفُ السَّداد

سَقَمٌ من سَلامةٍ وعزاءٌ ... من هناءٍ وفُرقةٌ من وداد

يُجتنَى شهدُها على إبرِ النحـ ... ـل ويُمشى لوَرْدها فى القَتاد (٣)

وعلى نائمٍ وسهرانَ فيها ... أجلٌ لا ينام بالمِرْصاد

(لُبدٌ) صاده الرَّدى وأظنّ النَّسر من سَهمه على ميعاد (٤)

سافةَ النعشِ بالرئيس رُويدًا ... موكبُ الموت مَوضعُ الإتّئاد (٥)

كلُّ أعواد مِنبرٍ وسريرٍ ... باطلٌ غير هذه الأعواد

تستريح المطىُّ يوما وهذى ... تنقل العالمين من عَهد عادِ

لا وراء الجِياد زيدَت جَلالا ... منذ كانت ولا على الأجياد

أسألتم حقيبةَ الموت ماذا ... تحتها من ذَخيرةٍ وعتاد

إن فى طيها إمامَ صُفوف ... وحَوارىَّ نيَّةٍ واعتقاد (٦)

لو تركتُم لها الزمامَ لجاءت ... وحدَها بالشهيد دارَ الرَّشاد

---

(١) الإسعاد : الإعانة . تقول : أسعدنى على كذا ، أى أعنى عليه .

(٢) الثكل هنا : بمعنى الحزن . والشادى : المغنى .

(٣) القتاد : شجر صلب له شوك كالإبرة .

(٤) لبد — بضم اللام وفتح الباء — : علم على آخر نسور لقمان . زعموا أن لقمان هذا عاش عمر سبعة أنسر كان آخرهم النسر المسمى : لبد . أما قوله « وأظن النسر » فليس المقصود الطائر المعروف بالنسر ، وإنما يقصد أحد الكواكب فى السماء معروفا باسم النسر . يقول : إن لكل كائن سهم من المنية مقدور .

(٥) سافة الجيش أو سافة النعش هم السائرون فى المقدمة . والائتناد بمعنى الترفق والتمهل

(٦) الحوارى : مفرد الحواريين ، وهم الصفوة المختارة من الصحاب .

أُنظروا هل ترَوْن فى الجمع مِصرا ... حاسرا قد تجلَّلت بسـواد
تاجُ أحرارِها غُلاما وكهلا ... راعَها أن تَراه فى الأصفاد
وَسَّدُوه الترابَ نِضْوَ سِفارٍ ... فى سبيل الحقوق نِضو سُهاد (١)
وآركِزوه إلى القيامة رُمحًا ... كان للحَشْد والنّدى والطِّراد
وأقِرُّوه فى الصفائح عَضبًا ... لم يَدِن بالقرار فى الأغماد
نازِحَ الدارِ أقصر اليوم بَيْنٌ ... وانتهت محنةٌ وكفَّت عوادى (٢)
وكفى الموت ما تخاف وترجو ... وشَفى من أصادقٍ وأعادى
مَن دَنا أو نأى فإنَّ المَنايا ... غايةُ القرب أو قُصارى البعاد
سِرْ مع العمر حيث شئت تَوَوبا ... وآفقد العمرَ لا تَؤُبْ من رُقاد
ذلك الحقُّ لا الذى زعمـوه ... فى قديمٍ من الحديث مُعاد
وجرى لفظُه على ألسُن النا ... س ومعناه فى صُدور الصِّعاد (٣)
يَتحلَّى به الغـوىُّ ولكنْ ... كتحلِّى القتالِ باسم الجهاد
هل تَرى كالتُّراب أحسنَ عَدلا ... وقيامًا على حُقوق العباد؟ (٤)
نزل الأقوياءُ فيـه على الضَّعـ ... ـفَى وحـلَّ المُلوكُ بالزُّهاد
صفحات نقيَّة كقُلوب الرُّسْل مَغسولة من الأحقاد
قُم إن آستطعتَ من سريرِكَ وآنظُر ... سِرّ ذاكَ اللواءِ فى الأجنـاد

---

(١) النضو : المهزول الجسم .
(٢) عوادى الدهر : عوائقه .
(٣) الصعاد : الرماح .
(٤) يقول : إنه لم يجد الحق خالصا فى هذه الأرض إلا للقوة ، ولم يجد العدل كاملا إلا فى التراب حيث يسوى الأقوياء بالضعفاء والظالمين بالقانعين .

هل تراهم وأنتَ مُوفٍ عليهم غيرَ بُنيان ألفةٍ واتّحاد (١)
أمّةٌ هُيِّئت وقومٌ لخير الـ ـدهر أو شرّه على استعداد
مصرُ تبكى عليكَ فى كلِّ خِدرٍ وتَصوغُ الرثاء فى كلِّ نادى
لو تأمّلتَها لراعَك منها غُرَّةُ البِرِّ فى سَوادِ الحِداد
مُنتهى ما به البلادُ تُعزَّى رجُلٌ مات فى سبيل البلاد
أمّهات لا تحمِل الثُّكلَ إلا للنجيب الجرىءِ فى الأولاد
(كفريدٍ) وأينَ ثانى فريدٍ أىُّ ثانٍ لواحدِ الآحاد
الرئيس الجَوادِ فيما علِمنا وبَلَوْنا وابنِ الرئيسِ الجَواد
أكلَت مالَه الحقوق وأبْلَى جِسمَه عائدٌ من الهمِّ عادى
لك فى ذلك الضَّنى رِقَّةُ الرُّو حِ وخَفْقُ الفؤاد فى العُوَّاد
عِلّةٌ لم تَصل فِراشَك حتى وطِئَتْ فى القُلوب والأكباد
صادفتْ قرحةً يُلائمُها الصبـ ـرُ وتأبى عليه غيرَ الفَساد
وعَدَ الدهرُ أن يكون ضِمادا لك فيها فكان شرَّ ضِماد
وإذا الرُّوح لم تُنفّس عن الجسـ ـم (فبقراط) نافخٌ فى رَماد (٢)

---

(١) يشير هذا البيت إلى حقيقة تاريخية : هى أن عودة الفقيد ميتا كانت فى زمن اتحاد الأمة المصرية جميعا على طلب الاستقلال التام ، فلم يكن هناك أحزاب مختلفة المطالب وقتئذ

(٢) بقراط : هو أبو الطب ، كما يقولون .

البنون والحياة الدنيا (*)

الضلوعُ تَتَّقِدُ والدموع تَطَّرِدُ
أيُّها الشَّجِيُّ أفِقْ من عَناء ما تجِدُ
قد جَرَت لغايتها عَبْرَةٌ لها أمَد
كلُّ مُسرفٍ جَزَعا أو بُكًى سيَقْتَصد
والزمانُ سِنَّتُه فى السلُوّ يجتهد
قل لثاكلَيْن مشَى فى قُواهما الكَمَد
لم يُعافَ قَبْلَكما والدٌ ولا ولَدُ
الذين مِيل بِهم فى سِفارهم بَعُدُوا
ما علمْتما أشَقُوا بالرحيل أم سعِدوا
إن منزلا نَزَلوا لا يَرُدُّ مَن يَرِد
كلُّنا إليه غَدٍ ليس بالبعيد غدُ

***

البنون هم دَمُنا والحياةُ والوُرْدُ (١)
لا تلذ مُقلَهم مُهجة ولا كبِد
يستوون . واحدُهم فى الحَنان والعَدَد
زينةٌ ومصلحةٌ واستراحةٌ ودَدُ (٢)

(*) نظم أمير الشعراء هذه القصيدة تعزية للكاتب الكبير الدكتور محمد حسين هيكل (بك) فى فقد وحيده سنة ١٩٢٥.

(١) الورد : جمع وريد ، كبريد وبرد .

(٢) الدد — بالفتح — : اللهو واللعب .

فِتْنَةٌ إذا صَلَحوا مِحْنَةٌ إذا فَسَدُوا
شاغِلٌ إذا مَرِضوا فاجِعٌ إذا فُقِدوا
جُرحُهم إذا آنتُزِعوا لا تَلُمْه الضُّمُدُ
العَزاءُ ليس له آسِيًا ولا الجلدُ

***

قل (لِهَيْكلٍ) كَلِمًا من وراثها رَشَدُ
لم يشُب مُهذَّبها باطلٌ ولا فَنَد (١)
قد عجبتُ مِن قلم ثاكلٍ ويَنجرد
أنت ليثُ معرَكةٍ وهو صارمٌ فَرد
والسيوفُ نَخْوَتُها فى الوَطيس تتقد (٢)
أنت ناقدٌ أَرِبٌ والأريبُ يَنتقد
ما تقول فى قَدَرٍ بعضُ سِنّه الأبَد
وهو فى الحياة عَلَى كل خُطوةٍ رَصَدُ
يَعثُر الأنامُ به إن سَعَوا وإن قَعدوا
ينزل الرجالُ على حُكمه وإن جَحَدُوا
القضاءُ مُعضِلةٌ لم يحُلَّها أحد
كلما نقضتَ لها عُقدةً بَدتْ عُقَد
أتعبتْ مُعالِجَها وآستراح مُعْتَقِدُ

---

(١) الفند : هو الكذب .
(٢) الوطيس : الحرب .

***

عالَمٌ مُدبّرُه بالبقاء مُنفردُ
مِن بِلَى كوائنه كائناتُه الجُددُ
لا تقل به إدَدٌ إنّ حُسنَه الإدَد(١)
تلتقى نقائضهُ غايةً وتتّحد
الفناء فيه يدٌ للبقاء أو عَضد
آئتلافه رَشَد وآختلافه سَدد
جَدَّ فى عمارته مُنْصِفٌ ومضطَهَد
والغنى لِخِدمته كالفقير مُحتشِد
وهو فى أعِنّته مُمْعِنٌ ومطّرد
والحياةُ حَنْظلةٌ فى حروفها شُهدُ
هَيْكَلُ الشّقاء له من مَدامع عَمَد
قامت النعوشُ عَلَى جانبيْه والوُسُد
عُرْسُه ومأتَمُه غايتاهما نَفَدُ

---

(١) الإدد : جمع إدة ، بالكسر ، وهى الداهية .

ثروت باشا(٥)

يموت فى الغاب أو فى غيره الأسدُ ... كلُّ البلادِ وساد حين تتَّسِدُ(١)

قد غَيَّبَ الغربُ شمسًا لاسَقامَ بها ... كانت على جَنَباتِ الشرق تتَّقِد

حدا بها الأجلُ المحتومُ فاغتربتْ ... إن النفوس إلى آجالِها تفِد

كلُّ اغترابٍ مَتاعٌ فى الحياة سوى ... يومٍ يُفارقُ فيه المُهجةَ الجَسد

***

نعى الغمامَ إلى الوادى وساكنِه ... برقٌ تمـــايلَ منه السهلُ والجلد

برقُ الفجيعـــة لما ثار ثائرُه ... كادت كأمس له الأحزابُ تتحد

قام الرجالُ حيارَى مُنصتين له ... حتى إذا هدّ من آمالهم قعدوا

علا الصعيدَ نهارٌ كلُّه شَجَنٌ ... وجلّل الريفَ ليـلٌ كله سُهُدُ

لم يُبق للضاحكين الموتُ ماوجدوا ... ولم يَردَّ على الباكين ما فقدوا

وراء ريبِ الليالى أو فُجاءتِها ... دمعٌ لكل شماتٍ ضاحكٍ رَصَدُ(٢)

***

باتت على الفُلْكِ فى التَّابُوت جوهرةٌ ... تكادُ بالليـل فى ظلِّ البِلى تقِدُ(٣)

يُفاخِرُ النيلُ أصدافَ الخليج بها ... وما يدبُّ إلى البحرين أو يَرِدُ(٤)

---

(٥) هو المغفور له عبد الخالق ثروت باشا ، كان زعيما وطنيا عظيما وسياسيا إداريا خطيرا ، تولى رياسة الحكم فى البلاد أكثر من مرة وظفر من السياسة الانجليزية لمصر بتصريح ٢٨ فبراير . وقد سافر إلى أوربة لبعض المفاوضات السياسية المتممة لاستقلال مصر فلم يمهله الموت ، فقضى بفرنسا فى سنة ١٩٢٨ وجيء به ميتا . وكان بينه وبين أمير الشعراء صداقة حميمة ومودة قديمة ظهر أثرها فى هذه المرثية التى تقرأها فتحس رجعها يعود إليك من أعماق الخلود .

(١) هذا المطلع يشير إلى موته بفرنسا .

(٢) رصد : بمعنى مترقب .

(٣) يشير إلى مجيئه من أوربة فى نعش على الباخرة . وتقد : تضيء .

(٤) يريد بالخليج : الخليج الفارسى . وبالبحرين : أنهر بعينها حيث يكثر فيها اللؤلؤ ويصادمنها .

إنّ الجواهرَ أسناها وأكرمُها ما يقذِفُ المهدُ لا ما يقذِفُ الزَّبَدُ
حتى إذا بلغ الفلكُ المدَى انحدرَت كأنها فى الأكفّ الصارمُ الفرِد
تلك البقيّةُ من سَيْف الحمى كِسَرٌ على السرير ومن رُمح الحِمى قِصد(١)
قد ضمَّها فزكا نعشٌ يُطاف به مُقدَّمٌ كلواء الحـق مُنْفرِد
مشتْ على جانبَيْه مصر تنشُدُه كما تدلَّهت الثكلى وتفتقد(٢)
وقد يموت كثيرٌ لا تحسُّهم كأنهم من هوان الخَطْبِ ما وُجِدوا
تُكل البلاد له عقلٌ ، ونكبتُها هى النجابَةُ فى الأولاد لا العدد

***

مُكلِّلُ الهامِ بالتصريح ليس له عُودٌ من الهام يَحويه ولا نضد(٣)
وصاحب الفضل فى الأعناق ليس له من الصنائع أو أعناقهم سَـند
خلا من المِدفع الجبار مَركبُهُ وحلّ فيه الهدى والرفقُ والرشَد
إن المدافع لم يخْلَقْ لصحبتها جند السلام ولا قوّاده المُجُد

***

يا بانِىَ الصّرح لم يَشغَلْه مُمتدِحٌ عن البناء ولم يَصرفه مُنتقد
أصمَّ عن غضبٍ من حَوله ورضًى فى ثورةِ تلِد الأبطالَ أو تئِد(٤)

---

(١) القصد ـ بكسر القاف ـ : جمع قصدة ـ بكسرها أيضا ، وهى القطعة مما يكسر ، ويقال : رمح قصد ، بكسر الصاد : أى منكسر .

(٢) التدله : ذهاب الفؤاد من عشق أو حزن ونحوهما . وقوله « تفتقد » من قولهم : وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر .

(٣) العود هنا : هو السرير . والنضد ـ محركة الضاد ـ : ما نضد من متاع . والسرير ينضد عليه . كأنه يعجب لمن كل هامات مصر بمجيئه لها بهذا الفوز السياسى فى تصريح ٢٨ فبراير كيف لا يحويه مينا سرير متخذ من الهام أو منضد بها ، حتى يكون الجزاء من جنس العمل . ومن هذا النحو يقول البيت التالى « وصاحب الفضل فى الأعناق ... الخ » .

(٤) يريد بالثورة : ثورة مصر سنة ١٩١٩ . والوأد : دفن الأحياء . يريد أنه كان يعمل فى بناء صرح الوطن بدون رغبة فى مدح أو خوف من ذم فى شجاعة لا تخاف الثورة ، وهى لا عقل لها .

تصريحُك الخطوةُ الكبرى ومَرحلةٌ ... يدنو على مثلها أو يبعدُ الأمد

الحقُ والقوةُ ارتدا إلى حَكم ... من الفياصلِ ، ما فى دينه أوَد

لولا سِفارتُك المهديَّةُ اختصما ... ومَلَّ طول النِّضالِ الذئبُ والنقد(١)

ما زلت تطرقُ بابَ الصلح بينهما ... حتى تفتَّحت الابوابُ والسُّدَد

وجدتَها فرصةً تُلْقى الحبالُ لها ... إن السياسةَ فيها الصَّيدُ والطَّرد(٢)

طلبتَها عند هُوج الحادثاتِ كما ... يَمشى إلى الصيد تحتَ العاصف الأسَد

لما وجَدتَ مُعِدّاتِ البناءِ بذت ... يداك للقوم ما ذمُّوا وما حمِدوا

بنيتَ صرحك من جُهد البلاد كما ... تُبنَى من الصّخر الآساسُ والعُمُد

فيه ضحايا من الأبناء قيِّمةٌ ... وفيه سَعْىٌ من الآباء مُطرد

وفى أواسِيه أقلامٌ مجاهدةٌ ... على أسِنتها الإحسانُ والسّدد(٣)

وفيه ألويةٌ عَزَّ الجهادُ بهم ... لولا المنيَّةُ ما مَالوا ولا رَقدوا

رَمَيْتَ فى وَتدِ الذُّلّ القديم به ... حتى تزعزعَ من أسبابه الوتِد

طَوى حمايته المحتَلُّ وانبسطتْ ... حمايةُ الله فاستذْرى بها البلد

نَمْ غيرَ باكٍ على ماشِدتَ من كَرم ... ما شِيدَ للحقّ فهو السَّرْمَدُ الأبَد

يا (رُوةَ) الوطن الغالى كفى عِظةً ... للنَّاس أنك كنزٌ فى الثَّرى بَدَد(٤)

لم يُطْغِكَ الحُكمُ فى شتَّى مظاهِره ... ولا استخفَّك لِينُ العيش والرَّغَد

تغدو على الله والتاريخ فى ثِقةٍ ... ترجو فتُقدِم أو تخشى فتتّئِد

نشأتَ فى جَبْهةِ الدنيا وفى فمها ... يَدورُ حيث تدورُ المجدُ والحسد

---

(١) النقد : جنس من الغنم قبيح الشكل ، من الهزال أو غيره .

(٢) الطرد : مطاردة الصيد .

(٣) الأواسى : جمع آسية ، وهى من البناء : المحكم الدعامة . والسدد : بمعنى السداد ، أى الصواب

(٤) البدد : المتفرق .

لكلّ يوم غدٌ يمضى برَوْعتِه ... وما ليومكَ ياخيرَ اللّدات غَدُ

رمتْك فى قَنَواتِ القلبِ فانصدعت ... مَنيّةٌ مالها قلبٌ ولا كَبِد

لمّا أناختْ على تامُوركَ انفَجرت ... أزكى من الوَرْدِ أو من مائه الوُرُد(١)

ما كلُّ قلبٍ غدا أو راح فى دمه ... فيه الصديق وفيه الأهلُ والولد

ولم تُطاوِلك خوفًا أو يُناضلها ... منك الدهاءُ ورأىٌ مُنْقِذٌ نَجِد

فهل رَثَى الموتُ للبرّ الذّبيح وهل ... شجاه ذاك الحنانُ الساكنُ الهَمِد؟

هيهات! لو وُجِدَتْ للموت عاطفةٌ ... لم يَبك من آدم أحبابَه أحد

مشت تذودُ المنايا عن وديعتها ... مدينةُ النور فارتدّتْ بها رمد(٢)

لو يُدفَعُ الموتُ ردّتْ عنك عادِيَه ... للعلم حولكَ عَينٌ لم تَنَمْ ويد

***

« أبا عزيز » سلام اللهِ ، لارُسُلٌ ... إليك تحملُ تَسليمى ولا بُرُدُ(٣)

ونفحةٌ من قوافى الشعر كنتَ لها ... فى مجلسِ الرَّاح والرّيحانِ تحتشِد

أرسلتُها وبعثتُ الدمعَ يكْنُفُها ... كما تحدّرَ حولَ السَّوْسنِ البرَد(٤)

عطفتُ فيك إلى الماضى وراجَعنى ... وُدٌّ من الصّغرِ المعسول مُنعقِد

صافٍ على الدهر لم تُفْفِرْ خَلِيَّتُهُ ... ولا تغيّر فى أبياتها الشُّهُد

حتى لمحتُكَ مرموقَ الهلالِ على ... حدائةٍ تَعِدُ الأوطانَ ماتعِد

والشعرُ دمعٌ ووِجدانٌ وعاطفةٌ ... ياليت شعرىَ هل قلتُ الذى أجد؟(٥)

---

(١) النامور : القلب . والورد : جمع وريد ، العرق فى الجسم .

(٢) مدينة النور : تطلق فى هذا العصر على باريس .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) السوسن : نوع من الزهر . والبرد : هو ما يتساقط من المطر كحبات الثلج .

(٥) أى هل قلت الذى يجيش فى وجدانى ؟

عبد العزيز جاويش (*)

أصاب المجاهدُ عُقبى الشهيد ... وألقَى عَصاه المضافُ الشريد
وأمسى جَمادًا عدوُّ الجُود ... وباتَ على القيد خَصمُ القيود
حَداه السَّفار إلى مَنزلٍ ... يُلاقى الخفيفَ عليه الوئيد
فقَرّ إلى موعـــدٍ صادقٍ ... معزّ اليقين مذل الجحود
وبات الحوارىُّ من صاحبيْه ... شهيدَيْن أسرى إليهم شهيد
تَسَرَّبَ فى منكِبَىْ (مصطفى) ... كأمسٍ وبين ذراعَىْ (فريد) (١)
فيالك قبرًا أكَنَّ الكنوزَ ... وساجَ الحقوقَ وحاط العهود
لقد غيَّبوا فيك أمضى السيوفِ ... فهل أنت ياقبرُ أوفى الغُمود
ثلاثُ عقائِد فى حفـــرةٍ ... تَدكُّ الجبالَ وتُوهى الحديد
قَعَدن فكُنَّ الأساسَ المتين ... وقام عليها البناءُ المَشيد
فلا تَنس أمسِ وآلاءه ... ألا إن أمسِ أساسُ الوجود (٢)
ولولا البِلى فى زوايا القبور ... لما ظهرت جِدَّةٌ للهود
ومَن طلب الخُلْقَ من كَنزه ... فإنَّ العقيدةَ كنزٌ عتيد
تعلَّمَ بالصبر أو بالثّبات ... جليدُ الرجال وغيرُ الجليد

(*) هو الشيخ عبد العزيز جاويش أحد السابقين الأولين فى خدمة القضية المصرية. كان زعيما سياسيا دينيا عظيما، وقد كرس حياته لخدمة سياسة بلاد الإسلام عامة ومصر وتركيا خاصة، ثم حكم عليه بالنفى والتشريد مدة طويلة، ثم عاد إلى مصر ولم يلبث إلا بضع سنين، ومات فى سنة ١٩٢٩، وله وسائل سياسية كانت مضرب المثل فى الفصاحة والقوة فى وقتها.

(١) هو مصطفى كامل الزعيم الوطنى الأول، وفريد، هو محمد فريد الزعيم الوطنى الثانى، وكانا صاحبى الفقيد فى المبدأ والجهاد.

(٢) الآلاء: النعم.

***

طَريدَ السياسةِ مُنذ الشبابِ ... لقد آن أن يَستريحَ الطريد

لقيتَ الدواهيَ من كيدها ... وما كالسياسة داءٍ يكيد (١)

حَمَلْتَ على النفس مالا يُطا ... قُ وجاوزتِ المُسْتطاعَ الجهود

وقُلِّبتَ فى النار مثلَ النُّضا ... رِ وغُرِّبتَ مثل الجُمان الفريد

أتذكرُ إذ أنت تحت (اللواء) ... نَبيه المكانةِ جم العديد ؟ (٢)

إذا ماتطلَّعت فى الشاطئين ... رَنا الرِّيفُ وافتَنَّ فيك الصعيد

وهَزَّ النَّدِيُّ لك المَنْكِبَيْن ... وراحَ الثَّرى من زِحام يَميد

رسائلُ تُذرى بسجع البديع ... وتُنسى رسائلَ عبد الحميد

يَعيها شيوخُ الحِمى كالحديث ... ويَحفظُها النَّشءُ حِفظَ النشيد

فما بالُها نكرتها الأمورُ ... وطولُ المَدى وانتقالُ الجدود (٣)

لقد نَسِيَ القومُ أمْسِ القريب ... فهل لأحاديثه من مُعيد

يقولون ما (لأبى ناصر) ... ولِلتُّرك ما شأنُه والهنود ؟

وفيمَ تحمـــل همَّ الغريب ... من المُسلمينَ وهمَّ البعيد

فقلتُ وما ضركم أن يَقومَ ... مِن المُسلمين إمامٌ رشيد

أتَستكثِرون لهم واحدا ... ولى القديم نصيرُ الجديد

سَعَى ليُؤَلِّفَ بينَ القلوبِ ... فلم يَعْدُ هَدْيَ الكتاب المجيد

يَشُدّ عُرا الدينِ فى داره ... ويَدعو إلى الله أهلَ الجحود

وللقومِ حتى وَراءَ الفِفار ... دُعاةٌ تُغنّى ورُسْلٌ تشيد

---

(١) الداهى : هو الذى يأتى بالداهية ، وهى الأمر العظيم .

(٢) كان الفقيد محرر جريدة اللواء فى عهدها الأول .

(٣) الجدود هنا ، بمعنى الحظوظ .

***

جزى اللهُ مَلْكًا من المحسنين رَؤوف الفؤاد رحيم الوريد (١)
كأنَّ البيانَ بأيّامه أوالعلمَ تحتَ ظِلال (الرشيد) (٢)
يُداوى نَداه جِراحَ الكرام ويُدركُهم فى زوايا اللُّحود
أجارَ عِيالَك من دهرهم وَجامَلهم فى البَلاء الشديد
تولَّى الوليدةَ فى يُتمها وكَفكَفَ بالعطف دَمعَ الوليد

***

سلامٌ (أبا ناصر) فى التراب يعير الترابَ رفيفَ الورود
بَعُدتَ وعزَّ إليك البريدُ وهل بين حيٍّ ومَيْتٍ بريد
أجلْ بيننا رُسُلُ الذِّكريات وماضٍ يُطيف ودمعٌ يجود
وفكرٌ وإن عَقَلَتْه الحياةُ يظَلّ بوادى المنايا يَرود (٣)
أجلْ بيننا الخُشُبُ الدائباتُ وإن كان راكبُها لايعود
مضى الدهرُ وهى وراء الدُموعِ قيامٌ بمِلْك الصَّحارى قُعود
وكم حملت من صديدٍ يَسيل وكم وضَعَت من حِناشٍ ودود
نشَدتُك بالموت إلّا أبنْتَ أأنت شقىٌّ به أم سعيد؟
وكيف يسمى الغريب امرؤ نزيل الأبوّة ضيف الجدود (٤)
وكيف يُقال لجار الأوائل جارُ الأواخرِ ناء وحيد

---

(١) هو جلالة فؤاد الأول ملك مصر حيث تعطف على أبناء الفقيد ولم يتركهم بعد وفاة أبيهم لتصاريف الزمن ، فأنعم عليهم بهبة ملكية وافرة .
(٢) هو هارون الرشيد ، وقد اعتز العلم والأدب فى عهده اعتزازا كبيرا .
(٣) يرود : أى يبحث ويكتشف .
(٤) يقول : إن الميت ينزل فى التراب ضيفا على آبائه وجدوده . إذن فليس يصح أن نعتبره غريبا ولا وحيدا .

تعزية ورثاء(*)

كأسٌ مِن الدنيا تُدارْ مَن ذاقَها خَلع العِذارْ (١)
الليـــلُ قَوّامٌ بها فإذا ونَى قام النهار
وحَبا بها الأعمار لم تَدُم الطوالُ ولا القِصار
شَرِبَ الصبيُّ بها ولم يَخْل المعمَّر مِن خمار
وحَسا الكرامُ سُلافَها وتناول الهمَل العُقار (٢)
وأصاب منها ذو الهوى ماقد أصاب أخو الوقار
ولقد تميلُ على الجبا دو تَصْرَع الفَلكَ المُدار
كأسُ المنية فى يدٍ عَسْراء مامنها فِرار (٣)
تجرى اليمينَ فمن تو لَّـى يَسرةً جرت اليَسار
أودى الجرىءَ إذا جرى والمُسْتَميتُ إذا أغار
ليثُ المعامعِ والوقا ئِع والمواقِع والحصار
وبقيـــة الزُّمر التى كانت تَذود عن الذِّمار
جندُ الخلافة عَسكرُ الســـلطان حاميةُ الدِّيار
ضاقت (كريد) جبالُها بك يا (خلوصى) والقِفار

(*) وجه هذه التعزية إلى صديقه حامد بك خلوصى حين مات والده المرحوم الميرلاى مصطفى بك خلوصى ، وقد كان من الضباط الكرام الذين مجدوا فى قمع الثورة فى الجزيرة (كريد) أيام كانت تابعة للدولة العثمانية .

(١) العذار : الحياء والوقار .

(٢) السلاف والعقار : من أسماء الخمر ، يقال : حسا فلان الماء ، إذا شربه شيئا بعد شيء .

(٣) يقال للرجل أعسر ، إذا عمل بيده الشمال . والعرب تصف ما ليس محبوبا بالأعسر إذا كان مذكرا ، وبالعسراء إذا كان مؤنثا ، فيد المنية عسراء ؛ لأنها كذلك .

أيامُكم فيها وإن طال المدى ذاتُ اشتهار
عَلِمَ العدوُّ بأنكم أنتم لمِعصَمِها سِوار
أحدقتُمُ بمقرِّه فتركتموه بلا قَرار
حتى اهتدى مَن كان ضلَّ وثاب مَن قد كان ثار
واعْتزَّ ركنٌ للولا يةِ كان مُنقضَّ الجِدار

***

عِش للعُلا والمجدِ يا خيرَ البنين وللفَخار
أبكى لدمعك جاريا ولدَمع إخوتِك الصِّغار
وأوَدّ أنكمُ رجا لٌ مثل والدِكم كِبار
وأُريد بيتَكم عَما رًا لا يحاكيه عَمار
لاتخرج النَّعماء منـه ولا يُزايلُه اليَسار

ذكرى هيجو (*)

ما جَلّ فيهم عيدُك المأثورُ ... إلا وأنت أجلُّ يا فكتورُ

ذكروكَ بالمئة السنين وإنها ... عُمْرٌ لمثلكَ فى النجوم قصير

ستدوم ما دَام البيان وما ارتقت ... للعالمين مَداركٌ وشُعور

ولئن حُجبتَ فأنت فى نظر الورَى ... كالنّجم لم يُرَ منه إلا النُور

لولا التُّقى لفتحتُ قبرك للملا ... وسألتُ أين السيِّدُ المقبور (١)

ولقلتُ يا قوم انظُروا إنجيلَكم ... هل فيه من قَلم الفقيد سُطور؟

مَن بعدَه مَلَكَ البيان فعندكم ... تاجٌ فقدتم ربّه وسرير

مات القريضُ بموت (هوجو) وانقضى ... مُلك البيان فأنتُمُ جمهور

ماذا يَزيد العيدُ فى إجلاله ... وجَلالُه بيَراعِه مَسطور

فقدتْ وجوهُ الكائنات مُصوِّرا ... نزل الكلامُ عليه والتصوير

كشف الغطاء له فكلُّ عبارةٍ ... فى طَيِّها للقارئين ضمير

لم يُعْيه لفظٌ ولا معنًى ولا ... غرضٌ ولا نظم ولا منثور

مسلى الحزين يفكّه من حزنه ... ويَرُدّه لله وهْو قرير

ثأرَ الملوكَ وظلّ عند إبائه ... يرجو ويأملُ عفوَه المثُوور

وأعارَ (واترلو) جَلالَ يَراعِه ... فجلال ذاك السيف عنه قَصير (٢)

يأيها البحرُ الذى غَمرَ الثرى ... ومِنَ الثرى حُفرٌ له وقبور

أنتَ الحقيقةُ إن تحدَّب شخصُها ... فلها على مَرّ الزمان ظُهور

(*) نظمت هذه القصيدة فى ذكرى شاعر فرنسا الكبير « فكتور هيجو » لمناسبة مرور مائة عام على وفاته . (١) الملأ : جماعة الناس .

(٢) واترلو : علم على الموضع الذى حصلت فيه الموقعة التى هزم فيها نابليون هزيمته الكبرى .

ارفع حِدَادَ العالمين وعُدْ لهم ... كيما يُعيدُ بائس وفقير

وانظرْ إلى البؤساء نظرة راحِم ... قد كان يُسعِد جمعَهم ويُجير[1]

الحالُ باقيةٌ كما صوَّرتها ... من عهد آدمَ مابها تغيير

البؤسُ والنُّعمى على حَالَيْهما ... والحظ يَعدِل تارةً ويَجور

ومِن القَوىّ على الضعيف مُسَيطِرٌ ... ومن الغنىّ على الفقير أمير

والنفسُ عاكفةٌ على شهواتِها ... تأوِى إلى أحقادها وتثور

والعيشُ آمال تَجِدُّ وتنقضِى ... والموت أصدقُ والحياةُ غُرور[2]

---

(١) يشير إلى رواية البؤساء، تأليف فكتور هيجو.

(٢) العيش آمال نجد، أى تتجدد.

عبده الحمولى (*)

ساجعُ الشرق طار عن أوكاره ... وتَوَلى فنٌّ على آثاره (١)

غاله نافذُ الجناحين ماضٍ ... لا تفِرّ النسُور من أظفاره

يَطْرق الفرخَ فى الغُصون ويَغْشى ... (لبَدَا) فى الطويل مِن أعماره (٢)

كان مِزمارُه فأصبح داو ... دُ كئيبًا يبكى على مِزماره (٣)

(عبده) بيد أن كلَّ مُغنٍّ ... عبدهُ فى افتنانه وابتكاره

معبدُ الدولتَيْن فى مصرَ إسحا ... ق (السميين) ربِّ مصرٍ وجاره (٤)

فى بِساط الرشيدِ يوماً ويوماً ... فى حِمى جعفر وضافى سِتاره (٥)

صَفو ملكيْهما به فى ازديادٍ ... ومن الصَّفو أن يلوذَ بداره

يُخرج المالكين من حِشمةِ المُلْ ... ك وينسى الوقورَ ذكر وقاره

رُبَّ ليل أغارَ فيه القُمارى ... وأثارَ الحِسان من أقماره (٦)

(*) توفى عبده الحمولى فى سنة ١٩٠٢ ، وكان نادرة الزمن فى حسن الصوت وفى ابتكار الألحان ، هذا إلى أريحية ومروءة يضرب بهما المثل .

(١) الأوكار : جمع وكر ، وهو عش الطائر .

(٢) لبد : اسم نسر .

(٣) يشبه صوت المرثى فى صفائه بمزمار داود النبى صاحب الزامير .

(٤) يشبهه بمعبد وإسحاق . ويقصد بقوله « رب مصر وجاره » ملك مصر وجاره من أرباب الأقطار العربية . يعنى أن عبده كان يطرب الأقطار العربية جميعها كما كان معبد وإسحاق كذلك .

(٥) الرشيد : هو هارون الرشيد . وجعفر : هو جعفر البرمكى وزيره . والغرض أن المرثى كان ينتقل من بساط الملوك المشابهين للرشيد إلى بساط الوزراء المشابهين لجعفر .

(٦) القمارى : جمع قمرية ، نوع من الحمام حسن التغريد . والأقمار : جمع قمر . يريد أنه كان يطرب الحسان الشبيهات بالأقمار .

بصبًا يذكِر الرياضَ صباه وحجازٍ أرق مِن أسحاره[1]

وغناءٍ يدارُ لحنًا فلحنًا كحديثِ النديم أو كعُقاره

وأنينٍ لو آنه من مَشوقٍ عرف السامعون مَوضِع ناره

يتمنى أخو الهوى منه آهًا حين يُلحَى تكون من أعذاره

زفرات كأنها بَثُّ (قيسٍ) فى معانى الهوى وفى أخباره[2]

لا يجاريه فى تَفَنّنِه العو دُ ولا يَشتكى إذا لم يُجاره

يسمع الليلُ منه فى الفجر باليـ ـلِ فيُصغِى مستمهلاً فى فراره

فجع الناسُ يومَ مات (الحمولى) بدواءِ الهُموم فى عطّاره

بأبى الفنّ وآبنِه وأخيه القوىّ المكين فى أسراره

والأبىّ العفيف فى حالتيه والجواد الكريم فى إيثاره

يَحبس اللحنَ عن غنىٍّ مدلٍّ ويذيقُ الفقيرَ من مُختاره[3]

يا مُغيثًا بصوته فى الرزايا ومُعينًا بماله فى المكاره

ومُحِلَّ الفقيرِ بين ذَويه ومعزَّ اليتيم بين صِغاره

وعمادَ الصديق إن مال دهرٌ وشِفاءَ المحزون من أكداره

---

(١) صبا الرياض (بفتح الصاد) : نسيمها . أما كلمة « صبا » الواقعة فى أول البيت فمقصود بها نغمة معروفة فى فن الغناء ، وهى مفتوحة الصاد أيضاً . كأنها سميت بذلك تشبيها لها بالنسيم المعروف بالصبا ، وكذلك « حجاز » نغمة معروفة فى الغناء أيضا .

(٢) قيس : هو ابن الملوح الشهير بمجنون ليلى.

(٣) المدل بالمال : المتباهى به . يشير فى هذا البيت إلى بعض مايؤثر عن عبده رحمة الله عليه أنه كان يلجأ إليه الفقراء ليجهز أفراح أولادهم فيحسن إليهم ويجيب طلبهم وينفق من ماله فى تشييد الاحتفال اللائق بمهرته . وربما آثر هذه الليلة الفقيرة على دعوة أحد الأغنياء الكبار ، ويروى له فى هذا الباب حكايات كثيرة .

لستَ بالراحلِ القليـلِ فتُنسَى واحدُ الفنِّ أمّةٌ فى ديارِه
غايةُ الدَّهر إن أتَى أو تَوَلَّى ما لقِيتَ الغَـداة من إدباره
نَزَلَ الجَدُّ فى الثرَى وتساوَى ما مضَى مِن قيامه وعثاره
وانقضى الدَّاء باليقين مِن الحَـا لِيْن فالموتُ مُنتهَى إقْصـارِه
لهف قومى على مخايلِ عزٍّ زال عنا بِرَوْضِـه وهَزاره[1]
وعلى ذاهبٍ منَ العيش ولَّيـ ـتَ فولَّى الأخيرُ من أوطارِه
وزمان أنت الرِّضَى من بقايا هُ وأنت العزاء من آثاره
كان للناس ليلُه حين تَشدو لِحَقَ اليومَ لَيلُه بنَهاره

---

(١) الهزار : طائر حسن الصوت ، فارسى .

قاسم بك أمين(*)

يأيها الدمعُ الوفيُّ بدارِ ... تَقضى حقوقَ الرِّفقةِ الأخيار(١)
أنا إنْ أهنتُكَ فى تَراهم فالهوى ... والعهدُ أن يُبكوا بدمع جارى(٢)
هانوا وكانوا الأكرمينَ وغُودروا ... بالقفرِ بعد منازلٍ وديارِ
لهفى عليهم ساكنو دور الثرى ... مِن بعد سُكْنَى السَّمع والأبصار
أيْنَ البشاشةُ فى وَسيم وجُوههم ... والبِشْرُ للندماء والسُّمار(٣)
كُنَّا منَ الدنيا بهم فى رَوْضَةٍ ... مَرُّوا بها كنَسَائم الأسحار

***

عَطْفًا عليهم بالبكاء وبالأسَى ... فتَعهُّدُ الموتى مِن الإيثار(٤)
يا غائبينَ وفى الجوانح طيفُهم ... أبْكيكم من غُيَّبٍ حُضَّار
بينى وبينكم وإن طال المدَى ... سَفَرٌ سَأَزْمَعَه من الأسفار
إنى أكادُ أرَى مَحلَّ بينكم ... هذا قرارُكم وذاك قَرارى

***

أوكلَّما سَمَحَ الزمانُ وبُشِّرَت ... مصرٌ بفَردٍ فى الرجال مَنار(٥)
فجِعت به فكأنه وكأنها ... نجمُ الهِدايةِ لم يَدُم للسارى

(*) المرحوم قاسم بك أمين ، هو الزعيم صاحب دعوة تحرير المرأة فى مصر . وقد توفى فى سنة ١٩٠٩ .

(١) بدار : يعنى بادر .

(٢) يقول : إن الذين أبذل دمعى وأهينه فى ترابهم هم هواى وموضع حبى وليس عجيبا أن يبكى الإنسان أهل حبه وهواه .

(٣) السمار : جمع سامر . والسمر : حديث الأصدقاء بالليل .

(٤) الإيثار : هو أن تعطى لغيرك ما أنت محتاج إليه .

(٥) المنار : هو العلم يهتدى الناس به فى الطريق .

إنّ المصيبةَ فى (الأمين) عظيمةٌ ... تحمولةٌ لمشيئةِ الأقدارِ

فى أريحىٍّ ماجدٍ مُسْتَعْظَمٌ ... رُزْءُ الممالكِ فيه والأمصار

أوفى الرجالِ لعهدِهِ ولِرأيه ... وأبَرّهم بصديقِهِ والجار

وأشدّهم صبرًا لمعتقداتِهِ ... وتأدّبًا لمُجادلٍ ومُمارى

يَسقى القرائحَ هادئًا مُتواضعًا ... كالجدول المُترقرِق المُتوارى

قل للسّماء تَغُضّ من أقمارها ... تحتَ التّرابِ أحاسنُ الأقمار

من كلِّ وضّاءِ المآثرِ فائتٍ ... زُهرَ النجومِ بذكرِه السيّار

تمضى الليالى لا تَنال كمالَه ... بمَعيب نقصٍ أو مشين سرار(١)

آثارُه بعدَ الموتِ حياتُه ... إنّ الخلودَ الحقَّ بالآثار

يا مَن تفرّد بالقضاء وعِلمِه ... إلا قضاءَ الواحدِ القهار

ما زِلتَ تَرجوه وتخشَى سَهمَه ... حتى رَمى فأحطتَ بالأسرار

هلا بُعثتَ فكنتَ أفصحَ مُخبرا ... عما وراء الموتِ من (لازار)(٢)

انفضْ غُبارَ الموتِ عنك وناجِنى ... فعَساى أعْلمُ ما يكون غُبارى

هذا القضاءُ الجِدّ فارْوِ وهاتِ عن ... حُكمِ المنيّةِ أصدقَ الأخبار

كلٌّ وإن شَغفَته دُنياه هوًى ... يومًا مُطلّقُها طلاقَ (نوار)(٣)

لله (جامعةٌ) نهضتَ بأمرها ... هى فى المشارق مَصدرُ الأنوار(٤)

---

(١) سرار (بفتح السين وكسرها) : مشتق من قولهم : استسر القمر ، إذا خفى ليلة السرار ، وهى آخر ليلة أو ليلتين فى الشهر .

(٢) لازار أو عازار : اسم الرجل الذى أحياه سيدنا عيسى ، ويقول لو بعثت لكنت أفصح فى إخبارك عن الموت من هذا الرجل .

(٣) نوار : اسم امرأة بعينها كانت زوجة الفرزدق الشاعر فطلقها فندم كثيرا حتى ضرب المثل بندامته فى كل طلاق نادم .

(٤) هى الجامعة المصرية ، وكان للفقيد فضل مذكور فى إنشائها .

أُمْنِيَّةُ العُقلاء قد ظفِروا بها ... بعد اختلافِ حوادثٍ وطوارى

والعقلُ غايةُ جَرْيه لأَعِنَّةٍ ... والجهلُ غايةُ جَريه لعثَار

لو يعلمون عَظيم ما تُرجى له ... خَرجَ الشحيحُ لها من الدينار

تَشرِى الممالكُ بالدَّم استقلالَها ... قوموا اشتروه بفِضَّة ونُضار

بالعلم يُبنَى الملكُ حقَّ بِنائه ... وبه تُنال جلائلُ الأخطار

ولقد يُشاد عليه من شُم العلا ... ما لا يُشادُ على القَنا الخطّار(١)

إن كان سَرَّك أن أقمت جِدارها ... قد ساءَها أن مالَ خيرُ جِدار

أضحت من الله الكريم بذمّةٍ ... مرموقةِ الأعوانِ والأنصار

كُلِئت بأنظار (العزيز) وحُصّنت ... (بفؤاد) فهى مَنيعةُ الأسوار(٢)

وإذا العزيزُ أعارَ أمرًا نظرةً ... فاليُمنُ أعجلُ والسعُود جَوارى

ماذا رأيتَ من الحِجاب وعُسرِه ... فدعوتَنا لِترفُّقٍ ويَسار

رأْىٌ بَدَا لكَ لم تَجِدْه مُخالفًا ... ما فى الكتاب وسُنةِ المختار

والباسِلان : شُجاعُ قلبٍ فى الوغى ... وشُجاعُ رأْيٍ فى وغَى الأفكار

أوَدِدْتَ لو صارت نِساء النيل ما ... كانت نساء (قضاعةٍ) و (نِزار)(٣)

يَجْمعن فى سلم الحياةِ وحربِها ... بأسَ الرِّجالِ وحَشيةَ الأبكار

إن الحجابَ سَماحةٌ ويَسارةٌ ... لولا وحوشٌ فى الرجال ضَوارى

جَهلوا حقيقَته وحكمةَ حُكمِه ... فتجاوزوه إلى أذًى وضِرار

---

(١) الخطار : أى المهتز . واهتزاز القنا : كناية عن استعداده للقتال .

(٢) العزيز : هو كل ملك لمصر ، وكان الخديو عباس وقتئذ . وفؤاد ، هو جلالة ملك مصر فؤاد الأول .

(٣) ليس الغرض نساء هاتين القبيلتين قضاعة ونزار بالذات ، وإنما المقصود المرأة العربية الموصوفة فى البيت التالى .

***

يا قُبةَ (الغوريّ) تحتكِ مأثمٌ ... تَبقَى شعائرُه على الأدهار

يُحييه قومٌ فى القلوب على المدَى ... إن فاتَهم إحياؤه فى دار

هيهات تُنسَى أمّةٌ مدفونةٌ ... فى أربعين من الزمان قِصار

إن شئتَ يومًا أو أردتَ فَحِقبةً ... كلٌّ يَمُرُّ كليلةٍ ونَهار

هاتوا ابنَ (ساعدةٍ) يُؤبِّنُ قاسِما ... وخُذوا المراثى فيه من (بشّار)[1]

مِنْ كلِّ لائقةٍ لباذخ قَدرِه ... عَصْماء بين قلائدِ الأشعار

---

(١) ابن ساعدة ، هو قس بن ساعدة الإيادى ، أحد خطباء العرب الحكماء . يضرب به المثل فى بلاغة الخطب . وبشار : هو بشار بن برد الشاعر المشهور . يقول : إن قاسما لا يؤبنه إلا أمثال قس من الخطباء وأمثال بشار من الشعراء .

تولستوى (*)

(تولستُوى) تُجرى آيةُ العِلم دمعَها ... عليكَ ويَبكى بائس وفقير
وشَعبٌ ضعيفُ الرُّكنِ زال نصيرُه ... وما كلُّ يومٍ للضعيف نَصير
ويَندُب فلَّاحون أنتَ مَنارُهم ... وأنت سِراجٌ غيَّبوه مُنير
يُعانُونَ فى الأكواخ ظُلما وظُلمةً ... ولا يَملكون البتَّ وهو يسير
تطوف كعيسى بالحنان وبالرِّضى ... عليهم وتغشى دورَهم وتَزور
ويأسَى عليك الدينُ إذ لكَ لبُّه ... وللخادمين الناقين قُشور
أيكفُر بالإنجيلِ مَن تلك كُتْبه ... أناجيل منها مُنذِرٌ وبشير
ويبكيك إلف فوق (لبلى) نَدامة ... غداةَ مَشى (بالعامرىّ) سرير
تناولَ ناعيكَ البلادَ كأنه ... يَرَاعٌ له فى رَاحتيْك صَرير (١)
وقيل تولى الشيخُ فى الأرض هائما ... وقيل (بدير) الراهباتِ أسير
وقيل قضى لم يُغْن عنه طبيبُه ... وللطِّبِّ من بطشِ القَضاء عَذير
إذا أنت جاورتَ (المعرّىَ) فى الثرى ... وجاورَ (رَضوى) فى التراب (ثبير) (٢)
وأقبلَ جمعُ الخالدينَ عليْكما ... وغالى بمِقْدار النظيرِ نظير
جماجم تحتَ الأرض عَطَّرها شَذًى ... جناهنَّ مِسكٌ فوقَها وعَبير
بهنَّ يُباهِى بطنُ (حواءَ) واحتوَى ... عليهنَّ بطنُ الأرض وهْو فخور

(*) تولستوى : هو الفيلسوف الروسى الشهير ، كان عالما عاملا بما يقول ، فتخلى عن ماله الجم ليساوى نفسه بالفقراء ، ولعل رواياته ومؤلفاته كانت الأناجيل الأولى للثورة الأخيرة فى روسيا وقد توفى سنة ١٩١٠ وهو شيخ كبير .

(١) الصرير : التصويت . واليراع : القلم .

(٢) المعرى : هو أبو العلاء المعرى ، وشعره الفلسفى الاجتماعى مشهور . ورضوى وثبير علمان على جبلين : أولهما بالمدينة وثانيهما بمكة . يريد تشبيهه هو والمعرى بهذين الجبلين .

فقُل ياحكيمَ الدهر حَدِّث عن البِلى ... فأنتَ عليمٌ بالأمور خبير
أحطْت من الموتى قديماً وحادثاً ... بما لم يحصّل مُنكر ونكير (١)
طوانا الذى يَطوِى السمواتِ فى غدٍ ... ويَنشُرُ بَعدَ الطىّ وهْو قدير (٢)
تَقادم عَهدانا على الموتِ وامْتوى ... طويلُ زمانٍ فى البِلى وقصير
كأن لم تَضق بالأمسِ عنى كَنيسةٌ ... ولم يؤوِنى دَيْرٌ هناك طَهور
أرَى راحةً بين الجنادلِ والحصى ... وكلّ فِراشٍ قد أراح وَثِير (٣)
نَظرْنا بنُور الموتِ كلَّ حقيقةٍ ... وكُنا كِلانا فى الحياةِ ضَرير
إليك اعْترافى لا لقَسّ وكاهِنٍ ... ونَجْوايَ بعدَ الله وهْو غفور
فزُهدُك لم يُنكِرْه فى الأرض عارفٌ ... ولا مُتعالٍ فى السماء كبير
بيانٌ يَشُمُّ الوحىُ من نفَحاته ... وعلمٌ كعِلم الأنبياء غزير
سلكتُ سبيلَ المترفين ولذّ لى ... بنونَ ومالٌ والحياةُ غرور
أداةُ شِتائى الدفء فى ظلّ شاهقٍ ... وعُدّةُ صيفى جَنةٌ وغَدير
ومُتّعتُ بالدنيا ثمانين حِجةً ... ولَصَّرَ أيامى غِنًى وحُبور
وذِكرٌ كضوء الشمس فى كل بَلدةٍ ... ولا حظّ مثل الشمس حين تسير
فما راعنى إلا عَذارَى أجرْنَنى ... ورُبّ ضعيف تحتمى فيُجير
أردت جوارَ الله والعمرُ مُنقض ... وجاورته فى العمر وهْو نضير
صبًا ونعيمٌ بين أهلٍ وموطن ... ولذّاتُ دنيا كلُّ ذاك نَزور (٤)
بهنَّ وما يَدرين ما الذنبُ خَشيةً ... ومن عَجب تَخشَى الخطيئةَ حُور (٥)

---

(١) يريد أنه كان يعرف أسرار النفوس جد المعرفة .
(٢) النشر : هو البعث من الموت ، وهو أيضا ضد الطى .
(٣) الفراش الوثير : اللين الناعم .
(٤) نزور : أى قليل .
(٥) الحور : جمع حوراء ، وهى الجارية فى عينها حور . والحور : اشتداد بياض العين وسوادها .

أوانسُ فى داجٍ من الليل مُوحشٍ ... ولله أُنْسٌ فى القلوب ونور
وأشبه طُهرٍ فى النساء بمريم ... فتاةٌ على نَهج المسيح تسير
تُساءلُنى هل غيَّر الناسُ مابهم ... وهل حدَثتْ غير الأمور أمور
وهل آثرَ الإحسانَ والرفق عالَمٌ ... دواعى الأذَى والشرِّ فيه كثير
وهل سلَكوا سُبْلَ المحبة بينَهم ... كما يتصافى أسرةٌ وعشير
وهل آن من أهل الكتاب تَسامحٌ ... خليقٌ بآداب الكتاب جَدير
وهل عالجَ الأحياءُ بُؤسًا وشقوةً ... وقلّ فسادٌ بينهم وشُرور
قم انظُر وأنت المالئُ الأرض حكمةً ... أأجدى نظيمٌ أم أفادَ نثير
أناسٌ كما تدرى ودُنيا بحالها ... ودهرٌ رَخىٌّ تارةً وعسير
وأحوالُ خلقٍ غابرٍ مُتجدِّدٍ ... تَشَابَه فيها أوّلٌ وأخير
تَمُرّ تباعًا فى الحياة كأنها ... مَلاعبُ لا تُرخَى لهنّ سُتور
وحِرصٌ على الدنيا ومَيْلٌ مع الهوى ... وغشٌّ وإفكٌ فى الحياة وزور
وقامَ مقامَ الفَرْدِ فى كلّ أمةٍ ... على الحكم جَمٌّ يَستبدّ غفير
وحُوِّر قولُ الناس مولًى وعبدُه ... إلى قولهم مستأجرٌ وأجير
وأضحى نفوذُ المال لا أمرَ فى الورَى ... ولا نَهْىَ إلا ما يَرى ويُشير
تُساسُ حكوماتٌ به وتَمالكٌ ... ويُذعن أقيالٌ له وصُدور(١)
وعَصرٌ بنوه فى السِّلاح وحرصُه ... على السلم يُجرى ذكرَه ويُدير
ومن عَجب فى ظلّها وهْو وارفٌ ... يُصادف شَعبًا آمنًا فيُغير
ويأخذُ من قُوت الفقير وكسْبه ... ويُؤوى جُيوشًا كالحصى ويمير
ولما استقلّ البرَّ والبحرَ مَذْهبًا ... تَعلّق أسبابَ السماء يَطير

---

(١) أقيال : جمع قيل ، وهو الملك . والصدور : جمع صدر ، وهو العظيم من الناس كالوزير ونحوه .

عمر بك لطفى (*)

قِفُوا بالقُبور نُسائِلْ عُمْرْ ... متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرْ
سَلوا الأرضَ هل زُيِّنت للعليم ... وهل أُزجت كالجِنان الحُفر
وهل قام (رضوان) من خلفِها ... يُلاقى الرَّضىَّ التقىَّ الابرّ
فَلوْ عَلِمَ الجمعُ مِمَّن مَضى ... تنحّى له الجمعُ حتى عَبر
إلى جَنَّةٍ خُلِقَت للكريم ... ومَن عَرَفَ اللهَ أو مَنْ قدَر

***

برغْم القلوب وحبَّاتِها ... ورَغم السَّماع ورغمِ البصر
نزولَكَ فى التُّرْب زينَ الشباب ... سناء «الندىّ» سَنَى «المؤتمر»(١)
مُقيلَ الصديقِ إذا ما هَفا ... مُقيلَ الكريم إذا ماعثر
حَييتَ فكنتَ فخار الحياةِ ... ومُتَّ فكنتَ فخارَ السِّير
عجيبٌ رَداك وأعجبُ منه ... حياتُك فى طولها والقِصَر
فما قَبلها سَمِعَ العالمون ... ولا علموا مُصحفًا يُختصر
وقد يَقتلُ المرءَ همُّ الحياةِ ... وشغلُ الفؤادِ وكدُّ الفِكر
دَفَنَّا التجاربَ فى حُفرةٍ ... إليها انْتهى بك طولُ السَّفر
فكم لكَ كالنَّجم من رِحلةٍ ... رأى البدوُ آثارَها والحضر

(*) توفى عمر بك لطفى فى سنة ١٩١١ ، وكان عالما قانونيا ضليعا كما كان فى حياته يكاد يتقد غيرة على قوميته وحبا لمصلحة بلاده ، وهو فى طليعة مؤسسى نقابات التعاون فى مصر .

(١) الندى : يريد نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . ويريد بالمؤتمر : المؤتمر الذى أقامه أعيان المسلمين فى هليو بوليس ردا على المؤتمر الذى أقامه أعيان الأقباط فى أسيوط . والسناء (بالمد) : الضوء ، (وبالقصر) : الرفعة .

« نِقَابانُكَ » الغُرّ تبكى عليكَ ... ويَبكى عليك « الندىُّ » الأغر
وَيَبكى فَريقٌ تخيَّرْتَه ... شَرِيف المَرَامِ شَرِيف الوطر
ويَبكى الألى أنْتَ عَلَّمْتَهُمْ ... وأنْتَ غرسْتَ فكانوا الثمر
حَيَاتُكَ كانَتْ عِظاتٍ لهم ... ومَوتُكَ بالأمسِ إحدى العِبر
سَهِرنا قُبَيْلَ الرَّدى ليلةً ... وما دارَ ذكرُ الرَّدى فى السمر(١)
فقمتَ إلى حُفرة هُيئت ... وقمتُ إلى مثلِها تُحتفر
مَددتُ إليك يدًا للوَداع ... ومدَّ يدًا للّقاء القدر
ولو أنَّ لى علمَ مافى غدٍ ... خبأتُك فى مُقلتى مِن حذَر
وقالوا شكوتَ فما راعنى ... وما أولُ النار إلا شَرر
رثيتُك لا مالكًا خاطرى ... من الحُزن إلا يسيرًا خطر(٢)
ففيك عرفتُ ارتجالَ الدُّموع ... ومنك علِمتُ ارتجالَ الدُّرر
ومثلُك يُرثى بآى الكتاب ... ومثلُك يُفدَى بنصف البشر
فياقَبرُ كُن روضةً من رِضًى ... عليه وكُنْ باقةً من زهَر
سَقتْك الدموع فإن لم يَدُمْنَ ... كعادتِهنّ سقاك المطر

---

(١) السمر : حديث الليل .
(٢) يريد : لامالكا من خاطرى إلا بقية قليلة الخطر لا تغنى فى رثائك .

عمر بك لطفى (*)

اليومَ أصعَدُ دُون قبرك مِنبرًا ... وأُقلِّدُ الدنيـا رِثاءَك جَوهرًا
وأقُصّ مِن شِعرى كتابَ محاسنٍ ... تَتقـدّم العلماءَ فيه مُسطّرا
ذكرًا لفضلِك عند مصرَ وأهلِها ... والفضلُ من حرُماته أن يُذكَرا
العلمُ لا يُعلِي المراتبَ وحدَه ... كم قدّم العملُ الرجالَ وأخّرا
والعلمُ أشبهُ بالسماء رجالُه ... خلَطتْ جَهامًا فى السحاب ومُمطِرا
طُفنا بقَبرك وآستلمْنا جَندلا ... كالركن أزكى والحطيم مُطهّرا (١)
بَيْن التّشرفِ والخشُوعِ كأنما ... نَستقبلُ الحرمَ الشريفَ مُنوّرا
لو أنصفوك جَنادلًا وصَفائحًا ... جَعلوكَ بالذكر الحكيم مُسوَّرا
يا مَن أرانى الدهرُ صِحّةَ ودِّه ... والودُّ فى الدنيا حديثٌ مُفترَى
وسمعتُ بالخلُقِ العظيم روايةً ... فأرَانىَ الخلُقَ العظيمَ مُصوَّرا
ماذا لقيتَ من الرُّقاد وطولِهِ ... أنا فيك أَلقَى لوعةً وتحسُّرا
ثَم ما بَدا لَك آمنًا فى مَنزلٍ ... الدهرُ أقصرُ فيه من سِنةِ الكَرى
ما زِلتَ فى حَمْد الفراشِ وذمّه ... حتى لقيتَ به الفراشَ الأوتَرا (٢)
لا تَشكُوَنّ الضر من حَشراتِه ... حشراتُ هذا الناسِ أقبحُ منظرا
يا سيّدَ (النادى) وحاملَ همّه ... خلّفتَـه تحت الرزية مُوقَـرا (٣)

(*) نظمت هذه القصيدة لتلقى فى حفلة أقيمت لتأبين عمر بك لطفى بعد الأربعين . أما القصيدة السابقة فقد نظمت عقب الوفاة فى سرعة تشبه الارتجال .

(١) يقول إننا نطوف بقبرك ونستلم أحجاره كما يطوف حجاج بيت الله فيستلمون الركن والحطيم المطهرين .

(٢) الفراش الأوتر : هو الفراش الأكثر ليونة ونعومة ، ويريد به تراب القبر .

(٣) النادى : هو نادى المدارس العليا ، وكان الفقيد رئيسا له . وموقرا ، أي مثقلا بما يحمله من فقدك .

شَهِدَ الأعادى كم سهِرت لمجده ... وغَدوتَ فى طلب المزيد مُشمِّرا

وكم اتَّقيتَ الكيدَ واستدْفعته ... ورَميتَ عُدوانَ الظنونِ فأقصرا

ولبثتَ عن حَوْض الشبيبة ذائدًا ... حتى جزاكَ الله عنه الكوثرا

شُبَّانُ مصرَ حِيالَ قبرِكَ خُشَّعٌ ... لا يملكون سوى مدامِعهم قِرى (١)

جمعَ الأسى لك جمعَهم فى واحدٍ ... كان الشبابَ الواجدَ المُستعبِرا (٢)

لولاك ما عَرفوا التعاونَ بينهم ... فيما يَسُرُّ ولا على ما كدَّرا

حيثُ التفتَّ رأيتَ حولَك منهمُ ... آثارَ إحسانٍ وغرْسًا مُثمِرا

كم منطقٍ لك فى البلاد وحكمةٍ ... والعقلُ بينهما يُباع ويُشترى

تمشى إلى الأكواخ تُرشِد أهلَها ... مَشْىَ الحواريِّينَ يَهدون القُرى (٣)

مُتواضعًا لله بين عباده ... واللهُ يبغض عبدَه المتكبرا

لم تدر نفسُك ما الغرورُ وطالما ... دخل الغرورُ على الكبار فصغّرا

فى كل ناحيةٍ تخط نِقابةً ... فيها حياةُ أخى الزراعة لو دَرى

هى كيمياؤُك لا خُرافةُ (جابر) ... تَذرُ المُقلَّ من الجماعة مُكثِرا (٤)

والمالُ لا تُجنَى ثِمارُ رُءوسِه ... حتى يصيبَ من الرءوس مُدبرا

والملكُ بالاموالِ أمنعُ جانبًا ... وأعزُّ سلطانًا وأصدقُ مَظهرا

إنا لفى زمنٍ سِفاه شُعوبِه ... فى مُلكِهم كالمرء فى بيت الكِرا (٥)

---

(١) القرى (بكسر القاف) : ما يقدم للضيف من إكرام ونحوه .

(٢) الواجد المستعبر : هو الحزين الباكى .

(٣) الحواريين : هم أصحاب عيسى ابن مريم .

(٤) جابر : هو جابر بن حيان صاحب الكيمياء القديمة . والمقل : هو الفقير ، أو هو الذى لا يملك إلا شيئا قليلا .

(٥) بيت الكرا : هو بيت الأجرة .

أسِواك من أهل المبادئ مَن دَعا ... لِلجِدّ أو جمعَ القُلوب النُّفّرا ؟
الموتُ قبلَك فى البرية لم يَهَب ... طه الأمينَ ولا يَسوعَ الخيّرا(١)

***

لما دُعيتُ أتيتُ أنثرُ مدمعى ... ولواستطعتُ نثرتُ جفنى فى الثرى
أبكى يمينَك فى التراب غمامةً ... والصَّدْرَ بحراً والفؤادَ غضنفَرا
لم أُعطَ عنك تَصَبُّراً وأنا الذى ... عزّيتُ فيك عن الأمير المعشرا(٢)
أزِنُ الرجالَ ولى يَراعٌ طالما ... خلَع الثناء على الكرام محبَّرا
بالأمسِ أرسلتُ الرثاءَ مُمسَّكا ... واليوم أهتِفُ بالثّناء مُعنبرا
غيَّرتنى حُزنا وغيَّرك البِلى ... وهواك يأبَى فى الفؤاد تغيُّرا(٣)
فعَلىَّ حفظُ العهد حتى نَلتقى ... وعليك أن تَرعاه حتى نُحشَرا

---

(١) يسوع : المسيح .
(٢) كان أمير الشعراء هو نائب الخديو عباس فى تعزية أسرة الفقيد .
(٣) يشير إلى قصيدته السابقة فى الفقيد .

الأميرة(*)

حَلَفتُ بالمستَّره والرَّوْضةِ المُعَطَّره (١)
ومَجْلِسِ الزَّهراءِ فى الـ ـحظائرِ المنوَّره (٢)
مراقدِ السُّلالةِ الطَّيِّبةِ المُطَهَّرَه
ما أَنزَلُوا إلى الثَّرَى بالامس إلا نيِّره (٣)
سيروا بها تَقِيَّةً نقيةً مُبرَّره
نُجِلُّ سِتْرَ نَعشها كالكِسْوة المُنيَّرَه (٤)
ونَنشقُ الجنَّة مِنْ أعوادِه المُنضَّره

***

فى موكبٍ تمثَّل الـ ـحقُّ فكانَ مظهَره
دع الجنودَ والبُنو دَ والوفودَ المُحْضَره
وكل دمع كذب ولوعةٍ مزوّره
لا ينفع الميّتَ سِوى صالحةٍ مُدَّخره
قد رُفع السّوقة عند الله فوقَ القيصَره (٥)

(*) هى الأميرة فاطمة إسماعيل ، كان لها الفضل الأول فى تأسيس وإنشاء الجامعة المصرية . وقد انتقلت إلى دار الجنان فى سنة ١٩٢٠ .

(١) المستره : الكعبة .

(٢) يقصد فاطمة الزهراء ، بنت الرسول صلوات الله عليه . ومجلسها فى حجرات النبوة

(٣) نيره : هى واحدة النجوم النيرة .

(٤) الكسوة : هى كسوة الكعبة المكرمة ، وتسير من مصر إلى الحجاز كل عام فى موكب عظيم الإجلال .

(٥) القيصره : علم على كل ملكة الروم . والقيصر : علم على ملكها .

***

ياجزَعَ العِلم على (سُكينةَ) الموَقَّره (١)
أمسى برَبع مُوحشٍ منها ودارٍ مُقفِره
من ذا يُؤَسّى هذه الـ جامعةَ المُستعبره (٢)
لو عِشتِ شِدْتِ مثلَها للمرأةِ المحرَّره
بنَيْتِ رُكْنيْها كما يبنى أبوك المأثره
قَرنْتِ كلَّ حجرٍ فى أسّها بجوهَره
مَفخرةٌ لبيتكم كم قبلها مِن مفخره

***

يابنت إسماعيلَ فى الـ مَيْتِ لحيّ تَبصِره (٣)
أكان عندَ بيتِكم لهذه الدنيا تِره (٤)
هلا وَصفْتِها لنا مُقبلةً ومُدبِره؟
ولونها صافيةً وطعمها مكدره
كالحلم أو كالوهم أو كالظل أو كالزهَره

***

(فاطمَ) من يُولدْ يَمُتْ المهدُ جسرُ المقبَره (٥)
وكلُّ نفسٍ فى غدٍ مَيّتةٌ فمُنشرَه

---

(١) يشبهها بسكينة بنت الحسين فى عطفها على العلم والأدب .
(٢) المستعبره ، أى الباكية لفقدها عطفك .
(٣) التبصرة بمعنى الموعظة .
(٤) ترة : هى الثأر .
(٥) فاطم : أى فاطمة ، وحذفت التاء للترخيم ، كقول امرىء القيس :
* أفاطم مهلا بعض هذا التدلل *

وأنَّه مَن يَعمل الـ ـخَير أو الشَّر يَرَه
وإنما يُنبَّـه الـ ـغافلُ عنْدَ الغرغره (١)
يَلفِظها حَنْظـلةً كانت بفيـه سُكَّره (٢)
ولن تَزَالَ من يدٍ إلى يدٍ هٰذى الكُره

***

أين أبوكِ مالُه وجاهُـه والمقدره
وادى النَّدَى وغيثُه وعينُـه المُفجَّـره (٣)
أينَ الأمورُ والقُصو رُ والبدورُ المخدَره
أينَ اللَّيالى البيضُ والـ ـأصـائلُ المزَعْفرَه (٤)
وأينَ فى رُكن البِلا د يدُه المُعَمَّـرَه
وأينَ تلك الهمَّـة الـ ـماضيةُ المشـمِّره
تبغِى لمصرَ الشرقَ أو أكثرَه مُستعمَرَه
جرى الزمانُ دونها فـرَدَّهُ وأعْـثره
فإنْ همَمْتَ فاذكر الـ ـمَقـادرَ المقدَّره
مَن لا يُصِب فالنَّاسُ لا يَلتمسون المعذره

---

(١) الغرغرة : هى وقت حشرجة الروح فى الصدر .
(٢) يلفظها : أى يلفظ الحياة .
(٣) الندى : الكرم . والعين : بمعنى النبع .
(٤) الأصائل : الوقت من بعد العصر إلى المغرب . والمزعفرة ، أى الملونة بلون الزعفران . والليالى البيض والأصائل المزعفرة : يقصد بهما الكناية عن السعادة الوارفة الظليلة .

ذكرى مصطفى كامل (*)

لم يَمُتْ مَن لهُ أثرْ ... وحياةٌ مِنَ السِّيَرْ
أدعُه غائبًا وإن ... بُعُدت غايةُ السفر
آيبُ الفَضْل كلَّما ... آبتِ الشمسُ والقمر (١)
رُبَّ نُورٍ مُتَمَّم ... قد أتانا مِنَ الحُفر (٢)
إنما الميتُ مَن مشى ... مَيِّتَ الخير والخبر
مَنْ إذا عاشَ لم يُفِد ... وإذا مات لم يَضِر
لَيْسَ فى الجاهِ والغِنَى ... منه ظِلٌّ ولا ثمر
تَبْح العِزُّ فى القصو ... ر إذا ذَلَّتِ القُصر

***

أعوزَ الحقَّ زائدٌ ... وإلى (مصطفى) آفتقر
وتمنَّت حِياضُه ... هِبَّةَ الصَّارِمِ الذكر
الذى يُنفِذُ المدى ... والذى يَرْكَبُ الخطر (٣)
أيُّها القَومُ عَظِّموا ... واضعَ الأُسِّ والحَجر
أُذكروا الخُطبَةَ التى ... هى من آيِهِ الكبَر (٤)

(*) لأمير الشعراء عدة قصائد فى مصطفى كامل باشا ، هذه إحداهن ، وقد ألقيت فى الاحتفال الذى أقيم تمجيدا لذكراه فى فبراير سنة ١٩٢٦ .

(١) يقول فى كل أوبة شمس وفى كل عودة قمر يؤوب للفقيد فضل ويتجدد له ذكر ، وإذن فهو لا يحسب ميتا ، وغاية الأمر أنه غائب فى سفر بعيد .

(٢) الحفر : القبور .

(٣) الذى ينفذ المدى : يراد به صاحب الطعنات النافذة .

(٤) يريد آخر خطبة للفقيد وقد ظنها الناس يومئذ خطبة الوداع .

لم يَرَ الناسُ قبلَها مِنبرًا تحتَ مُخْضِر
لستُ أنسَى لِواءَهُ وهو يَمشى إلى الظفَر
حَشَرَ الناسَ تحتَهُ زُمَرًا إثْرَها زُمر
وترَى الحقّ حولَه لا ترى البيضَ والسُّمر (١)
كلَّما راحَ أوْ غَدا نَفَخَ الرُّوحَ فى الصُّوَر

***

يا أخا النَّفْسِ فى الصِّبا لذةُ الرُّوح فى الصِّغر
وخَلِيلا ذَخَرْتُه لم يُقَوَّم بمُدَّخَر
حالَ بَيْنى وبيْنَه فى فُجاءاتِهِ القدر
كيف أجزى مَوَدَّةً لم يَشُبْ صفوها كدر
غيرَ دَمعٍ أقُولُه قَلَّ فى الشَّأْنِ أو كثُر
وفُؤادٍ مُعَلَّلٍ بالخيالات والذكَر
لم ينَم عنك ساعةً فى الأحاديث والسَّمر
قم تر القومَ كُتلةً مثل مَلمُومةِ الصخر (٢)
جَدَّدوا أُلفةَ الهوى والإخاءَ الذى شُطِر
ليس لِلخُلف بينهم أو لأسبابه أثَر
ألَّفتْهم روائحٌ غادياتٌ من الغِيَر

---

(١) البيض : السيوف . والسمر : الرماح .

(٢) ملمومة : بمعنى مجتمعة . ويقال للدرع ملمومة ، وكذلك يقال للكتيبة . وهي الفرقة من الجيش : ملمومة أيضا .

وصَحـــوا من مُنوَّم وأفاقوا من الخـــدَر (١)

أقبلوا نحـــوَ حَقِّهم ما لهم غـــيرَه وطَر

جعـــلوه خَليَّـــةً شَرَعوا دونها الإبر (٢)

وتواصَوْا بخُطـــةٍ وتداعـــوا لمؤتمر (٣)

وقُصارى أولى النهى يتلاقَون فى الفِكر

آذنونا بمـــوقفٍ من جلالٍ ومن خطر

نَسمع الليثَ عنـــده دون آجامه زأر

قـــل لهم فى نديِّهم مصرُ بالباب تنتظر (٤)

---

(١) الخدر : الكسل ، وهو مصدر خدر ، كفرح .

(٢) الخلية : موضع سكن النحل . شرعوا الإبر : رفعوها استعدادا للنضال بها ، كما يقال : شرع سيفه ، إذا انتضاه من غمده .

(٣) تداعوا : تجمعوا .

(٤) يريد بالندى : البرلمان ، وكان وقتئذ يهيأ .

المنفلوطى (*)

اخترتَ يومَ الهولِ يومَ وداع ... ونعاكَ فى عَصْف الرياح النَّاعى (١)

هتفَ النَّعاةُ ضحًى فأَوْصَدَ دونهم ... جُرحُ الرئيسِ منافذَ الأسماعِ

مَن ماتَ فى فزَعِ القيامةِ لم يَجد ... قَدَما تُشَيِّعُ أو حفاوةَ ساعى

ما ضَرَّ لو صبَرتْ ركابُك ساعةً ... كيف الوقوفُ إذا أهابَ الداعى

خلِّ الجنائزَ عنك لاتحفِلْ بها ... ليس الغرورُ لميِّتٍ بمتاع

سرْ فى لواءِ العبقريةِ وانتَظِمْ ... شَتَّى المواكبِ فيه والأَتْبَاع

واصعَدْ سماءَ الذِّكر من أسبابها ... واظهَرْ بفضلٍ كالنَّهار مُذَاع

فُجِعَ البيانُ وأهلُهُ بمصوِّرٍ ... لَبِقٍ بوشْيِ المُمْتِعاتِ صَنَاع

مَرْمُوقِ أسبابِ الشبابِ وإن بدتْ ... للشيْب فى الفَودِ الأَحَمِّ رَوَاعى (٢)

تتخيَّلُ المنظومَ فى منثوره ... فتراهُ تحت روائعِ الأسجاع

لم يَجْحَد الفُصْحَى ولم يَهْجُم على ... أسلوبها أو يُزْر بالأوضاع

لكن جَرَى والعصرَ فى مِضْمارِها ... شَوْطًا فأحرزَ غايةَ الإبداع

حرُّ البيانِ قديمه وجديده ... كالشمس جِدَّةَ رُقعةٍ وشُعاعِ

يونانُ لو بِيعتْ (بهومير) لما ... خسِرتْ لعَمرُك صفقةُ المبتاع

(*) هو الكاتب الذائع الصيت مصطفى لطفى المنفلوطى . اشتهر بأسلوب إنشائى خاص لفت إليه أنظار القراء فى عصره ، وقد توفى سنة ١٩٢٤ .

(١) يشير يوم الهول إلى أن وفاة الفقيد كانت فى يوم إطلاق الرصاص على الزعيم سعد باشا .

(٢) الفود : أحد الفودين ، وهما جانبا الرأس من الأمام . والأحم : الأسود . والرواعى : جمع راعية . ويريد « بالرواعى » الشعرات البيض اللواتى ظهرت فى جانبى رأسه .

***

يامُرسلَ (النظراتِ) فى الدنيا وما ... فيها على ضجر وضيقِ ذِرَاع(١)

ومُرقْرِق (العبراتِ) تجرى رقّةً ... للعالَم الباكى من الأوجاع(٢)

من ضاقَ بالدنيا فليسَ حكيمَها ... إنّ الحكيمَ بها رحيبُ الباع

هِىَ والزمانُ بأرضهِ وسمائهِ ... فى لُجّةِ الأقدارِ نِضْوُ شِرَاع(٣)

مَن شَذَّ نادَاهُ إليه فَرَدَّهُ ... قَدَرٌ كَراعٍ سائقٍ بقطاع(٤)

ما خَلْفَه إلا مَقُودٌ طائع ... مُتلفِّتٌ عن كبرياء مُطاع

جَبَّارُ ذِهنٍ أو شديدُ شَكِيمةٍ ... يَمضى مُضِىَّ العاجزِ المُنصاع

مَن شَوَّهَ الدنيا إليك فلم تجدْ ... فى المُلكِ غيرَ مُعذَّبين جِياع ؟

أبكلِّ عينٍ فيه أو وَجْهٍ تَرى ... لمحاتِ دمع أو رسومَ دِماع(٥)

ما هكذا الدنيا ؛ ولكن نُقْلةٌ ... دمعُ القرير وعَبرَةُ المُلتاع

لاالفقرُ بالعبَراتِ خُصَّ ولا الغِنى ... غِيَرُ الحياةِ لهنّ حكم مُشَاع(٦)

مازالَ فى الكوخ الوضيع بواعثٌ ... منها وفى القصرِ الرفيع دَوَاعِى

فى القَفْرِ حَيَّاتٌ يُسَيِّبُها به ... حاوى القضاء وفى الرِّياضِ أفاعى

ولرُبَّ بُؤْسٍ فى الحياةِ مُقَنَّع ... أرْبَى على بؤسٍ بغير قِناع

---

(١) النظرات : اسم كتاب للفقيد .

(٢) العبرات : اسم كتاب له أيضا .

(٣) نضو شراع : أى شراع هزيل متمزق لا يكاد يقوى على مصارعة أمواج تلك اللجة ، بل لا يكاد يرى فى خضمها المحيط .

(٤) القطاع : طائفة من الغنم .

(٥) رسوم دماع ، أى آثار تبدو فى مجرى الدمع ، كأن الدموع لكثرتها تصنع لها طريقا فى موضع مسيلها .

(٦) غير الحياة : نوائبها المغيرة على الناس .

***

يا (مصطفى) البُلَغاءِ أى يراعةٍ ... فقَدوا وأى مُعلّم بيَراع

اليومَ أبصرتَ الحياةَ فقلْ لنا ... ماذا وراء سَرابِها اللمّاع

وصِفِ المنونَ فكم قعدتَ ترى لها ... شَبَحًا بكلِّ قَرارةٍ ويَفاع (١)

سكَنَ الأحبَّةُ والعِدى وفرَغتَ من ... حِقدِ الخُصوم ومن هوى الأشياع

كم غارةٍ شَنُّوا عليكَ دفعتَها ... تَصِلُ الجهودَ فكنّ خيرَ دِفاع

والجهدُ مُوتٍ فى الحياةِ ثِمارَه ... والجهدُ بعد الموت غير مُضاع

فإذا مَضى الجيلُ المِراضُ صدورُه ... وأتَى السليمُ جوانب الأضلاع

فافزَع إلى الزمن الحكيم فعنده ... نَقدٌ تَنَزَّهَ عن هوى ونِزاع

فإذا قَضى لك أثبتَ مِن شُمِّ العُلا ... بثنيّةٍ بَعُدتْ على الطلّاع (٢)

وأجَلُّ ما فوق التراب وتحتَه ... قلمٌ عليه جَلالَةُ الإجماع

تلك الأناملُ نام عنهن البِلَى ... عُطِّلْنَ من قلم أشَمَّ شُجاع

والجُبنُ فى قلم البليغ نَظِيرُهُ ... فى السيف مَنْقصةٌ وسوءُ سَماع

---

(١) اليفاع : ماارتفع من الأرض ، كالنجاد . والقرار : ما انخفض منها كالوهاد .

(٢) الثنية : الطريق فى أعالى الجبال . ويجمع على الثنايا . وقد تمثل الحجاج فى خطبته الشهيرة بقول بعضهم : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا .

عاطف بركات باشا(*)

خَفَضتُ لِعِـزّة الموت اليَراعا ... وجَـدّ جـلالُ منطقِه يراعا
كفى بالموت للنُّذُر ارتجالًا ... وللعبَراتِ والعِـبَرِ اختراعا
حكيمٌ صامتٌ فضح الليالى ... ومزّق عن خنا الدنيا القِناعا
إذا حضَر النفوسَ فلا نعيمًا ... تَرى حولَ الحياةِ ولا مَتاعا
كشفتُ به الحياةَ فلم أجِدْها ... ولمحةَ مائها إلا خِـداعا
وما الجرّاحُ بالآسِى المُرجّى ... إذا لم يَقتُل الجُثثَ اطّلاعا(١)
فإن تَقُل الرّثاءَ فقُل دُموعا ... يُصاغ بهنّ أو حِكَمًا تُراعَى
ولا تك مثـلَ نادبةِ المُسجّى ... بَكَت كَسْبًا ولم تَبك النياعا(٢)
خَلتْ دُوَلُ الزمان وزُلن ركنًا ... ورُكنُ الأرضِ باقٍ ما تَداعَى(٣)
كأنّ الأرضَ لم تَشهد لِقاءً ... تَكادُ له تَميـدُ ولا وِداعا
ولو آبت ثَواكل كلّ قَرن ... وجَدْن الشمسَ لم تَشكل شُعاعا
ولكن تُضربُ الأمثالُ رُشدًا ... ومنهاجًا لمن شاءَ اتّباعا
وربّ حديثِ خيرٍ هاجَ خيرًا ... وذِكرِ شجاعةٍ بَعثَ الشّجاعا

***

(معارفُ) مصرَ كان لهنّ رُكنٌ ... فذُقْنَ اليومَ للركن انْصِداعا
مضَى أعْلَى الرجالِ لها يَمينًا ... وأرحبُهم بخَـلتها ذِراعا

(*) عاطف بركات باشا : أحد رجالات مصر المقدمين وأحد نوابغ جيله المعلمين ، ترقى إلى منصب وكيل وزارة المعارف ، وقد توفى سنة ١٩٢٥ .

(١) يقال : قتل الأمر اطلاعا ، إذا بحثه طويلا . والآسى : الطبيب .

(٢) المسجى : الميت . والالتياع : شدة الحزن .

(٣) تداعى الركن : أى سقط متهدما .

وأكثرهم لها وقفات صِدقٍ ... إباءً فى الحوادث أو زِماعا
أتته فنالها نَفَلًا وفيئًا ... فلا هبةً أتته ولا اصطناعا(١)
تَنقَّل يافعًا فيها وكهلًا ... ومن أسبابها بلغَ اليَفاعا
فتًى عجمته أحداثُ الليالى ... فلا ذُلاًّ رأين ولا اختضاعا
سجينٌ مُهندًا ونفَيْن تِبرًا ... وزِدْن المسكَ من ضَغطٍ فَضَاعا(٢)
شديدٌ صُلَّبٌ فى الحق حتى ... يقولَ الحقَّ لِينًا واتِّداعا(٣)
ومدرسة سَمتْ بالعلم رُكنًا ... وأنهضت القضاءَ والاشتراعا(٤)
بَناها مُحسِنًا بالعلم برًّا ... يَشيد له المعالم والرِّباعا(٥)
وحاربَ دُونها صَرْعى قديم ... كأنّ بهم عن الزمَنِ انقِطاعا
إذا لمحَ الجديدُ لهم تولّوا ... كذى رَمدٍ على الضوء امتناعا

***

أخا «سيشيل» لاتذكُرْ بحارًا ... بَعُدن على المزار ولا بِقاعا(٦)
وربّك ما وراءَ نواكَ بُعد ... وأنت بظاهر الفُسطاط قاعا(٧)

---

(١) النفل : مفرد الأنفال ، يعنى العطايا المكتسبة من الفىء . والفىء : الغنيمة . والاصطناع : هو ما يعبر عنه فى زمننا بالمحسوبية .

(٢) ضاع المسك والطيب : سطع عطره . لما قال : « فتى عجمته أحداث الليالى » شرح بيت كيف كان ذلك ، فأخبر أنه سجن فكان أشبه بالمهند ، ونفى فكان مثل التبر ، وحين شدت أحداث الليالى ضغطا كان الفقيد أشبه بالمسك الذى يسحق فيزيد أرجا وطيبا .

(٣) صلب (باللام المشددة) : أى كثير الصلابة . والاتداع : من الوداعة ، وهى رقة الخلق .

(٤) يشير بهذا البيت إلى أن الفقيد كان هو أول قيم على مدرسة القضاء الشرعى ، وقد أنشئت تلك المدرسة لتخريج القضاة الشرعيين ، ولم يستغن عنها إلا بعد إصلاح الأزهر والاكتفاء بأبنائه .

(٥) الرباع ، جمع ربع : الدار .

(٦) سيشيل ، إحدى جزر الهند النائية . نفى إليها الفقيد حين اتهمته السلطات الانجليزية بالتحريض السياسى فى ثورة مصر الكبرى .

(٧) الفسطاط : مدينة مصر . وظاهر الفسطاط : أى ضاحيتها . والقاع فى الأصل : هو المنخفض من الأرض . ويريد به هنا موضع القبر حيث دفن الفقيد .

نزلتَ بعالَمٍ خَرق القَضـــايا وأصبح فيه نظم الدهر ضاعا
تَخَـــلَّ الأربعين لحافليهـــا وقُم تَجد القُرونَ مَرَرْن ساعا(١)

***

مرِضتَ فما ألحّ الداءُ إلا على نفسٍ تَعـــوَّدت الصّراعا
ولم يكُ غيرَ حادثةٍ أصابت مُفلِّلَ كلّ حادثةٍ قِراعا(٢)
ومَنْ يَتجرَّع الآلامَ حيّا تَسُغْ عند المماتِ له ٱجْتراعا
أرِقْتَ وكيف يُعطَى الغَمضَ جفنٌ تَسُلُّ وراءه القلبَ الرُّواعا(٣)
ولم يَهدأ وِسادُك فى الليالى لعلمك أنْ ستُفنيها ٱضطجاعا
عجبت لشارحٍ سببَ المنـــايا يُسمّى الداء والعِلَلَ الوِجاعا
ولم تكن الحتوفُ محلَّ شك ولا الآجالُ تَحتملُ النّزاعا
ولكنْ صُيِّدٌ ولها بُزاةٌ تَرى (السّرطان) منها والصُّداعا(٤)
أرَى التعـــليمَ لما زُلتَ عنه ضعيفَ الركنِ مَخذولًا مُضاعا
غـــريقٌ حاولت يَدُه شراعًا فلما أوشكت فَقَد الشّراعا
سَراةُ القومِ مُنصرفون عنه وصُحفُ القوم تَقتضِب الدفاعا(٥)
لقد نسَّاه يومُك ناصباتٍ مِن السّنواتِ قاساها تِباعا(٦)
قُم ابنِ الأمهاتِ على أســـاسٍ ولا تَبن الحصون ولا القِلاعا

---

(١) الأربعين فى هذا البيت ، مقصود بها الأيام التى مضت على وفاته ، أو السن التى توفى فيها . والساع والساعات : جمع ساعة .
(٢) القراع : نوع من الحرب والمغالبة .
(٣) الرواع : من قولهم : نافة رواع الفؤاد ، بضم الراء وفتح الواو ، أى شهمة ذكية .
(٤) البزاة : جمع بازى ، وهو ضرب من الصقور .
(٥) سراة القوم : سادتهم . والاقتضاب : بمعنى القطع أو الإيجاز والاختصار .
(٦) ناصبات ، من قولهم : عيش ناصب ، أى فيه كد وجهد . وتباعا ، أى متتابعة .

فهُنّ يَلِدْن للقصب المذاكى ... وهنّ يَلِدن للغاب السِّباعا(١)

وجدتُ معانىَ الأخلاق شتّى ... جُمعنَ فكنّ فى اللفظ الرّضاعا

عزاء الصابرينَ (أبا بهىّ) ... ومثلُك من أناب ومن أطاعا(٢)

صَبَرتَ على الحوادث حين جلّت ... وحين الصبرُ لم يكُ مُستطاعا

وإن النفسَ تهدا بعد حينٍ ... إذا لم تَلْقَ بالجزع انتِفاعا

إذا آختلف الزمانُ على حزينٍ ... مَضى بالدمع ثم محا الدّماعا

قُصارَى الفرقَدينِ إلى قَضاءٍ ... إذا عثرا به آنفصَما اجتماعا

ولم تحو الكنانةُ آل سعدٍ ... أشدّ على العِدا منكم نِباعا(٣)

ولم تحمِل كشيخكم المفدَّى ... نُهوضًا بالأمانةِ واضطِلاعا

غدًا فصلُ الخطابِ فمَن بشيرى ... بأنّ الحقَّ قد غلَب الطّماعا

سَلوا أهل الكنانة هل تَداعوا ... فإن الخصمَ بعد غدٍ تداعى

وما (سعدٌ) بمتجِر إذا ما ... تعرّضت الحقوقُ شرى وباعا

ولكن تحتمى الآمالُ فيه ... وتدّرع الحقوقُ به ادّراعا(٤)

إذا نَظرت قلوبكمُ إليه ... علا للحادثات وطالَ باعا(٥)

---

(١) المذاكى: الخيل التى كملت قوتها . والقصب : هو الخطر الذى يتراهن عليه المتسابقون .

(٢) أبابهى، ينادى بهذه الكنية فتح الله بركات باشا شقيق الفقيد . وأناب: رجع إلى الله .

(٣) النباع : جمع نبع ، وهو شجر للقسى والسهام ، ينبت فى قمة الجبال . وآل سعد : هم آل زغلول باشا أخوال الفقيد .

(٤) تدرع الحقوق به ، أى تجعل منه درعا له . والدرع : ثوب حديد يلبسه المحارب ليحتمى به من السيوف وأشباهها .

(٥) طال باعا ، أى طال شأوا وعظم قوة .

المـــويلحى (*)

كاتبٌ مُحسِنُ البَيانِ صَناعُه ... اِستخَفَّ العقولَ حينًا يَراعُه (١)

أين مصرٌ وإنما كلُّ أرضٍ ... تَنطقُ الضادَ مهدُهُ ورِباعُه (٢)

إنما الشرقُ مَنزلٌ لم يُفرَّق ... أهلَه إن تفرَّقت أصقاعُه (٣)

وطنٌ واحدٌ على الشمس والفصـ ... ـحى وفى الدمع والجِراحِ اجتماعه

علمٌ فى البيان وابنُ لواءٍ ... أخـذَ الشرقَ حِقبةً إبداعه

حسبُه السحرُ من تُراثِ أبيه ... إن تَولَّت قصورُه وضياعه (٤)

إنما السحرُ والبلاغة والحكـ ... ـمةُ بيت ، كِلاهُما مِصراعه

***

فى يَدِ النَّشء مِن بيان (المويلحى) ... مَثَلٌ يَنفعُ الشبابَ اتّباعه

صُوَرٌ من حقيقةٍ وخَيالٍ ... هى إحسانُ فكره وابتداعُه

رُبَّ سجع كمُرقِص الشعر لما ... يَختلفْ لحنُهُ ولا إيقاعه

أو كسَجع الحمامِ لو فصَّلته ... وتأنَّت به ودَقَّ اختراعه

هو فيه بديعُ كلِّ زمانٍ ... ما بديعُ الزمانِ ما أسْجاعه (٥)

(*) هو الكاتب الكبير محمد المويلحى المتوفى سنة ١٩٣٠ وقد ألقيت هذه القصيدة فى حفلة تأبينه .

(١) يقال يد صناع ، أى ماهرة حاذقة ، وبيان صناع أيضا .

(٢) رباع : جمع ربع ، وهو الدار .

(٣) أصقاعه ، جمع صقع (بضم الصاد) : الناحية .

(٤) تولت القصور ، أى ذهبت . والضياع : جمع ضيعة ، وهى العقار والأرض المغلة .

(٥) بديع الزمان ، هو الهمذانى صاحب المقامات المشهورة .

***

عَجِبَ الناسُ من طِباعِ المويلحىّ وفى الأُسْد خُلْقه وطِباعه

فيه كِبْرُ اللّيوثِ حتى على الجُو ع وفيها إباؤه وامتِناعه

تَعِب الموتُ فى صَبورٍ على النَّز عِ فليلٍ إلى الحياة نِزاعه (١)

صارعَ العيشَ حِقبةً ليت شعرى ساعة الموتِ كيف كان صِراعه

قهَرَ الموتَ والحياةَ وقد تحـ ـكُمُ فى رائض السِّباع سباعه

مُهجةٌ حُرّةٌ وخُلقٌ أبىٌّ عَىَّ عنه الزمانُ وارتدَّ باعه

***

فى الثمانين يا (محمد) عِلم لِعَليم وإن تناهى اطّلاعه (٢)

لِمْ تقاعَدْت دونها وتوانى سائقُ الفلك واضمحلَّ شِراعه

ربَّ شيبٍ بَنَت صُروحَ المعالى سَلّتاه وشادت المجدَ ساعه

فيه مِن هِمّة الشّبابِ ولكنْ ليس فيه جِماحُه واندفاعه

***

سيِّدُ المنشئين حَثَّ المطايا ومضى فى غباره أتباعه

حَطَّهم (بالإمامِ) لِلْموت ركبٌ يَتَلاقى بِطاؤُه وسِراعه

قَنَّعوا بالتراب وجهًا كريمًا كان من رُفعةِ الحياء قِناعه

كَسَنا الفجرِ فى ظِلال الغَوادى كَرَمٌ صفحتاه هَدْىٌ شُعاعه

---

(١) النزع للميت : ساعات احتضاره . يقول إنه مع زهده فى الحياة فقد طال زمن احتضاره ، ولا يكون هذا إلا من قوة الحيوية التى تستطيع مغالبة الموت .

(٢) فى الثمانين: يقصد ثمانين عاما .

ياوحيدًا كأمسِ فى كسر بيتٍ ضـــيّق بالنزيلِ رحب ذِراعه[١]
كلُّ بيتٍ تحلّه يَستوى عِنـــدكَ فى الزُّهدِ ضِيقُه وٱتّساعه
ثم مَلّيا فلســـتَ أولَ ليثٍ بفَلاةِ (الإمامِ) طالَ ٱضطجاعه[٢]
حولكَ الصالحون طابوا وطابَتْ أَكَمَاتُ (الإمامِ) منهم وقاعه[٣]
قلّدوا الشّرقَ من جمالٍ وخيرٍ ما يؤودُ المفنّـــدين ٱنتزاعه[٤]
أُسّست نَهضةُ البنـــاءِ بقومٍ وبقـــوم سَمَا وطالَ ٱرتفاعه
كل حيٍّ وإنْ تَراختْ منايا هُ فضـــاءٌ عن الحياة ٱنقطاعه
والذى تحرِصُ النفوسُ عليـــه عالَمٌ باطـــلٌ قليـــلٌ مَتاعه

---

(١) كسر البيت (بكسر الكاف وفتحها) : جانبه .
(٢) فلاة الإمام : صحراء الإمام الشافعى ، حيث مدفن الفقيد .
(٣) أكمات ، جمع أكمة : المرتفع من الأرض . والقاع : المنخفض منها .
(٤) يؤود : يعنى يثقل ويتعب . والمفندين : المكذبين .

إسماعيل باشا صبرى(*)

أجـلٌ وإن طالَ الزمانُ مُوافى ... أَخْلى يَدَيْكَ من الخليلِ الوافِي

داعٍ إلى حـــقٍّ أهابَ بخاشع ... لَبِس النذير على هُدًى وعَفاف(١)

ذهب الشبابُ فلم يكن رُزْئى به ... دونَ المُصابِ بصَفوةِ الأُلّاف

جَلَلٌ من الارزاءِ فى أمثـــاله ... هِمَمُ العـــزاءِ قليلةُ الإسعاف

خفّت له العَـــبراتُ وهى أبيّة ... فى حادثاتِ الدهرِ غيرُ خِفاف

ولكلّ ما أتلفتَ من مُستكرَمٍ ... إلا مَـــودّاتِ الرجالِ تلاف(٢)

ما أنتِ يا دُنيـــا ؟ أرؤيا نائمٍ ... أم ليلُ عُرسٍ أم بِساطُ سُلاف ؟

نَعمـــاؤكِ الرَّيحانُ إلا أنه ... مَسّت حَواشـــيه نقيعُ زُعاف(٣)

ما زلتُ أَصحَبُ فيكِ خُلقًا ثابتًا ... حتى ظفِـــرتُ بخُلقك المُتَنافى

***

ذَهب الذَّبيحُ السّمحُ مثل سَمِيّه ... طهر المكفّن طيّبَ الألفاف(٤)

كم باتَ يَذبَح صدْرَه لشكاته ... أُتراه يَحسَبُها من الأضـــياف(٥)

(*) إسماعيل باشا صبرى ، أحد الشعراء السابقين الفحول ، وكان يلقب بشيخ الشعراء وكان أحد رجال الدولة فى عصره ، فقد تسنم أعلى المناصب القضائية وترقى إلى منصب وكيل وزارة الحقانية ، ثم وافاه الموت فى سنة ١٩٢٣ .

(١) النذير : الموت .

(٢) المستكرم : هو كل كريم عليك من مال ونحوه .

(٣) نقيع زعاف ، أى سم ناجع بالغ .

(٤) يشبه الفقيد بالذبيح . والذبيح : قيل سيدنا إسماعيل ، وقيل سيدنا إسحاق . والمراد هنا سيدنا إسماعيل ، ومن أجل ذلك صار الفقيد سميا له . والألفاف : يقصد بها الكفن . يريد أنه ذهب طيب المظهر والمخبر .

(٥) الشكاة : هى العلة التى يشكوها المريض .

نَزلت على سَحْرِ السَّماحِ ونَحْـرِه ... وتقلَّبت فى أكرمِ الأكناف(١)

لَجت على الصَّدرِ الرحيبِ وبرَّحت ... بالكاظم الغيظ الصَّفوحِ العافى

ما كان أقسَى قلبَها من عِلَّةٍ ... عَلِقت بأرحم حَبَّةٍ وشَغاف(٢)

قلبٌ لو انتظم القلوبَ حنانُهُ ... لم يَبقَ قاسٍ فى الجوانح جافى

حتى رماه بالمنيَّـة فانجلت ... مَنْ يَبتلى بقضائه ويُعافى

أخنَت على الفَلك المُدارِ فلم يَدُر ... وعلى العُباب فقرَّ فى الرجاف(٣)

ومَضت بنار العبقريةِ لم تَدع ... غيرَ الرَّماد ودَارِسـات أثافى(٤)

حَملوا على الأكتاف نورَ جلالةٍ ... يذَرُ العيونَ حواسدَ الأكتاف

وتقلَّدوا النعشَ الكريمَ يتيمةً ... ولكم نعوشٍ فى الرقاب زِياف

مُتمايلَ الأعوادِ مما مَسَّ من ... كَرمٍ وممَّا ضَمَّ من أعطاف

وإذا جلالُ الموتِ وافٍ سابغٌ ... وإذا جـلالُ العبقريةِ ضافى

وبحَ الشباب وقد تخطَّر بينهم ... هل مُتِّعوا بتمسُّح وطَواف

لو عاش قُدوتهم وربُّ «لوائهم» ... نكسَ «اللواءَ» لثابتٍ وقاف(٥)

فلكم سـقاه الودَّ حين وداده ... جَربٌ لأهل الحكم والإشراف

لا يومَ للأقوامِ حتى يَنهَضوا ... بقوادمٍ من أمسِهم وخوافى(٦)

---

(١) النحر : الرئة . والنحر : أعلى الصدر . والأكناف : جمع كنف ، وهو الجانب .

(٢) يريد بقوله « أرحم حبة » : القلب . والشغاف (بالفتح) : غلاف القلب .

(٣) العباب : هو الموج . والرجاف : البحر .

(٤) الأثافى : جمع أثفية ، وهى ما يوضع عليه القدر .

(٥) رب لوائهم : يقصد به صاحب جريدة اللواء ، ومنشئها زعيم الشباب الأول المرحوم مصطفى كامل باشا .

(٦) القوادم والخوافى : ريش فى جناح الطائر . وقد ورد فى قول بعضهم : فإن الخوافى قوة للقوادم .

***

لا يُعجبنَّك ما تَرى من قُبـــةٍ ضربوا على مَوتاهمُ وطِراف(١)

هجَموا على الحق المُبين بباطلٍ وعلى سبيل القَصد بالإسراف(٢)

يَبْنون دارَ اللهِ كيف بَدَا لهم غرفاتِ مُثرٍ أو ســـقيفةَ عافى(٣)

ويُزوِّرون قبورَهم كقُصورهم والأرضُ تضحك والرُّفات السافى

***

فُجِعت رُبى الوادِى بواحد أيْكِها وتجرَّعت ثُكْلَ الغدير الصافى

فقَدت بَنانًا كالربيع مُجيـــدةً وشْىَ الرياضِ وصَنْعَةَ الأفواف(٤)

إن فاته نسبُ « الرَّضىِّ » فرُبما جَرَيا لغاية سُـــؤْدَدٍ وطِراف(٥)

أوْ كان دون « أبى الرضىِّ » أبوَّةً فلَقد أعادَ بيانَ « عبدِ منافِ »

شَرَفُ العصاميين صُنعُ نُفوسهم مَن ذا يقيس بهم بَنى الأشراف

قُل للبُشير إلى أبيه وجـــدِّهِ أعلِيتَ للقَمَرَيْنِ من أسلاف؟

لو أن (عمرانًا) نجارُكَ لم تَسُد حتى يُشارَ إليك فى الأعراف(٦)

---

(١) طراف — على وزن كتاب : بيت من أدم . ويقصد بها المقاص الموضوعة على بعض القبور .

(٢) القصد : الاعتدال ، وهو فى كل شىء ضد الإسراف .

(٣) العافى : الفقير .

(٤) الأفواف : الحرير .

(٥) الطراف ، هنا من قولهم : توارثوا المجد طرافا ، أى عن شرف ورفعة . والرضى : هو الشريف الرضى الشاعر المشهور .

(٦) عمران : أبو موسى عليه السلام . وقد نزلت فى القرآن المجيد سورة باسم آل عمران ، كما نزلت سورة باسم الأعراف .

***

قاضى الفضاةِ جَرَتْ عَليه قَضيةٌ ... لِلْموتِ ليسَ لها من آستئناف

ومُصَرِّفُ الاحكامِ مَوْكُولٌ إلى ... حُكم المنيَّـــة مالَه من كافى

ومُنادِمُ الاملاكِ تَحتَ قِبابهم ... أمسَى تُنادمُه ذِئابُ فيـــافى(١)

فى منزلٍ دارت على الصِّيد العُلا ... فيه الرَّحى ومَشَتْ على الأرْداف(٢)

وأُذِيلَ من حُسْن الوُجُوهِ وعِزِّها ... ما كان يُعبَد من وراء سِجاف(٣)

مِنْ كلِّ لمَّاحِ النعيم تَقَلَّبَتْ ... دِيباجَتاهُ على بلًى وجَفـــاف

وترى الجماجِمَ فى التُّرابِ تماثَلَتْ ... بعدَ العُقول تماثُلَ الاصداف

وترى العُيونَ القاتِلاتِ بنَظْرةٍ ... مَنْهوبَةَ الاجفانِ والأسياف(٤)

وتُراعُ من ضَحِكِ الثُّغورِ وطالما ... فَتَنَتْ بحُلْوِ تبسمٍ وهِنـــاف

غَزَتِ القُرونَ الذاهبين غَزالةٌ ... دَمُهـــم بِذِمَّة قَرْنِها الرَّعاف(٥)

يَجرى القضاءُ بها ويجرى الدهرُ عن ... يدِها فَيا لثـلاثةٍ أحـلاف

تَرْمى البريَّةَ بالحُبـــولِ وتارةً ... بحَبائِلٍ من خَيْطها وكفاف(٦)

نَسَجَتْ ثلاثَ عمائِم واستحدثَتْ ... أكفانَ مَوْتى من ثِيابِ زفاف(٧)

---

(١) الأملاك : الملوك . والفيافى : الصحارى .

(٢) الصيد العلا : الملوك . والأرداف : أبناء الملوك ، أو الذين يلونهم فى المرتبة .

(٣) السجاف : الستر ، كالكلل ونحوها .

(٤) يريد « بأسياف العيون » : اللحاظ ، وكثيرا ما تعمل اللحاظ فى الناس عمل السيوف . وعبر بالأسياف ليجانس بينها وبين الأجفان .

(٥) غزالة : هى الشمس . والرعاف : أى قرنها الأحمر الذى يشبه الدم .

(٦) الكفاف : حبالة الصائد .

(٧) ثلاث عمائم : الشعر الأسود ، والأسود فيه شيب ، والأبيض ، أى أدوار العمر الثلاثة .

***

« أأبا الحسين » تحيّةٌ لثَراكَ مِن رُوحٍ ورَيْحانٍ وعَذْبِ نطاف
وسَلامُ أهلٍ وُلِّهٍ وصَحابةٍ حَسْرَى على تلكَ الخلالِ لِهاف
هلْ فى يَدَىَّ سوى قَرِيضٍ خالدٍ أُزْجيهِ بين يديْكَ للإتحاف
ما كانَ أكرَمَه عليكَ فهلْ ترى أنى بَعثتُ بأكْرمِ الألطاف
هذا هو الرّيحانُ إلا أنّه نَفحاتُ تلك الرَّوْضةِ المِئناف(١)
والدُرُّ إلا أن مَهْدَ يَتيمِه بالأمسِ لُجَّةُ بحرِك القَذّاف
أيامَ أمرَحُ فى غُبارِكَ ناشئا نَهجَ المِهارِ على غبار « خِصاف »(٢)
أتَعلمُ الغاياتِ كيفَ تُرامُ فى مِضمارِ فضلٍ أو مَجالِ قَوافى

***

يا راكبَ الحدباءِ خلّ زمامَها ليسَ السبيلُ على الدليلِ بخافى
دانَ المطىَّ الناسُ غيرَ مَطيةٍ للحقِّ لا عَجْلى ولا مِيجاف(٣)
لا فى الجيادِ ولا النِّياق وإنما خُلِقت بغيْرِ حوافرٍ وخِفاف
تَنْتابُ بالرُّكْبانِ مَنزلَةَ الهُدى وتَؤُمُّ دارَ الحق والإنصاف
قد بَلَّغَتْ رَبَّ المدائنِ وانتهت حيثُ انتَهيْتَ بصاحبِ الأحقاف(٤)

***

نَمْ مِلءَ جَفنِكَ فالغُدُوُّ غوافلٌ عما يَرُوعُك والعشىُّ غَوافى
فى مَضجعٍ يكفيكَ مِن حَسناتِه أنْ ليسَ جَنْبُكَ عنه بالمتجافى

---

(١) الروضة المئناف والأنف : هى التى تحمى فلا يكاد أحد يمر بها أو يجتنى منها .
(٢) المهار : جمع مهرة . وخصاف : فرس مشهور فى العرب .
(٣) الميجاف : السريعة .
(٤) رب المدائن : كسرى . وصاحب الأحقاف : عاد .

وأضحك مِنَ الأقدارِ غيرَ معجَّز ... فاليومَ لَستَ لها من الأهداف

والموتُ كنتَ تخافه بك ظافرًا ... حتى ظَفِرْتَ بهِ فَدَعْه كفاف

قُل لى بِسَابقة الوِدادِ أُقَاتِلٌ ... هوَ حينَ يَنْزِلُ بالفتى أم شافى ؟

فى الأرضِ مِنْ أبوَيْك كنزا رحمةٍ ... وَهوًى وذلك من جِوارٍ كافى

وبها شبابُكَ واللّداتُ بكيتَه ... وبكيتَهم بالمَدْمَع الذَّرَّاف

فاذهَبْ كمصباحِ السماء ، كلاكُما ... مالَ النهار به ، ولَيسَ بطافى

الشمسُ تُخْلَفُ بالنُّجومِ وأنت بالـ ... ـآثار والاخبارِ والأوصاف

غَلَب الحياةَ فتًى يسُدُّ مكانَها ... بالذكرِ ، فهْو لها بَديلٌ وافى

فوزى الغـــزى(*)

جُرحٌ على جُرحٍ حنانَكِ (جِلَّق) حُمِّلتِ ما يُوهى الجبالَ ويُزهق(١)
صَـــبرًا لباةَ الشرقِ كلُّ مُصيبةٍ تَبلَى على الصبر الجميل وتخلُق(٢)
أنسيتِ نارَ الباطِشينَ وهـــزَّةً عَرتِ الزمانَ كأن (روما) تُحرَق(٣)
رعناء أرسلَهـا ودَسّ شُواظَها فى حُجرةِ التـاريخ أرعنُ أحمق(٤)
فمشت تُحطّم باليمين ذخـــيرةً وتَلصّ أخرى بالشمال وتَسرِق
جُنَّتْ فضَعضَعها ورَاضَ جماحَها من نشئك الحُمس الجنونُ المطبقُ
لقى الحـــديد حميـــة أمـوية لا تكتسى صدءًا ولا هى تطرق
ياواضعَ الدّستور أمسِ كخُلقِه ما فيه مِن عِوَجٍ ولا هو ضَيّق
نظمٌ مِن الشورى وحُكم راشدٌ أدبُ الحضـارة فيهما والمنطِق
لاتَخشَ مما ألحقـوا بكتابه يَبْقى الكتابُ وليس يَبْقَى الملحَق
مَيتَ الجـلالِ من القوافى زفرة تَجـــرى ومنهـا عَبرةٌ تَترقرَق
ولقد بَعثتُهما إليـــكَ قصيدةً أفأنتَ منتظِرٌ كعهدكَ شَيّق
أبكى لَياليَنا القصارَ وصُحبةً أخذت مُخيلتُهـــا تَجيش وتَبرُق(٥)

(*) فوزى الغزى : هو أحد سراة الزعمـاء فى الشام وأحد ألوية الثورة العربية فى نهضتها العظمى . توفى وأقيمت له حفلة تأبين فى دمشق وألقيت فيها هذه القصيدة العصماء فى سنة ١٩٣٠ .

(١) جلق (بشد اللام مفتوحة أو مـكسورة) : دمشق .

(٢) اللباة : أشى الأسد .

(٣) يشير إلى ضرب الفرنسيين لها بالمدافع . وحادثة حرق روما : هى إحدى الحوادث التاريخية الـكبرى ، وهى مضرب المثل منذ صار نيرون مثلا للظلم والجبروت .

(٤) الشواظ (بضم الشين وكسرها) : لهب لا دخان فيه .

(٥) السحابة المخيلة : التى تحسب ماطرة . أى إن صحبة الفقيد كانت مرجوة الخير كما تـكون السحابة المخيلة مرجوة المطر .

لا أذكرُ الدنيا إليكَ فربما ... كُرِه الحديثُ عن الأجاجِ المغرِق(١)

طُبِعت من السُّم الحياةُ طَعامُها ... وشَرابُها وهواؤُها المتنشَّق

والناسُ بينَ بطيئِها وذُعافها ... لا يعلَمون بأىِّ سُمَّيْها سُقوا(٢)

أما الوَلىُّ فقد سقاكَ بسُمه ... ما ليس يَسقيك العدوُّ الأزرق(٣)

طلبوك والأَجلُ الوشِيكُ يحثُّهم ... ولكلِّ نفسٍ مُدَّةٌ لا تُسبَق

لما أعانَ الموتُ كيدَ حِبالهم ... عَلِقت وأسبابُ المنيَّةِ تعلَق

طرقت مِهادَك حيةٌ بشريةٌ ... كفَرت بما تَنتابُ منه وتَطرُق(٤)

***

يا (فوز) تلكَ دِمشقُ خلفَ سَوادها ... تَرمى مَكانك بالعيون وترمُق(٥)

ذكرت لَيالىَ بَدرِها فتلفَّتت ... فعَساكَ تطلُع أو لعلك تُشرِق

(بَردى) وراءَ ضِفافِه مُستَعْبِرٌ ... والحورُ مَحلولُ الضفائرِ مُطرق(٦)

والطيرُ فى جَنَباتِ (دُمَّر) نُوَّحٌ ... يَجِدُ الهمومَ خَلِيُّهن ويأرَق(٧)

ويقول كلُّ مُحدِّثٍ لسميره: ... أبذاتِ طَوقٍ بَعدَ ذلك يُوثَق؟(٨)

---

(١) الأجاج : الملح المر .

(٢) الذعاف : سم الساعة .

(٣) العدو الأزرق : هو الكثير العداوة . والزرقة لون تستعمله العرب فى وصف ما تكره ، من ذلك قولهم : أسنة زرق . ويقولون : العيون الزرق ، أى العمى .

(٤) المهاد : الفراش . وفى هذا البيت إشارة إلى حادثة قتل الفقيد بواسطة زوجته .

(٥) سواد دمشق : أى القرى التابعة لها .

(٦) بردى : نهر بالشام . والمستعبر : بمعنى الباكى . والحور : شجر . وضفائر الحور أى غصونه التى تشبه جدائل الشعر .

(٧) دمر (بضم الدال وتشديد الراء مفتوحة) : عقبة فى دمشق . والخلى ، بمعنى الخالى من الهموم ، وهو ضد الشجى .

(٨) ذات الطوق ، أى الحمامة ، وهى فى هذا البيت كناية عن المرأة .

***

عَشِقت تهاويل الجمال ولم تَجد ... فى العبقريَّة ما يُحَبّ ويُعشَق[١]

فمشت كأن بنانَها يدُ مُدمنٍ ... وكأن ظلَّ السمّ فيها زِئبق

ولوَ آن مَقدورًا يُرَدّ لردّها ... بحياته الوطنُ المـــروعُ المُشفِق

أشقى قضاءُ الأرض بعدك أسرةً ... لولا الفضاء من السماء لما شقُوا

قَستِ القُلوبُ عليهمُ وتحجَّرت ... فانظر فؤادَك هل يَلينُ ويَرفُق

إن الذين نزَلتَ فى أكنافهم ... صَفَحوا فمـــا منهم مَغيظٌ مُحنَق

سخِروا من الدنيا كما سَخِرت بهم ... وانْبتَّ من أسبابها المتعلّق[٢]

يا مأتَمًا من (عبد شمسٍ) مثله ... للشمس يُصنَع فى الممات ويُنسق

إن ضاقَ ظهرُ الأرضِ عنك فبطنُها ... عمـا وراءكَ من رُفاتٍ أضيق[٣]

لمـــا جمعت الشامَ من أطرافِه ... وافى يُعزّى الشام فيك المَشرِق

يبكى لواءً من شَـــباب أميّةٍ ... يَحمِى حَمَى الحقِّ المُبين ويحفق

لمَست نواصيها الحصونُ تروُمه ... وتلمَّسته فـــلم تجده الفيلَق[٤]

ركنُ الزعامةِ حين تَطلب رأيه ... فيرى وتَسأله الخطابَ فيَنْطِق

ويكاد من سحـــر البلاغة تَحتَه ... عود المنـــابرِ يستخفّ فيُورق[٥]

---

(١) التهاويل : هى الألوان المختلفة .

(٢) انبت ، أى قطع .

(٣) الرفات : بقايا الميت .

(٤) نواصى الحصون . أعاليها .

(٥) يستخف ، بمعنى يسر .

(فيحاء) أين على جِنانِك وردةٌ كانت بها الدنيا ترفُّ وتعبَق ؟[1]
علوية تجـــد المسامع طيَّهـا وتُحسُّ ريّاها العقولُ وتنشَق
وأرائكُ الزهر الغصون وعرشها يدُ أمـــةٍ وجَبينُها والمَفرق
مَن مُبلغٌ عنى شُـــبولةَ جلّق قولاً يَبَرُّ على الزمان ويَصدقُ
باللهِ جـــل جـــلاله بمحمدٍ بيسوع بالغـــزّى لا تتفرّقوا
قد تُفسِد المرعى على أخواتها شاةٌ تند من الفطيع وتَمرقُ

---

(١) فيحاء : دمشق .

كريمة البارودى (*)

أحيث تَلُوحُ المُنى تأفُلُ ... كفى عِظَةً أيها المنزلُ (١)

حكيتَ الحياةَ وحالاتِها ... فهلا تخطَّيت ما تَنْقُل

أمِن جُنح ليلٍ إلى جُحْرِه ... حِمًى يَزدَهِى وحِمًى يَعْطل (٢)

وذلك يُوحِش من رَبَّةٍ ... وذلك من رَبَّةٍ يأهِلُ (٣)

أجاب النعىَّ لديك البشير ... وذَاقَ بكأسَيْهما المَحْفِل

وأطرَقَ بينهما والدٌ ... أخو تَرْحةٍ لَيلُه أليل (٤)

يَفِيءُ إلى العقل فى أمره ... ولكنّه القلبُ لا يعقِل

تهاوتْ عن الوردِ أغصانُه ... وطارَ عن البَيْضة البلبُل (٥)

وراحت حياة وجاءت حياةٌ ... وأظهرَ قدرتَه المُبدِل

وما غير مَن قد أتى مُدبِرٌ ... ولا غير من قد مَضى مُقْبِل

كأنى (بسامى) هَلوعُ الفؤادِ ... إذا أسمعت همسة يَعْجَل

يرى قَدرًا يأملُ اللُّطف فيه ... وعادِى الرَّدى دون ما يأمل

يُضِيءُ لضيفانه بِشْرُه ... وبين الضلوع الغَضى المُشعَل (٦)

(*) وجه هذه القصيدة يعزى بها المرحوم محمود سامى باشا البارودى فى كريمته التى توفيت أثناء زفاف شقيقتها .

(١) تلوح المنى ، بمعنى تشرق . وتأفل : بمعنى تغرب .

(٢) جنح الليل (بضم الجيم وكسرها) : طائفة منه . ويعطل ، بمعنى يخلو . والأصل فى العطل : التجرد من الحلى .

(٣) الربة هنا : يقصد بها صاحبة البيت . ويأهل : يمتلئ أو يعمر .

(٤) الترحة : الحزن . والليل الأليل : الشديد السواد .

(٥) تهاوت : أى تساقطت أو تخلت .

(٦) الغضى : شجر إذا اشتعل بقى جمره طويلا .

ويَقْريهمُ الأنسَ فى منزلٍ ... ويَجمعه والأسى مَنزِل

فمِن غادةٍ فى مَجالى الزِّفاف ... إلى غادةٍ داؤها مُعضِل

وذى فى نَفَاسَتِها تَنْطوى ... وذى فى نَفَائِسها تَرْفُل (١)

تَقَسَّم بينهما قلبُه ... وخانته عيناه والأرجُل

فيانكدَ الحرِّ هل تَنْقضى ... ويا فرحَ الحرِّ هل تكْمُل

وياصبرَ (سامى) بلغْت المدَى ... ويا قلبَه السهل كم تَحمل

لقد زِدتَ من رقَّةٍ كالصّراط ... ودون صَلابتك الجَنْدل

يَمُرّ عليكَ خليطُ الخُطوبِ ... ويَحتازُك الخفّ والمُثقِل (٢)

ويا رجلَ الحِلم خُذ بالرضى ... فذلك من مُنتقِى أجمَل

أتحسَب شهدا إناء الزمان ... وطينتُه الصابُ والحنظل ؟

وما كان مِن مُرِّه يَعتلى ... وما كان من حُلوه يَسفُل

وأنت الذى شَرِبَ المُترَعَاتِ ... فأىُّ البواقى به تحفِل

أفى ذا الجَلالِ وفى ذا الوَقارِ ... تخفُّك ضَرَّاءُ أو تُذهِل

ألم تكُن المَلكَ فى عزِّه ... وباعُك من باعه أطْوَل ؟

وقولُكَ من فوق قول الرِّجال ... وفعلُك من فعلهم أنبل (٣)

ستعرِفُ دُنياك من ساوَمت ... وأنَّ وَقارَك لا يُبذَل

كأنك (شمشونُ) هذى الحياةِ ... وكلُّ حوادثها هَيكل (٤)

---

(١) النفاسة من قولهم : هذا شىء نفيس ، أى ثمين يرغب فيه . والنفائس : الحلى وما أشبهها .

(٢) الخف : الخفيف . والمثقل : الثقيل .

(٣) يشير إلى زمن الثورة العرابية ، وموقف البارودى منها .

(٤) شمشون : أحد أنبياء التوراة وله قصة هناك تدل على أنه أعطى بسطة عظيمة فى القوة .

فتحى ونورى(*)

أُنظُر إلى الأقمار كيفَ تَزولُ ... وإلى وُجوهِ السَّعدِ كيف تَحولُ
وإلى الجبال الشُّمِّ كيف يميلُها ... عادى الرَّدى بإشارةٍ فتَميل
وإلى الرِّياح تَخِرُّ دون قرارِها ... صَرْعَى عليهن التُّرابُ مَهيل
وإلى النّسورِ تقاصرت أعمارُها ... والعهدُ فى عُمُر النسور يَطول
فى كلِّ مَنْزِلةٍ وكل سَمِيَّة ... قمرٌ من الغُرِّ السُّماة قَتيل
يَهْوِى القضاءُ بها فما مِن عاصِم ... هيهات ليس من القَضاء مُقيل
(فتح السماء) و(نورُها) سكنَا الثرى ... فالأرضُ وَلْهَى والسماء ثكُول
سِرْ فى الهواء ولُذْ بناصيةِ السُّها ... الموتُ لا يَخفَى عليه سبيل(١)
واركب جَناحَ النَّسر لا يَعْصِمْكَ مِن ... نَسرٍ يُرفرفُ فيه عزرائيل
ولكلِّ نفسٍ ساعةٌ مَن لم يَمُت ... فيها عزيزًا مات وهْو ذليل
أ إلى الحياة سكَنْتَ وهْىَ مَصارعٌ ... وإلى الأمانى يَسكُنُ المسلول
لا تَخفِلنَّ ببؤسها ونعيمِها ... تُعْمَى الحياةِ وبؤسُها تَضليل
ما بينَ نَضرَتِها وبين ذُبولِها ... عُمرُ الورُودِ وإنَّهُ لقليل
هذا بَشِيرُ الأمسِ أصبحَ ناعيًا ... كالحُلم جاء بضدِّه التأويل
يَجرِى من العبَراتِ حولَ حديثِهِ ... ما كانَ مِنْ فرَحٍ عليه يَسيل

(*) فتحى ونورى ، هما الطياران العثمانيان اللذان قدما إلى مصر فى سنة ١٩١٣ يقودان طيارتهما فسقطت بهما فماتا فكان لمصابهما فى مصر أسف شديد . وكانت الخلافة الإسلامية وقتئذ ما تزال تربط المصريين بالعثمانيين .

(١) السها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى .

ولرُبَّ أعراسٍ خَبَأْنَ مآتمًا ... كالرَّبط فى ظلِّ الرياضِ تَقيل (١)

يا أيها الشُّهداء لن يُنسَى لكم ... فتحٌ أغرُّ على السماء جميل

والمجد فى الدنيا لأوّلِ مُبتَنٍ ... ولِمن يُشيِّد بعدَه فيطيل

لولا نفوسٌ زُلِّلَ فى سُبُل العُلا ... لم يَهدِ فيها السالكينَ دليل

والناسُ باذلُ رُوحِه أو مالِه ... أو عِلْمِه والآخرون فُضول

والنَّصرُ غُرَّتُه الطلائعُ فى الوغَى ... والتابعون من الخميسِ حُجول (٢)

كم ألف ميل نحوَ مصرَ قطعتُم ... فيم الوقوفُ ودون مصرٍ ميل ؟

(طوروس) تحتكمُ ضئيلٌ طَرْفُه ... لما طَلَعْتم فى السحاب كَلِيل

ترخون للريح العِنان وإنها ... لكمُ على طُغيانها لَذَلول

اِثنين إثْرَ اثنين لم يَخطُر لكم ... أنَّ المنيةَ ثالثٌ وزَميل

ومن العجائب فى زمانِك أن يفى ... لكَ فى الحياةِ وفى المماتِ خَليل

لو كان يُفدَى هالكٌ لفَداكمُ ... فى الجوّ نَسرٌ بالحياة بخيل

أى الغُزاة أُولِى الشهادةِ قبلَكُمْ ... عَرضُ السماءِ ضَريحُهم والطُّول ؟ (٣)

يَعْدو عليكم بالتحيةِ أهلُها ... ويُرفرِفُ التَّسبيحُ والتهليل

---

(١) يريد أن الأحزان تختبئ فى الأفراح ، كما تكمن الحيات الرقط وقت القيلولة فى ظلال الرياض ، فوجود الحيات فى ذلك الجو تسميم له ومانع من الانتفاع به ، كما أن انطواء الأحزان فى ثنايا الأفراح مسمم لجوها مانع من الاستمتاع بكامل سرورها .

(٢) الخميس : الجيش . والحجول ، أصلها من اللون الأبيض يكون فى قوائم الفرس كأنه العلامات . يقول : إن الذين يقدمون فى أوائل الجيوش يكونون فى جسم النصر أشبه بالغرة وهى لا تكون إلا فى الوجه ، على حين أن غيرهم من سائر الجيش يكون أشبه بالحجول ، وهى لا تكون إلا فى الأيدى والأرجل ، وطبيعى أن الوجه أشرف ، وإن كانت الحجول بعض سمات الجمال .

(٣) فى هذا البيت ترغيب عظيم يساق للطيارين ، إذ يقول لهم : إن الغزاة ، وهم موضع الإجلال والإكبار . تشق قبورهم فى الأرض ، ولكن أضرحتكم تخط فى السماء .

(إدريسُ) فوق يَمْنِهِ ريحانةٌ ... ويَسوعُ فوقَ يمينه إكليل (١)

فى عالَم سُكانُه أنفاسُهم ... طِيبٌ وهَمْسُ حديثِهم إنجيل (٢)

إنى أخاف على السماءِ من الأذى ... فى يوم يُفسِد فى السماء الجيل (٣)

كانت مُطهَّرةَ الأديم نقية ... لا آدمٌ فيها ولا قابيل (٤)

يَتوجَّهُ العانى إلى رَحماتِها ... ويُرَى بها بَرَقُ الرجاء عليل

ويُشيرُ بالرأس المكلَّلِ نحوها ... شيخٌ وباللَّحظِ البريءِ بَتول (٥)

واليوم للشَّهواتِ فيها والهوى ... سَيْلٌ وللدَّمِ والدُّموعِ مَسيل

أضحتْ ومن سُفنِ الجواءِ طَوائفٌ ... فيها ومن خيلِ الهواءِ رَعيل (٦)

وأزِيلَ هَيكلُها المصونُ وسِرُّه ... والدهرُ للسر المصونِ مُذيل (٧)

***

هَلِعتْ (دِمَشقُ) وأقبلت فى أهلِها ... مَلْهوفةً لم تَدْرِ كيف تقول

مَشت الشُّجونُ بها وعمَّ غياطَها ... بين الجداولِ والعُيونِ ذُبول (٨)

فى كل سهلٍ أنَّةٌ ومناحةٌ ... وبكل حَزْنٍ رَنَّةٌ وعويل

---

(١) يسوع : هو عيسى ابن مريم . وإدريس : هو أحد الأنبياء الرسل . وقد خص إدريس بالذكر لما جاء فى قصة الإسراء من أن النبى صلوات الله عليه رآه قائما على باب أحد السموات السبع فسأل جبريل : من هذا ؟ فقال : أخوك إدريس .

(٢) قوله « وهمس حديثهم إنجيل » : يقصد أن أحاديثهم طهر وتقديس .

(٣) يريد أنه خائف على جو السماء يوم يتخذه الطيارون ميدانا للحروب فيلوثون ذلك الطهر بأذى قتل الناس وتخريب أوطانهم .

(٤) يريد « بقابيل » الإشارة إلى أول دم أراقه الإنسان ظلما لأخيه الإنسان .

(٥) الرأس المكلل : الذى يتوجه الشيب . وهذه كناية عن حالة الضعف .

(٦) خيل الهواء : الطيارات . والرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين أو الخمسة والعشرين .

(٧) مذيل : مهين . أى إن الدهر لم يحسن حفظ هذا السر المصون فكأنه أهانه .

(٨) الغيط : البستان ؛ ويقصد « بالعيون » عيون الماء .

وكأنما نُعِيَت أُمَيَّةُ كُلُّها ... للمسجد الأمويِّ فَهْوَ طُلول(١)

خَضَعت لكم فيه الصفوفُ وأُزلفتْ ... لكم الصلاةُ وقُرِّب الترتيل

من كلِّ نعشٍ كالثُّريا مجدُه ... في الأرض عالٍ والسماء أَصيل

فيه شهيدٌ بالكتاب مُكفَّنٌ ... بمدامع الرُّوحِ الأمين غَسيل

أعوادُه بينَ الرجالِ وأصلُهُ ... بين (السهى) و (المُشترى) محمول(٢)

يمشي الجنودُ به ولولا أنَّهم ... أولى بذاك مَشى به جِبريل

حتى نزلتُم بُقعةً فيها الهدى ... مِن قبلُ ثاوٍ والسَّماحُ نزيل

عَظُمَت وجَلَّ ضَريحُ (يوسفَ) فَوقَها ... حتى كأنَّ الميتَ فيه رَسول(٣)

***

شعرى إذا جُبتَ البحارَ ثلاثةً ... وحواكَ ظل في (فروق) ظليل(٤)

وتداولتْك عِصابةٌ عربيةٌ ... بين المآذن والقلاع نُزول

وبَلغتَ من باب الخلافة سُدَّةً ... لِستورِها التمسيحُ والتَّقبيل

قل للإمام محمدٍ ولآله ... صبرُ العظام على العظيم جميل

تلك الخطوبُ وقد حَملتم شَطرَها ... ناءَ الفُراتُ بشَطرها والنيل

إن تفقِدوا الآساد أو أشبالَها ... فالغابُ من أمثالها مأهول

صبرًا فأجرُ المسلمين وأجرُكم ... عند الإله وإنّه لجزيل

يامَن خِلافتُه الرَّضيةُ عِصمةٌ ... للحقِّ أنت بأن يُحَقَّ كفيل

والله يعلم أنَّ في خُلفائه ... عَدْلًا يُقيم الملكَ حين يميل

---

(١) طلول : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار البناء .

(٢) المشترى : من الكواكب السيارة .

(٣) يقصد « بيوسف » صلاح الدين الأيوبي .

(٤) جبت : قطعت . وفروق : الآستانة ، وكانت عاصمة الخلافة الإسلامية وقتئذ .

والعـــدلُ يَرفعُ للمالك حائطًا ... لا الجيشُ يرفعه ولا الأسطول

هـــذا مقامُ أنت فيـــه محمدٌ ... والرِّفقُ عنـــد محمـــدٍ مأمـــول(١)

بالله بالإســـلام بالجرحِ الذى ... ما آنفكَّ فى جَنْب الهـلال يَسيل

إلَّا حللتَ عن السجين وَثاقه ... إنَّ الوَثاقَ على الأُسودِ ثقيـل(٢)

أيقول واشٍ أو يُردِّد شامتٌ ... صِنديدُ (برقةَ) مُوثَقٌ مكبول(٣)

هُو من سيوفِكَ أغمَدُوه لريبةٍ ... ما كان يُغمَدُ سَيفُك المسلول

فاذكرْ أميرَ المؤمنين بَلاءه ... واسْتبقه إن السيوفَ قليل

---

(١) كان يخاطب الخليفة محمد رشاد .

(٢) السجين ، هو عزيز بك المصرى القائد الحربى العظيم ، وكان يجاهد فى طرابلس أيام أغار عليها الطليان ، وقد وشى به للحكومة التركية فاعتقلته وزجت به للسجن ولم يخرج إلا بتحقيق وشفاعة مصرية ، كانت هذه القصيدة من بعض ظواهرها ومن أجل مظاهرها .

(٣) برقة : إحدى المدن الكبيرة بطرابلس الغرب ، دارت فيها أهم الوقائع الحربية فى تلك الإغارة ، وفيها لمع مجد عزيز بك .

على باشا أبو الفتوح(*)

مابينَ دَمعِى المُسْبَل عهدٌ وبين ثرَى (على)
عهدُ (البقيع) وساكنيه على الحيا المُتهلِّل (١)
والدَّمْعُ مروَحَةُ الحزين وراحةُ المُتَململِ
نمضى ويَلْحَقُ من سَلَا فى الغابرينَ بمن سُلى
كم من تُرابٍ بالدمُو ع على الزمان مُبلَّل
كالقبر مالم يُبْلَ فيه من العِظام وما بَلِى
ريَّان من نَجْدٍ يَعِز على القُصور مؤثَّل
أمستْ جوانبُه قَرا رًا للنُّجوم الافَّل
وحديثُهم مِسكُ النَّدِىِّ وعَنبرٌ فى المحفِل

***

قل للنَّعىِّ هَتكتَ دَمعَ الصابر المُتَجَمِّل (٢)
المُلتقِى الاحداث إنْ نَزَلت كأنْ لَمْ تَنْزِل
حَمَل الأسى (بأبى الفتو ح) علىّ مالم أحمل (٣)
حتى ذَهَلْتُ ومن يَذُق فقدَ الاحبة يذهَل
فعتبتُ فى رُكن (القضا ء) على القضاء المُنزَّل

(*) على باشا أبو الفتوح ، أحد نوابغ مصر الذين اشتركوا فى تمهيد الطريق لنهضتها كان حقوقيا ضليعا ، وأسندت له وكالة وزارة المعارف فكان موضع الفخر والأمل . وقد توفى سنة ١٩١٣ فعد موته خسارة وطنية كبرى .

(١) البقيع : أحد المزارات المقدسة فى المدينة المنورة .

(٢) المتجمل : الذى يدفن همه فى صدره احتسابا ويظهر عكسه للناس .

(٣) الأسي : الحزن .

لهفى على ذاك الشبا ب وذلك المُستقبَل
وعلى المعارف إذ خَلت مِن رُكنِها والموئِل (١)
وعلى شَمائلَ كالرُّبى بين الصِّبا والجَدول
وحياء وجهٍ كان يُو ثر عن «يَسوعَ» المُرسَل

***

يارَاوِيًا تحت الصفيح من الكَرى والجندل (٢)
وَمُسَرْبَلًا حُلَلَ الوزا رةِ بات غير مُسَرْبَل
وَمُوَسَّدًا حُفَرَ الثَّرى بعدَ البناء الأطول
إنى التفتُّ إلى الشبا ب الغابر المتمثِّل
ووقفتُ ما بين المحـ ـقَّ بقِ فيه والمتخيَّل
فرأيتُ أيامًا عَجِلْـ ـنَ وليتَها لم تَعْجَل
كانت مُوَطَّأَةَ المها د لنا عِذابَ المنهَل
ذهبَت كَحُلمٍ بَيْدَ أَنَّ الحُلم لم يتأوَّل
إذ نحن فى ظلِّ الشبا ب الوارف المتهدِّل (٣)
جاران فى دار النَّوَى مُتقابلانِ بمنزل
أبكى وأيكك ضاحكا ن على نَحائل مونبلى (٤)

---

(١) الموئل : الملجأ الذى يلجأ إليه فى الشدة .

(٢) يريد «بالصفيح والجندل» : حجارة القبر . يستعير بالفقيد ، وهو المرفه فى الحياة كيف ينام هذا النوم العميق تحت الحجارة الصماء الثقيلة . وهذا حذق فى سياق التفجع بأسلوب الاستعبار .

(٣) المتهدل : من قولهم : تهدلت أغصان الشجر ، إذا تدلت .

(٤) يشير فى هذا البيت والذى قبله إلى أن الفقيد كان هو وأمير الشعراء زميلين وصديقين ، كانا يطلبان العلم معا فى جامعة « مونبليه » وهى إحدى مدن فرنسا الشهيرة والأيك فى الأصل : عش الطائر . والنحائل : النباتات الكريمة كالحدائق والبساتين .

والدرسُ يَجمعُنى بأفـ ـضلِ طالبٍ ومُحصِّل
أيامَ تَبْذُلُ فى سبيـ ـلِ العلم ما لم يُبذَل
غضَّ الشبابِ فكيف كنـ ـتَ عن الشباب بمَعْزِل
وإذا دَعاكَ إلى الهوى داعى الصِّبا لم تَحفِل
ولو اطَّلعت على الحيا ةِ فَعلتَ ما لم يُفعَل
لم يَدْرِ إلا الله ما خَبأتْ لكَ الدنيا ولى
تَجْـرى بنا لمُفتَّح بينَ الغُيوب ومُقفَل
حتى تَبدَّلنـا وذا كَ العهدُ لم يَتَبدَّل
هاتيـك أيامُ الشبا بِ المُحسنِ المُتفضِّل
مَن فاته ظلُّ الشبيـ ـبةِ عاش غيرَ مُظلل

***

يا راحِلًا أخلى الدِّيا رَ وفضلُه لم يَرْحَل
تتحمَّلُ الآمالُ إذ ـ ـرَ شبابه المُتحمِّل (١)
مَشت الشبيبةُ جَحفلًا تبكى لِواء الجحفَل (٢)
فانظر سريرَكَ هل جَرَى فوق الدموعِ الهُطَّل
اللهَ فى وطنٍ ضعيـ ـفِ الركن واهى المَعقِل
وأبٍ وراءك حُزنُه لِنَواكَ حزنُ المُثكل
يَهَبُ الضِّياعَ العامرا تِ لمَنْ يرُدُّ له « على »
ليس الغنىُّ من البر يَّـة غيرَ ذى البال الخَلِى

---

(١) الشباب المتحمل ، أى الراحل .
(٢) الجحفل : الجيش .

ونجيبةٍ بين العقـــا ... ثِل هَمُّها لا ينســـلى (١)

دخلت منازلَها المَنو ... نُ على الجرىء المُشبل (٢)

كَسَرَت جَناحَ مُنعَّمٍ ... ورَمت فؤادَ مُدلَّل

فكأنّ آلكَ من شَجَ ... ومُتـــيم ومُرمَّـــل

آلُ «الحسين» (بِكربلا ... فى كُربةٍ لا تَنْجلى) (٣)

خَلَعَ الشبابَ على القَنا ... وبَذَلْتَه لِلْمُعْضِـــل (٤)

والسيفُ أرحمُ قاتلًا ... من عِلَّةٍ فى مَفتَـــل

فاذهب كما ذهبَ الحسيـ ... ـنُ إلى الجوارِ الأفضَل

فكلاكُما زينُ الشبا ... ب بجَنـةِ اللهِ العـــلى

---

(١) لا ينسل ، أى لا يمضى ولا يبارح مكانه من قلبها .

(٢) المشبل : هو الذى يلد الأشبال ، وهى أولاد السباع .

(٣) كربلاء : اسم الموضع الذى قتل فيه سيدنا الحسين رضى الله عنه .

(٤) يشبه الفقيد بالحسين بجامع بذل الشباب من كليهما وموت كليهما قبل أوانه كأنه يرى أن الموت فى سن الشباب بمثابة بذل الحياة وخلع ثوبها ، وهذا لا ينافى الاعتقاد بالأجل المكتوب ، فقد تمثل الحسين نفسه عند ما رأى أن لا مفر من القتل بقول بعضهم :

* فلو ترك القطا ليلا لنام *

جورجى زيدان (*)

ممالكُ الشرقِ أم أدراسُ أطلال ... وتلك دُولاتُه أم رَسْمُها البالى (١)

أصابَها الدهرُ إلا فى مآثرِها ... والدهرُ بالناسِ من حالٍ إلى حال

وصار ما تتغنَّى من محاسنها ... حديثَ ذى مِحْنةٍ عن صَفوِه الخالى

إذا جَفا الحقُّ أرضًا هانَ جانبُها ... كأنها غابةٌ من غيرِ رئبال (٢)

وإن تحكَّم فيها الجهلُ أسلَمَها ... لفاتكٍ من عَوادى الذلِّ قتَّال

نوابغَ الشرقِ هُـزّوهُ لعلَّ به ... من الليالى جُمودَ اليائس السَّالى

إن تَنفخُوا فيه من رُوحِ البيانِ ومن ... حقيقةِ العلمِ يَنهضْ بَعْدَ إعضال

لا تجعلوا الدينَ بابَ الشرِّ بينكُمُ ... ولا تحـلّ مُباهاةٍ وإدلال

ما الدينُ إلا تراث الناس قبلكُمُ ... كلُّ آمرئٍ لأبيهِ تابعٌ تالى

ليس الغلوُّ أمينًا فى مَشُورته ... مَناهجُ الرشدِ قد تَخفَى على الغالى

لا تَطلبوا حَقّكم بَغْيًا ولا صَلَفًا ... ما أبعدَ الحقَّ عن باغٍ ومُحتال

ولا يَضِيعَنَّ بالإهمال جانبُـه ... فَرُبَّ مصلحةٍ ضاعت بإهمال

(*) الأستاذ الكبير المرحوم جورجى زيدان منشئ دار الهلال الغراء ، هو أحد مؤسسى النهضة الصحفية فى البلاد العربية ، وأحد أساطين رجال العلم والأدب ، الذين يرجع إلى مؤلفاتهم ويحتج بآرائهم . وقد توفى سنة ١٩١٤ بعد أن ترك خلفه من التراث العلمى والأدبى ما يكفى لتسجيل اسمه فى طليعة سجل المصلحين .

(١) الأدراس : جمع دارس ، وهو الطريق الخفى أو الثوب الخلق . والأطلال : جمع طلل ، وهو ما شخص من آثار الديار . وهذا المطلع الشعرى ملآن بالتفجع على ما صارت إليه ممالك الشرق فى هذه الأيام ، فهو يسأل مستنكرا : أهذه ممالك حقا ؟ أم هى آثار ورسوم من ممالك عظيمة كانت موجودة وذهبت ؟

(٢) رئبال : أسد .

كم هِمَّةٍ دفعت جيلًا ذُرا شرفٍ ... ونومةٍ هدَّمت بُنيانَ أجيال

والعلمُ فى فضله أو فى مفاخره ... ركنُ الممالك صدرُ الدولةِ الحالى

إذا مشت أمةٌ فى العالمين به ... أبَى له اللهُ أن تمشى بأغلال

يَقِلُّ للعلم عندَ العارفين به ... ما تُقدِر النفسُ من حُبٍّ وإجلال

فقِف على أهله واطلبْ جواهرَه ... كنافدٍ نُمعن فى كفِّ لآل

فالعلم يفعل فى الأرواح فاسدُه ... ما ليس يفعل فيها طِبُّ دَجَّال

ورُبَّ صاحبِ دَرْسٍ لو وقَفْتَ به ... رأيتَ شِبهَ عليم بين جهَّال

وتسبِق الشمسَ فى الأمصار حكمتُه ... إلى كهولٍ وشُبَّانٍ وأطفال

(زيدان) إنّى مع الدنيا كعهدك لى ... رِضى الصديق مقيلُ الحاسد القالى

لى دَولةُ الشعر دُون العصرِ وائلةٌ ... مَفاخرى حِكَمى فيها وأمثالى

إنْ تَمشِ لِلخير أو للشرِّ بى قدمٌ ... أشمِّر الذيلَ أو أعثُرْ بأذيالى

وإنْ لقيتُ ابنَ أُنثى لى عليه يدٌ ... جَحَدتُ فى جنب فضل الله أفضالى

وأشكر الصنعَ فى بِرِّى وفى عَلنى ... إن الصنائعَ تَزْكو عند أمثالى

وأتركُ الغيبَ لله العليم به ... إنَّ الغيوبَ صناديقٌ بأقفال

(كأرغن) الدير إكثارى وموقِعُه ... وكالأذانِ على الأسماع إقلالى[1]

رثَيْتُ قبلك أحباباً فُجِعتُ بهم ... ورحتُ من فُرقةِ الأحباب أُرثَى لى

وما علِمتُ رفيقًا غيرَ مؤتَمَنٍ ... كالموتِ للمرء فى حِلٍّ وترحال

أرحتَ بالكَ من دُنيا بِلَا خُلق ... أليس فى الموت أقصى راحةِ البال ؟

طالت عليكَ عوادى الدهرِ فى خُشُنٍ ... من التُّراب مع الأيام مُنهالِ

لم نأتِه بأخٍ فى العيش بعدَ أخٍ ... إلا تركنا رُفاتًا عندَ غُربال

---

(١) الأرغن : آلة موسيقية معروفة .

لا ينفعُ النفس فيه وهْىَ حائرةٌ ... إلا زكاة النُّهى والجاهِ والمال

ما تصنعُ اليومَ من خيرٍ تجِدْهُ غدًا ... الخيرُ والشر مِثقالٌ بمثقال

قد أكمَل اللهُ ذيّاك (الهلالَ) لنا ... فلا رأى الدهرَ نقصًا بعدَ إكمال

ولا يَزَل فى نفوس القارئين له ... كرامةُ الصُّحف الأولى على التالى

فيه الروائعُ من علمٍ ومن أدبٍ ... ومن وقائعِ أيامٍ وأحوال

وفيه هِمَّةُ نفسٍ زانها خُلقٌ ... هما لباغى المعالى خيرُ مِنْوال

علَّمت كلَّ نؤومٍ فى الرجال به ... إن الحياةَ بآمالٍ وأعمال

ما كان من دُولِ الإسلام مُنصرِمًا ... صَوَّرْتَه كل أيامٍ بتمثال

نَرى به القومَ فى عزٍّ وفى ضَعةٍ ... والملكَ ما بين إدبارٍ وإقبال

وما عرضْتَ على الألبابِ فاكهةً ... كالعلمِ تُبْرِزُه فى أحسنِ القال

وضعتَ خيرَ (روايات) الحياةِ فضَعْ ... روايةَ الموتِ فى أسلوبها العالى

وصِفْ لنا كيف تجفُو الروحُ هَيكلَها ... ويَسْتَبِدُّ البِلى بالهيكلِ الخالى

وهل تَحِن إليه بعدَ فُرقته ... كما يَحن إلى أوطانه الجالى(١)

هِضابُ لُبنانَ من مَنعاتِك اضطربَتْ ... كأن لُبنانَ مَرمىٌّ بزلزال

كذلك الأرضُ تبكى فَقْدَ عالِمها ... كالأمِّ تبكى ذَهاب النافع الغالى

---

(١) الجالى : النازح أو المهاجر .

شهداء العلم والغربة(*)

ألا فى سبيلِ الله ذاكَ الدمُ الغالى ... وللمجدِ ما أبْقى مِنَ المَثَلِ العالى
وبعضُ المَنايا هِمَّةٌ من ورائِها ... حيـــاةٌ لأقوامٍ ودنيا لأجيال
أعَيْنَىَّ جودا بالدُّموع عَلَى دمٍ ... كَريمِ المُصَفَّى من شبابٍ وآمال
تناهتْ به الأحداثُ من غُرْبةِ النوى ... إلى حادثٍ منْ غُرْبَةِ الدهْرِ قتّال
جرى أرْجُوَانِيًّا كُمَيْتًا مُشَعْشَعًا ... بأبيضَ من غِسْلِ الملائكِ سَلسال(١)
ولاذ بقضبانِ الحديدِ شهيدُه ... فعادت رفيفًا من عُيونٍ وأطْلال
ســـلام عليه فى الحياةِ وهامدًا ... وفى العُصُرِ الخالى وفى العالَمِ التالى
خليلىَّ قوما فى رُبَى الغرب واسقيا ... رياحين هامٍ فى التراب وأوصال(٢)
من الناعماتِ الراوياتِ من الصِّبا ... ذوتْ بين حلٍّ فى البلاد وترحال
نَعاها لنا الناعى فمال على أبٍ ... هَلُوعٍ وأُمٍ (بالكنانة) مِشكال
طوى الغربُ نحو الشرق يعدو سُليكه ... بمضطرب فى البر والبحر مرقال(٣)

(*) شهداء العلم والغربة : هم طائفة من شباب مصر سافروا لتلقى العلم فى جامعات أوربا ، فاصطدم القطار الذى يقلهم من أرض إيطاليا ، فقتل أحد عشر طالبا وجىء بهم إلى مصر ، فاستقبلت جثثهم استقبالا رهيبا ، واشتركت فى جنازتهم جميع طوائف البلاد . ومما كان يزيد الهول فى هذا المصاب حدوثه والبلاد مشتعلة بثورتها فى سنة ١٩٢٠ .

(١) الأرجوانى : منسوب إلى الأرجوان ، وهو صبغ أحمر يشبه به الدم لشدة حمرته . والكميت : حمرة يخالطها السواد . ومعنى المشعشع ، الممزوج بالماء . والغسل (بكسر الغين) : ما يغسل به . يصف دم هؤلاء الشهداء بأنه يجرى أحمر مشوبا بسواد ممزوجا بلون أبيض كأنه الماء السلسال الذى أصابه من غسل الملائكة .

(٢) الأوصال : الأعضاء .

(٣) سليك : رجل من العرب اشتهر بقوة الجرى ، ويضرب به المثل فى السرعة . أراد تشبيه الناعى به . مرقال : مشية سريعة .

يُسِرُّ إلى النفس الأسى غيرَ هامسٍ ... ويُلقى على القلبِ الشَّجى غيرَ قوَّال
سماء الحِمى بالشاطِئَيْن وأرضُهُ ... مناحةُ أقمارٍ ومأتَمُ أشبال

***

تُرى الريح تدرى ماالذى قدأعادَها ... بساطًا ولكن من حديدٍ وأثقال
يُقلُّ من الفتيانِ أشبال غابةٍ ... غُدَاة على الأخطار رُكاب أهوال
ثَنَتهُ العوادى دون (أودِين) فانْثنى ... بآخرَ من دُهم المقادير ذَيال(١)
قد اعتَنَقَا تحت الدّخانِ كما التقى ... كِمَيَّانِ فى داجٍ من النَّقْعِ مُنْجال(٢)
فسبحانَ من يَرْمى الحديد وبأسَه ... على ناعمٍ غَضٍّ من الزهْر منْهال
ومَنْ يأخذ السارين بالفَجْرِ طالعًا ... طُلوعَ المنايا من ثَنِيات آجال(٣)
ومَن يَجعَل الأسفار للناس همةً ... إلى سَفَرٍ يَنْوُونَهُ غيرَ قُفَّال

***

فيا ناقِليهم لو تركتم رُفَاتَهم ... أقام يتيماً فى حِرَاسةِ لأَّل(٤)
وبين (غريبالدى) (وكافور) مُضْجَعٌ ... لنُزَّاعِ أمصارٍ على الحق نُزَّال(٥)
فهل عَطَفَتْكُمْ رَنَّةُ الأهْلِ والحِمَى ... وضَجَّةُ أتراب عليهم وأمْثال ؟
لئن فاتَ مصرًا أن يموتوا بأرضِها ... لقدظَفِروا بالبَعْثِ من تُرْبها الغالى
وما شَغَلَتْهُمْ عن هواها قِيامَةٌ ... إذا اعتَلَّ رهنُ المحبِسَيْنِ بأشْغال(٦)

---

(١) دهم : جمع أدهم ، وهو الأسود. وذيال : طويل الذيل . والذيل من كل شيء : آخره ، ومن الفرس : ذنبه .
(٢) كميان : مثنى كمى . وهو الشجاع المتكمى ، أى المتغطى فى سلاحه . والنقع : الغبار
(٣) الثنيات : قمم الجبال .
(٤) يريد باليتيم : اللؤلؤ . واللآلّ : بائع اللآلئ وصائدها وصانعها .
(٥) غريبالدى وكافور : بطلان من أبطال الحركة الاستقلالية فى إيطاليا .
(٦) رهن المحبسين : أول ما أطلق هذا التعبير كان يطلق على أبى العلاء المعرى . والمحبسان : هما العمى ولزومه البيت .

حَمَلْتم من الغربِ الشموسَ لمشرقٍ ... تَلقى سناها مُظْلِمًا كاسِفَ البال

عَوائرَ لم تَبْلغْ صِباها ولم تَنلْ ... مَدَاها ولم تُوصَلْ ضُحاها بآصال

يطافُ بهم نَعْشًا فنَعْشًا كأنَّهُمْ ... مَصاحِفُ لم يَعْلُ المُصَلِّى على التالى (١)

توابيتُ فى الأعناقِ تُرْثَى زكيةً ... كتابوتِ موسى فى مَنَاكب إسْرَال (٢)

مُلَفَّفَةٍ فى حُلَّةٍ شَفَقِيَّةٍ ... هِلاليَّةٍ من راية النيلِ تمثال

أَظَلَّ جلالُ العلم والموتِ وفدَها ... فلَمْ تُلْقَ إلا فى خُشوعٍ وإجلال

تُفارِقُ دارًا من غرور وباطِل ... إلى مَنْزِلٍ من جيرَةِ الحقِّ مُحْلال

فيا حَلْبةً رَفَّتْ على البحرِ حِلْيةً ... وهَزَّتْ بها (حُلوانُ) أعطافَ مختال (٣)

جَرَتْ بَينَ إيماضِ العواصمِ بالضُّحى ... وبين ابتسام الثغر بالموكب الحالى

كثيرةَ باغى السبْقِ لم يُرَ مِثْلُها ... على عهدِ إسماعيل ذى الطَّوْل والنال (٤)

لَكِ اللهُ هذا الخَطْبُ فى الوهْم لم يَقَعْ ... وتلك المنايا لم يكُنَّ على بال

بلى كلُّ ذى نَفْسٍ أخو الموتِ وابْنُهُ ... وإن جَرَّ أذْيالَ الحداثة والخال

وليس عجيبًا أن يموتَ أخو الصِبا ... ولكن عجيبٌ عَيْشَهُ عيشةَ السالى

وكلُّ شبابٍ أو مَشيبٍ رهينةٌ ... بمُعْتَرَضٍ من حادثِ الدهر مُغْتال

وما الشَّيْبُ من خَيْلِ العُلا فاركَبِ الصِبَا ... إلى المجدِ تركَبْ متنَ أقْدرِ جوَّال

يَسُنُّ الشبابُ البأسَ والجودَ للفتى ... إذا الشيْبُ سَنَّ البخلَ بالنفس والمال

---

(١) المصلى : هو الذى يجىء أول الخيل فى السبق . والتالى ، هو الذى يجىء تاليا له .

(٢) تابوت موسى : هو الذى وضع فيه سيدنا موسى عليه السلام وألقى فى البحر فالتقطه آل فرعون وقاموا على تربيته حتى كبر . وإسرال ، أى إسرائيل .

(٣) الحلبة : الخيل التى تجمع للسباق . حلوان : اسم الباخرة التى أقلت رفات الشهداء فى عودتهم إلى مصر .

(٤) النال : العطاء . وفى هذا البيت إشارة إلى السباق الذى كان يقام فى مدينة حلوان فى عهد إسماعيل باشا .

ويا نَشأَ النيلِ الكريم عزاءَكُمْ ... ولا تذكروا الأقدارَ إلّا بإجمال

فهذا هو الحقّ الذى لا يردُّهُ ... تأفُّفُ قالٍ أو تَلَطُّفُ مُحْتال(١)

عليكم لواءَ العلم فالفوزُ تحْتَهُ ... وليس إذا الأعلام خانت بخَذّال(٢)

إذا مال صَفٌّ فاخلفُوه بآخرٍ ... وَصُول مَساعٍ لا مَلُولٍ ولا آل(٣)

ولا يصْلُحُ الفتيانُ لا علمَ عندهم ... ولا يجمعون الأمرَ أنصافَ جهّال

وليس لهم زادٌ إذا ما تزوَّدُوا ... بيانًا جُزافَ الكيْلِ كالحشَفِ البالى(٤)

إذا جَزِع الفتيانَ فى وَقْع حادثٍ ... فَمَنْ لجليلِ الأمر أو مُعضِل الحال؟

ولولا مَعانٍ فى الفِدَى لم تُعانِه ... نُفُوسُ الحواريين أو مُهَجُ الآل(٥)

فغَنُّوا بهاتيك المصارعِ بينكم ... تَرَنُّمَ أبطالٍ بأيام أبطال

ألستُم بنى القوم الذين تكبَّروا ... على الضرباتِ السَّبْع فى الأبد الخالى(٦)

رُدِدتُمْ إلى فرعون جدًّا وربما ... رجعتم لعَمٍّ فى القبائل أو خال

---

(١) قال : مبغض .

(٢) عليكم لواء العلم ، أى الزموا أو التزموا .

(٣) آل ، من قولهم : هو لا يألو جهدا .

(٤) الحشف البالى : التمر اليابس .

(٥) الحواريون : أصحاب عيسى . والآل : أصحاب محمد صلوات الله عليهما .

(٦) الضربات السبع : يشير إلى نوازل سماوية امتحن الله بها قدماء المصريين . ويريد بالأبد : الزمن القديم المديد .

سعيد بك زغلول (*)

آل (زغلول) حَسبكم مِن عزاءٍ ... سُنةُ الموتِ فى النبى وآله
فى خِلالِ الخطوب ما راعَ إلَّا ... أنها دُونَ صَبركم وجَماله
حَمل الرزءَ عنكمُ فى (سعيدٍ) ... بلدٌ شيخكم أبو أحماله (١)
قد دهاهُ من فَقده ما دَهاكم ... وبكى ما بكيتُمُ مِن خِلاله
فكما كانَ ذُخْرَكم ومُناكم ... كان من ذُخره ومِنْ آماله
ليت من فكَّ أسْرَكم لم يَكله ... للمنايا تمدُّه فى اعتقاله
حَجَبت مِن ربيعِه ما رَجوتم ... وطَوتْ رحلةَ العُلا مِنْ هِلاله
آنستْ صِحّة فمرّت عليها ... وتخطت شبابه لم تُباله
إنما مِن كتابه يُتوفى المر ... ءُ لا مِن شَبابه واكتماله
لَسْتَ تدْرى الحِمام بالغاب هل حا ... مَ على الليثِ أم على أشباله
يا (سعيد) اتئد ورِفقًا بشيخ ... والد مِنْ لواعج الثُّكل واله (٢)
ما كفاه نوائبُ الحقِّ حتى ... زِدتَ فى همِّه وفى أشغاله
فجأَ الدهر فاقْتضبتُ القوافى ... مِن فُجاءاته وخَطْف ارْتجاله
قم فشاهد لو آستطعتَ قِياما ... حَسْرَة الشعر والتياعَ خياله
كان لى منك فى المجامِع راوٍ ... عَجَزَ (ابن الحسين) عن أمثاله (٣)

(*) تفتح شباب سعيد بك زغلول عن رجولة ممتازة ، وبشر طالعه عن طالع عظيم ولكنه لم يكد يؤتى ثمره حتى اقتطفه الموت ، فقضى سنة ١٩٢٢ وكان خاله سعد باشا زغلول متبنيا له .

(١) شيخكم أبو أحماله : هو الزعيم سعد باشا . والبلد : مصر .

(٢) الواله : الذى ذهب عقله أو كاد من شدة الوجد .

(٣) ابن الحسين : الشاعر المتنبى . وراوى الشعر وراويته : الذى يروى شعره ويحفظه

فطِنٌ للصّحاح من لؤلؤ القو ل وأدرَى بهنّ مِن لأّاله (١)

لم يكُن فى غُلوّه ضيّق الصّد ر ولا كان عاجزًا فى اعتداله

لا يُعادى ويُتّقَى أن يُعادَى ويُخلّى سبيلَ مَنْ لم يُواله

فامْضِ فى ذمّةِ الشباب نقيًّا طاهرًا ما ثَنَيتَ مِن أذياله

إنّ لِلْعصرِ والحياةِ لَلؤْما لستَ من أهلِهِ ولا من مَجاله

صانكَ اللهُ مِن فَسادِ زَمانٍ دَنِسَ القومُ مِن ثِيابِ رِجاله

سيقولون ما رثاه على الفضـ ـل ولكنْ رَثاه زُلفَى لخاله

أيُّهم مَن أتى برأس كليبٍ أو شفى القطر من عَياءِ آحتلاله

ليس بينى وبين خالِكَ إلّا أننى ما حييتُ فى إجلاله

أتمنّى لمصرَ أن يَجرىَ الخيـ ـر لها منْ يمينه وشماله

لستُ أرجوه كالرجال لصَيدٍ من حرامِ انتخابهم أو حلاله

كيف أرجو (أباسعيدٍ) لشىءٍ كان يقضى بكُفره وضلاله

هو أهلٌ لأنْ يردَّ لقومى أمرَهم فى حقيقة استقلاله

وأنا المرءُ لم أَرَ الحقَّ إلّا كنت مِن حزْبه ومنْ عُمّاله

رُبَّ حرٍّ صَنعتُ فيه ثَناءً عجزَ الناحتونَ عن تمثاله (٢)

---

(١) اللآل : صانع اللؤلؤ وبائعه .

(٢) يقول : إننى كثيرا ما أصنع للأحرار قصائد ثناء فتقوم فى تصويرهم وتخليد أشكالهم ومزاياهم مقام التماثيل التى تعجز المثالين الناحتين أن يصنعوا مثالها .

أمين بك الرافعى (*)

مالَ أحبابُه خليلًا خليـــلَا ... وتَوَلَّى اللـــداتُ إلا قليـــلَا
نَصلوا أمسِ من غُبار الليالى ... ومضَى وحدَه يَحُثُّ الرحيـلا (١)
سَكَنتْ منهمُ الركابُ كأنْ لم ... تَضطربْ ساعةً ولم تمض ميلا
جُرِّدوا مِن مَنازلِ الأرض إلا ... حَجَرًا دارِسًا ورَمْلًا مَهيلا (٢)
وتَعرَّوا إلى البـــلى فكساهم ... خُشنةَ اللَّحدِ والدُّجى المَسدولا
فى يَبابٍ مِن الثرى رَدَّه المَوْ ... تُ نَقيًّا من الحقودِ غَسيلا (٣)
طَرَحوا عنـــدَه الهمومَ وقالوا ... إنَّ عِبءَ الحياةِ كان ثقيلا
إنما العـالَمُ الذى منه جئنا ... مَلْعبٌ لا يُنـوع التمثيـــلا
بطلُ الموتِ فى الرواية ركنٌ ... بنيتْ منه هيكلًا وفصولا
كلما راح أو غدا الموتُ فيها ... سَقَطَ السِّترُ بالدُّموع بليـــلا

(*) أمين بك الرافعى ، كان كاتبا سياسيا عظيما ، وكان فى الصحفيين السياسيين يعد مثالا عاليا ؛ لطهارة الذمة ونبل الغاية ونزاهة الضمير . وله فى تمسكه برأيه وصلابته على الحق الذى يعتقده مواقف تضحية لا يصبر عليها إلا من وطن نفسه على احتمال جميع مكاره الحياة . وقد وقف حياته منذ نشأته على خدمة القضية المصرية ، وظل مجاهـدا فى سبيل استقلال مصر حتى مات فى سنة ١٩٢٨ .

(١) نصلوا من غبار الليالى ، تعبير كنائى عن الموت ؛ إذ غبار الليالى عبارة عن أحداثها وليس فى إمكان الحى التنصل من هذه الأحداث إلا بالموت . يقول : إن أحبابه وخلانه سبقوه وتنصلوا من الدنيا وحوادثها ، وها هو ماض على إثرهم مسرعا ليلحق بهم وينصل من بلاء الدنيا كما نصلوا .

(٢) يصف خروج الناس من الدنيا وليس فى أيديهم من ممتلكاتهم إلا الحجر الموضوع تحت رءوسهم ، والتراب المهيل فوق قبورهم ، فكأنه يقول : ليت شعرى بعد ! لم يتقاتل الناس ويتكالبون على بناء القصور وشراء الضياع وهم إذا ماتوا لا يصحبهم من هذه الممتلكات إلا حجر واحد وحفنات من تراب تدارى جسومهم وتوارى رمتهم؟.

(٣) اليباب : الخراب . يقول : إن هذا اليباب الذى نسميه بالمقابر موضع نقاء الموت من الأكدار وغسله من الأحقاد ، فهو من أجل ذلك صار أروح للأرواح من المواضع الآهلة بالعمران .

***

ذِكرياتٌ من الأَحبَّة تُمحَى ... بِيَدِ للزمان تَمحو الطلولا

كلُّ رَسمٍ من منزلٍ أو حبيبٍ ... سَوف يمشى البِلى عليه مُحيلا

رُبَّ ثكلٍ آساك مِن قرحة الثكـ ... ـلِ ورُزءٍ نسَّاك رُزءًا جَليلا

***

يا بنات القريض قُمن مناحا ... تٍ وأرسِلن لوعةً وعويلا

مِنْ بناتِ الهديل أنتُنّ أحنى ... نغمةً فى الاسى وأشجى هَديلا(١)

إن دمعًا تَذرِفن إثر رِفاقٍ ... سوف يبكى به الخليلُ الخليلا

ربَّ يومٍ يُناحُ فيه علينا ... لو نُحِسُّ النّواح والترتيلا

بمَراثٍ كُتِبنَ بالدَّمع عنا ... أسطُرا من جوًى وأخرى غليلا

يجِدُ القائلون فيها المعانى ... يوم لا يأذن البِلى أن نقولا

***

أخذ الموتُ من يد الحقّ سَيفًا ... خالديَّ الغِرار عَضبًا صقيلا(٢)

مِن سُيوف الجهاد فولاذُه الحـ ... ـقُّ فهل كان قَينُه جبريلا؟(٣)

لمسته يدُ السماء فكان الـ ... ـبرقَ والرعدَ خفقةً وصليلا

وإباءُ الرجال أمضَى من السَّيـ ... ـفِ على كَفِّ فارسٍ مسلولا

رُبَّ قلبٍ أصارَه الخُلق ضرغا ... مًا وصدرٍ أصارَه الحقُّ غيلا(٤)

---

(١) الهديل : الحمام . وصوت الحمام والهديل أيضا : فرخ قالوا إنه كان على عهد نوح فصاده جارح من جوارح الطير فليس من حمامة إلا وهى تبكى عليه .

(٢) العضب : السيف . والغرار : حد السيف . وقوله «خالدى» نسبة إلى خالد بن الوليد . والصقيل : المصقول .

(٣) القين : هو الحداد الذى يصنع السيوف .

(٤) الضرغام : من أسماء الأسد . والغيل : موضع الأسد .

قيلَ حَلِّله قلتُ عِرقٌ من التبـ ـرِ أراحَ البيانَ والتَّحليلا
لم يَزِدْ فى الحديد والنارِ إلاَّ لمحةً حرَّةً وصبرًا جميلا
لم يخَف فى حياته شَبحَ الفقـ ـر إذا طاف بالرجال مَهولا
جَاعَ حينًا فكان كالليث أبى ما تُلافيه يومَ جوعٍ هزيلا
تأكُل الهرَّةُ الصغارَ إذا جا عت ولا تأكُل اللَّباةُ الشبولا
قيل غالٍ فى الرأى قلتُ هَبوهُ قد يكونُ الغلوُّ رأيًا أصيلا
وقديما بنى الغُلوُّ نفوسًا وقديمًا بَنى الغلوُّ عُقولاً
وكم استهضَ الشيوخَ وأذكى فى الشَّباب الطماحَ والتأميلا
ومِنَ الرأيِ ما يكونُ نِفاقًا أو يكونُ اتّجاهُهُ التَّضليلا
ومن النَّقدِ والجدالِ كلام يُشبهُ البغىَ والخنا والفُضولا
وأرى الصدقَ دَيدنًا لسليل الـ ـر افعيِّين والعفافَ سَبيلا
عاش لم يَغْتَبِ الرِّجالَ ولم يجـ ـعلْ شؤونَ النفوسِ قالاً وقيلا
قد فقدْنا به بقيَّةَ رهطٍ أيقظوا النيلَ وَاديًا ونزيلا
حرَّكوهُ وكان بالأمس كالكهـ ـف حُزونًا وكالرقيم سهولا(١)
يا أمينَ الحقوقِ أدَّيت حتى لم تخُنْ مِصرَ فى الحقوق فتيلا
ولو اسْطعتَ زِدْتَ مصرَ من الحق على نيلها المباركِ نيلا
لستُ أنساكَ قابعًا بين دُرجيـ ـك مُكبًّا عليهما مشغولا

---

(١) الكهف : كالبيت المنقور فى الجبل . والرقيم ، يقال هو الكتاب ، وإذن فيكون تشبيهه سهول النيل بالرقيم ، معناه أنها كانت وقتئذ مبسوطة خالية مهيأة لأن يخط فوقها حروف الحياة الأولى . ولو سئل أحد الحكماء : ما هى الحروف الأولى للحياة ؟ لأجاب على الفور : هى اليقظة . ولعمرى إن ربة الحكمة إذن هى التى ألهمت أمير الشعراء قوله فى البيت السابق : «أيقظوا النيل واديا ونزيلا» ففى تصوره الذهنى لمعنى اليقظة سبق خياله إلى تشبيه سهول وادى النيل بالرقيم .

قد تواريتَ فى الخشوع فخالو ... كَ ضئيلًا وما خُلقتَ ضئيلا

سائل (الشعبَ) عنك و (العلم) الخفّاقَ أوسائل اللواء الظليلا[١]

كم إمامٍ قربتَ فى الصف منه ... ومُغنٍ قعدتَ منه رسيلا

تُنشدُ الناسَ فى القضية لحنًا ... كالحوارىِّ رتّل الإنجيلا

ماضيًا فى الجهاد لم تتأخر ... تَزِنُ الصفَّ أو تُقيم الرَّعيلا[٢]

ما تُبالى مَضيتَ وحدَك تحمى ... حوْذَةَ الحقِّ أم مَضيتَ قبيلا

***

إن يَفُت فيك مِنبرَ الأمس شِعرى ... إنَّ لى المنبرَ الذى لن يزولا

جلَّ عنْ مُنشدٍ سِوَى الدهر يُلقيـ ... ـهِ على الغابرين جيلًا فجيلا

---

(١) الشعب والعلم واللواء : أسماء صحف كان الفقيد يحررها مناضلا فيها عن مبادئه .

(٢) الرعيل : طائفة من الخيل . والمراد أنه كان فى جيش المجاهدين فى القضية المصرية يقوم الصفوف إذا مالت ، ويرد الطوائف إذا نفرت .

الشيخ سلامة حجازى (*)

يا ثرى النيلِ فى نواحيكَ طيرٌ كان دُنيا وكان فرحةَ جيلِ
لم يزلْ ينزلُ الخمائلَ حتى حلَّ فى رَبْوةٍ على سلسبيل
أقعَد الرَّوضَ فى الحياة مَليًّا وأقامَ الرُّبَى بسحر الهديل (١)
يا لواءَ الغناء فى دَولة الفنّ إليك اتَّجهتُ بالإكليل
عبقريًّا كأنه زَنْبقُ الخلد على فرعة السرىّ الأسيل (٢)
أينَ مِن مسمع الزمان أغانىْ عليهنَّ رَوعةُ التمثيل
أين صَوتٌ كأنه رَنَّةُ البُلبل فى الناعم الوريف الظَّليل
فيه من نَغْمةِ المزامير مَعنًى وعليه قَداسةُ الترتيل
كُلَّما رَنَّ فى المَسارح « إن كنتُ » انْثَنَى بالهُتاف والتهليل (٣)
كعِتاب الحبيب فى أذُنِ الصَّبِّ وهَمْس النَّديم حول الشَّمول (٤)
كيف إخوانُنا هناك على الكو ثر بين الصَّبا وبين القَبول (٥)

(*) بلغ الشيخ سلامة حجازى أعلى قمم المجد فى فنى الغناء والتمثيل فى عصره ، وقد رؤى أن يعترف له بهذا النبوغ اعترافا عمليا . فتألفت جماعة من أهل الفضل واتفقوا على نقل جثمانه إلى ضريح يتناسب وهذا التقدير ، ورأوا من أفضل الوسائل لهذه الغاية أن يقيموا حفلة تذكارية تمجيدا لذكرى الفقيد ، وتم لهم ذلك ، وأقيمت الحفلة فى شهر ديسمبر سنة ١٩٣١ وأنشدت فيها هذه القصيدة العصماء .

(١) الهديل : الصوت الحسن الذى يشبه صوت الحمام .

(٢) السرى : الجدول .

(٣) إن كنت ، يشير إلى أن الفقيد قد ذاعت من أغانيه قصيدة مطلعها :
إن كنت فى الجيش أدعى صاحب العلم * فإننى فى هواكم صاحب الألم

(٤) الشمول : الخمر .

(٥) الصبا : نسيم مهبها إذا استوى الليل والنهار .

كيف فى الخُلد ضَرْبُ أحمدَ بالعو ... دِ ونَفخُ الأمين فى الأرغول(١)
فَرَحٌ كله النعيمُ وعُرْسٌ ... كيف (عثمانُ) فيه كيفَ (الحمولى)(٢)
فهنيئًا لكم ونعمةُ بالٍ ... اِستَرحتُم من ظِل كلِّ ثقيل
إنما مَنزلٌ رفائك فيه ... لَبقايا من كلِّ فنٍ جميل
ذُبلت فى ثراهُ ريحانةُ الفنِّ وجفتْ ريحانةُ التمثيل

***

قام يَجزى (سلامةً) فى ثَراهُ ... وطنٌ بالجزاء غيرُ بَخيل
قد يُوفِّى البناء والغَرسَ أجرًا ... ويُكافِى على الصنيع الجليل
مُحسِنٌ بالبنين فى حاضر العيـ ... ـش وفى سالف الزمان الطويل
ويعدّ الضريح من مَرْمَرِ الخُلـ ... ـد الكريم المهذَّب المَصقُول(٣)
يدفنُ الصالحين فى ورق المُصـ ... ـحف أو فى صحائف الإنجيل

***

مِصرُ فى غَيبةِ المُشايع والحا ... سد والحاقِد اللَّئيم الذَّليل
قامت اليومَ حول ذِكراكَ تجزى ... وطنيًّا من الطِّراز القليل
من رجالٍ بنَوْا لمصرَ حديثًا ... وأذاعُوا مَحاسِنًا للنيل
هم سُقاةُ القلوب بالودِّ والصفـ ... ـو وهم تارةً سُقاةُ العقول
ليس منهم إلا فتى عبقرىٌّ ... ليس فى المجد بالدَّعىِّ الدخيل

---

(١) أحمد ، اسم أحد المعاصرين ، اشتهر بضرب العود . وأمين ، معاصر آخر اشتهر بالأرغول .

(٢) عثمان ، هو محمد عثمان ، وكان من المغنين الكبار . والحمولى هو عبده الحمولى .

(٣) الضريح ، هو البناء الذى اتفقت لجنة إحياء ذكرى الفقيد على صنعه من المرمر المصقول ليدفن فيه جثمان الفقيد تكريما له .

أدهم باشا (*)

مُصاب بَنى الدنيا عظيمٌ (بأدهمِ) وأعظمُ منه حيرةُ الشّعرِ فى فمى
أأنطقُ والأنباءُ تترى بطيّبٍ وأسكت والأنباءُ تترى بمؤلم؟
أتيتُ بغالٍ فى الثّناءِ مُنضّدٍ فمَن لى بِغالٍ فى الرثاءِ مُنظم
عَسى الشعرُ أن يَجزى جَريئًا لفقْدِه بَكى الترْكُ واليونانُ بالدّمع والدّم
وكم مِن شُجاعٍ فى العِداةِ مُكرَّمٍ وكم من جَبانٍ فى اللّداةِ مُذمّم
وهل نافعٌ جرىُ القَوافى لغايةٍ وقد فتكت دُهمُ المنايا بأدهم (١)
رمت فأصابت خيرَ رامٍ بها العدى وما السّهمُ إلا للقضاءِ المحتّم
فتًى كان سيفَ الهندِ فى صُورةِ آمرئٍ وكان فتى الفتيان فى مَسك ضيغم (٢)
لحاهُ على الإقدام حُسّادُ مجدِه وما خُلِق الإقبالُ إلا لمُقدم
مُزعزعُ أجبالٍ وغاشى معاقلٍ وقائدُ جَرّارٍ ومُزجى عَرَمرم (٣)
سَلوا عنه (ميلونا) وما فى شِعابه وفى ذروتَيْهِ من نُسورٍ وأعظُم
ليالىَ باتَ الدينُ فى غير قَبضةٍ وزُلزِلَ فى إيمانِه كلُّ مُسلم
وقال أناسٌ آخِرِ العهدِ بالملا وهمّت ظنونٌ بالتُراثِ المقسّم (٤)
فأطلعَ للإسلام والمُلك كوكبًا من النّصر فى داجٍ من الشك مُظلم
ورُحْنا نُباهى الشرقَ والغربَ عِزةً وكنا حديثَ الشامتِ المترحم
مفاخرُ للتاريخ تُحصَى لأدهم ومَنْ يَقرض التاريخ يَربحْ ويَغنم

(*) أدهم باشا : هو القائد التركى الذى اشتهر فى الحروب العثمانية اليونانية .
(١) دهم المنايا ، أى سود المنايا .
(٢) المسك (بفتح الميم) : الجلد . والضيغم : الأسد .
(٣) العرمرم : الجيش الكبير .
(٤) الملا : الجماعة ، ويريد بها الدولة العثمانية . والتراث المقسم : البلاد التابعة للدولة فى ذلك الوقت .

***

ألا أيها الساعون هل لَبِس الصَّفا سَواداً وقد غصَّ الورودُ بزمزم ؟
وهل أقبلَ الركبانُ يَنعون (خالدًا) إلى كلِّ رامٍ بالجمار ومُحرِم ؟
وهل مسجدٌ تتلون فيه رثاءه فكم قد تلوتم مدحَه بالترنم
وكان إذا خاضَ الأسنَّة والظُّبَى تنحَّت إلى أن يَعبُرَ الفارسُ الكَمِي
ومَن يُعطَ فى هذى الدنيَّة فُسحةً يُعمَّر وإنْ لَاقَى الحروبَ ويَسْلَم
(علىٌّ) أبو الزهراء داهيةُ الوغَى دَهاهُ بباب الدّارِ سيفُ ابن مُلجم
(فروق) أضحكى وأبكى فخارًا ولوْعةً وقُومى إلى نعشِ الفقيدِ المعظّم
كأمِّ شهيدٍ قد أتاها نعيُّه فخفَّت له بين البُكا والتبسُّم
وخُطِّى له بين السلاطين مَضجعًا وقبرًا بجنْبِ الفاتح المتقدِّم
بخلت عليه فى الحياةِ بموكبٍ فَتُوبى إليه فى الممات بمأتم
وياداءُ ما أنصفتَ أذرَعْت صدْره وقد كان فيه الملكُ إنْ رِيعَ يَحتمى
ويأيها الماشون حولَ سريره أحطْتُم بتاريخ فَصيحِ التكلم
ويامصُ من شيَّعت أعلى همامةً وأثبت قلبًا مِن رواسِى المقطم
ويا قومُ هذا مَنْ يُقام لمثله مثالٌ لباغى قُدوةٍ مُتعلّم
ويابحر تدرِى قدر مَنْ أنت حاملٌ ويا أرضُ صُونيه ويا رَبِّ ٱرْحم

عثمان باشا الغازى(*)

هالةٌ للهلالِ فيها اعْتصامُ كيف حامَتْ حِيالَها الأيّام
دخلتْها عليكَ (عثمانُ) فى السلـ ـم وقد كنتَ فى الوغَى لا تُرام
وإذا الداءُ كان داءَ المنايا صَعَّبته لأهلِها الأحلام
فبرغم (المُشير) أن يَتولَّى والخطوبُ المروّعاتُ جِسام
ويدُ المُلكِ تَسْتجيرُ يَديه والسَّرايا تَدعوه والأعلام
وبنُوه يَرْجونه وهُمُ الجُند وهُم قادةُ الجنودِ العِظام
مَثَّلتهم صِفاتُه للبرايا رُبَّ فردٍ سادتْ به أقوام
بطلَ الشرقِ قد بَكتْك المعالى ورثاكَ الولىُّ والأخصام
خَذَل الملكَ زَنْدُه يومَ أوْدَيـ ـتَ وأهوَى مِن راحتيه الحُسام
ودَهَى الدينَ والخلافةَ أمرٌ فادحٌ رائعٌ جليلٌ جُسام
عَلمُ العصرِ والممالِك ولّى وقليلٌ أمثالُه الأعلام
سَل (بلفنا) أكنتَ تُدركُ فيها ولو آنَ المُحاصِرين الأنام
خَيَّم الروسُ حول حِصنِك لكن أينَ مِن هامةِ السِّماكِ الخِيام
وأحاطت بعزمك الجندُ لكن عزمُك الشُهبُ والجنود الظلام
كلما جَرَّد (المحاصِرُ) سيفًا قطَع السيفَ رأيُكَ الصَّمصام
وإذا كانت العقولُ كِباراً ضَلِيت فى المَضايق الأجسام
وعجيبٌ لا يأخذُ السيفُ منكم ويَنال الطَّوَى ويُعطَى الأُوامُ
فخرجتُم إلى العِدا لم تُبالوا ما لأسدٍ على سُغُوبٍ مقام

(*) هو قائد تركى كبير ، اشتهر فى الحروب العثمانية الروسية .

تُخرِقون الجُيوش جيشًا فجيشًا ... مِثلَما يَخرِقُ الجِـواء الغمام
والمنـايا محيطةٌ وحُصونُ الرُّ ... وسِ تَحمى الطريقَ والألغـام
ولنـارِ العدوِّ فيكم قعُود ... ولسيفِ العدوِّ فيكم قِيام
جُرِحَ الليثُ يومَ ذاكَ نَخان الـ ... ـجيشَ قلبٌ وزُلزِلَت أقـدام
ما دفعتَ الحسامَ عجزًا ولكِنْ ... عَجَّزتَ ضَيْغَمَ الحروبِ الكِلام
فأعادوه خـيرَ شيءٍ أعادوا ... وكذا يَعرِفُ الكِرامَ الكِرامُ
فتقلَّدته وكنتَ خليقًـا ... وجـديرٌ بالمخلَب الضرغامُ
سل (كَريدًا) وأين منَّا كريدٌ ... سَلَبَتْنَـا كليكما الأيام
مالها عـودةٌ ولا لك رَدُّ ... نِمتَ عنها ومَنْ تركتَ نِيام
إنما المـلكُ صارِمٌ ويَراعٌ ... فإذا فارقَاه سَادَ الطَّغـام
ونظامُ الأمورِ عقـلٌ وعدلٌ ... فإذا ولَّيا تولَّى النظـام
وعجيبٌ خُلِقتَ للحـرب ليثًا ... وسَجَاياك كلُّهُن سَلام
فهى فى رأيكَ القويم حـلالٌ ... وهى فى قلبكَ الرحيم حَرام
لكَ سيفٌ إلى اليتامَى بفيضٍ ... وحنانٌ يُحِبّه الأيتـام
مُستبدٌّ على قويٍّ حليمٌ ... عن ضعيف وهكذا الإسلام

بطرس باشا غالى(*)

قبرَ الوزيرِ تحيَّةٌ وسَـــلاما ... الحلمُ والمعروفُ فيكَ أقاما
ومحاسنُ الأخلاقِ فيكَ تغيَّبت ... عامًا وسوفَ تغيّب الأعواما
قد كنت صومعةً فصرت كنيسةً ... فى ظلِّها صلّى المُطيفُ وصاما
القومُ حولك يابن (غالى) خُشَّعٌ ... يقضونَ حقًّا واجبًا وذِماما
يَسعَون بالأبصار نحو سَريره ... كالأرض تَنشد فى السماء غماما
يَبكون موئلَهم وكهفَ رَجائِهم ... والأريحىّ المفضـــلَ المِقداما
مُتسابقين إلى ثَراك كأنهم ... ناديكَ فى عـــزِّ الحياة زِحاما
وَدُّوا غَدَاة نُقِلتَ بينَ عُيونهم ... لو كانَ ذلك مَحْشرًا وقِياما
ما ذا لَقيتَ من الرِّياساتِ العُـلَا ... وأخذتَ مِن نعم الحياة جساما
اليوم يُغنى عنكَ لوعـــةُ بائسٍ ... وعزاءُ أرمـــلةٍ وحُزنُ يتامى
والرأى للتاريخ فيـــكَ ففى غدٍ ... يزنُ الرجالَ وينطقُ الأحكاما
يقضى عليهم فى البرية أو لهم ... ويُديمُ حمـــدًا أو يُؤبِّد ذاما
أنت الحكيم فلا ترُعْك منيـةٌ ... أعلِمت حيًّا غير رفدِكَ داما
إنّ الذى خلقَ الحياة وضِدّها ... جعَلَ البقاء لوجهه إكراما
قد عِشتَ تُحدِثُ للنصارى أُلفةً ... وتُجـــدِّدُ بين المسلمين وِئاما
واليومَ فوق مَشيد قَبرِك مَيِّتا ... وجـــد الموفّقُ للمقال مَقاما

(*) بطرس باشا غالى ، كان رئيس الوزارة المصرية فى أيام حكم الخديو عباس الثانى . وقد اغتاله إبراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ لأسباب سياسية .

الحقّ أبلجُ كالصّباح لِناظرٍ ... لو أنّ قومًا حكّموا الأحلاما

أعهدتنا والقِبطَ إلا أمةً ... للأرض واحدةً تروم مراما

نعلى تَعاليمَ المسيح لأجلهم ... ويُوقّرون لأجلنا الإسلاما

الدينُ للديّان جلّ جلالُه ... لو شاء ربُّك وحّد الأقواما

ياقَوم بانَ الرُّشدُ فاقْصوا ماجرَى ... وخُذوا الحقيقةَ وانبُذُوا الأوهاما

هذى ربوعُكُم وتلك ربوعُنا ... مُتقابلين تُعالجُ الأيّاما

هذى قُبوركم وتلك قبورُنا ... مُتجاورينَ جَماجماً وعِظاما

فبُحرمةِ الموتى وواجبِ حقّهم ... عِيشُوا كما يَقضى الجوارُ كِراما

يبكى والدته(*)

إلى اللهِ أشكو مِن عوادى النوى سَهْمًا ... أصابَ سُوَيداءَ الفؤادِ وما أصمى(١)

من الهاتكات القلب أوّل وهلةٍ ... وما داخلتْ لحماً ولا لامستْ عظما

توارَدَ والنّاعى فأوجستُ رنةً ... كلامًا على سمعى وفى كبدى كَلْما(٢)

فما هتفا حتى نَزَا الجنبُ وانْزَوَى ... فيا ويحَ جنبى كم يسيلُ وكم يَدمَى(٣)

طوى الشرقَ نحو الغربِ والماءَ للثرى ... إلىَّ ولم يَركب بِساطًا ولا يَمّا(٤)

أبان ولم يَنْبُسْ ، وأدّى ولم يَفُه ... وأدمى وماداوَى ، وأوهَى وما رمّا

إذا طُوِيتْ بالشّهْب والدّهم شقّةٌ ... طَوَى الشهبَ أوجابَ الغُدافيةَ الدّهما(٥)

ولم أرَ كالأحداث سهمًا إذا جرَتْ ... ولا كالليالى راميًا يُبعد المَرْمَى !

ولم أرَ حُكمًا كالمقادير نافذًا ... ولا كلقاء الموت مِن بَينها حَتْما

(*) نظم أمير الشعراء هذه المرثية الرائعة على إثر إعلان الهدنة وهو فى منفاه فى الأندلس سنة ١٩١٨ ، إذ كان يعلل النفس بالعودة إلى الوطن العزيز ولقاء آله ، وفى مقدمتهم والدته الحبيبة ، ولكنه ما كاد يتحدث إلى نفسه بهذا الأمل المرموق حتى وافاه البرق بنعيها . فأثر هذا المصاب الجسيم فى نفسه تأثيرا بالغا ولم تمض ساعة حتى كتب هذه المرثية ، وقد قيل إنه من فرط تأثره بها تحاشى أن ينظر إليها بعد ، فبقيت مستورة ضمن أوراقه الخاصة حتى نشرت فى الصحف غداة وفاته رحمه الله .

(١) عوادى النوى : عوائقه . وقوله « أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى » ، أى أصاب صميم القلب ولم يقتل .

(٢) الكلم (بفتح الكاف) : الجرح .

(٣) نزا الجنب ، يريد نزا القلب ، ويقال : نزا الطائر . إذا هم بالطيران .

(٤) بساطا ولا يما ، أى لم يركب طيارة تسير فى الهواء كما سار بساط الريح بسليمان عليه السلام ، ولم يركب باخرة تسير على اليم ، أى البحر .

(٥) الشهب: البيض . والدهم : السود . وجاب : قطع . والغدافية : السوداء . ويقصد بالشهب وبالدهم : الخيل البيضاء والسوداء ، أو النهار والليل ؛ كأنه يتعجب من سرعة هذا النعى فى وصوله إليه .

إلى حيثُ آباء الفتى يَذهبُ الفتى ... سبيلٌ يَدين العالَمون بها قدْما
وما العيشُ إلا الجسمُ فى ظل رُوحه ... ولا الموتُ إلا الروحُ فارقتِ الجسْما
ولا خُلدَ حتى تملأَ الدهرَ حكمةً ... على نُزلاء الدهرِ بعدَك أوعِلما

***

زَجرتُ تصاريفَ الزمان فما يَقَعْ ... لىَ اليوم منها كان بالأمس لى وَهْما(١)
وقدّرتُ (للنعمان) يومًا وضدّه ... فما اغترَّتْ البُؤسى ولا غرَّتْ النُّعمى(٢)
شربتُ الأسى مصروفةً لو تعرضتْ ... بأنفاسِها بالفمّ لم يستفِق غمًّا
فأترعْ وناولْ يازمانُ فإنما ... نديمُكَ (سقراطُ) الذى ابتدع السّمّا!(٣)
قتلتُكَ حتى ما أُبالى أدَرتَ لى ... بكأسك نجمًا أم أدرتَ بها رَجْما!
لكِ اللهُ من مطعونةٍ بقَنا النَّوى ... شهيدةِ حربٍ لم تُفارفْ لها إثْما
مُدلّهةٍ أزكى من النار زفْرةً ... وأنزه من دَمع الحيَا عَبرةً سَحَما(٤)
سقاها بَشيرى وهى تبكى صبابةً ... فلم يقو مغناها على صَوْبه رسْما(٥)
أستْ جُرْحَها الأنباءُ غيرَ رفيقةٍ ... وكم نازعٍ سهمًا فكان هو السهما!
تغارُ على الحُمّى الفضائلُ والعلا ... لِما قبّلتْ منها وما ضمّت الحمّى!
أكانت تمنّاها وتهوَى لقاءها ... إذا هى سمّاها بذى الأرض مَنْ سمّى؟!

---

(١) الزجر : العيافة والتكهن . يقول : إنه كان متكهنا بما صنعه الزمن معه وكان متوقعا له .

(٢) كان للنعمان بن المنذر يوم بؤس لايفد فيه عليه أحد إلا قتله ، ويوم نعمى لايسأل فيه إلا أعطى ولهذين اليومين حوادث سارت من أجلها أمثال كثيرة للعرب . ويرجع فى هذا إلى الكتب الأدبية المطولة من شاء .

(٣) سقراط : إمام الفلاسفة المتقشفين ، حكم عليه بالإعدام فشرب السم بيده ، ولم يرض أن يفر مع أصحابه الذين عزموا عليه بالفرار .

(٤) العبرة السحما ، أى السوداء ، ولا يكون هذا إلا من أثر الحزن العميق .

(٥) الرسم : ضرب من السير .

ألمَّت عليها واتَّقت ثمراتها ... فلما وُفوا الأسواء لم ترها ذمَّا

فياحسرتا ألاّ تراهم أهِلَّةً ... إذا أقصر البدرُ التمامُ مَضوْا قُدْما

رياحين فى أنف الولىّ ومالها ... عدوٌّ تراهم فى معاطسه رُغْما

وألاّ يطوفوا خُشَّعًا حول نعشها ... ولا يُشبعوا الركن استلامًا ولا لَثْما

حلفتُ بما أسلفتِ فى المهد من يدٍ ... وأوليتِ جثمانى من المِنَّة العظمَى

وقبرٍ مَنوطٍ بالجلال مقلدٍ ... تليدَ الخلال الكُثْرِ والطارفَ الجمّا(١)

وبالغاديات الساقيات نزيله ... من الصلوات الخمس والآىِ والأَسْما

لما كان لى فى الحرب رأىٌ ولا هوًى ... ولا رُمت هذا الثكلَ للناس واليُتْما

ولم يكُ ظلمُ الطيرِ بالرِّقّ لى رِضًا ... فكيف رضائى أن يَرى البشرُ الظلما ؟ !

ولم آلُ شُبانَ البريةِ رقّةً ... كأنّ ثمارَ القلب من ولدى ثمّا

وكنت على نهجٍ من الرأى واضحٍ ... أرى الناسَ صِنفين: الذئابَ أو البُهْما(٢)

وما الحكم إلا فى أولى البأس دولةً ... ولا العدل إلا حائطٌ يَعصم الحُكما

***

نزلتُ رُبى الدنيا وجناتِ عَدنِها ... فما وجدتْ نفسى لأنهارها طعما !

أريح أريج المسك فى عَرصاتها ... وإن لم أرح (مروان) فيها ولا (لخما)(٣)

إذا ضحكتْ زهوًا إلىّ سماؤها ... بكيت الندى فى الأرض والبأس والحزما

أطيف برسمٍ أو ألمُّ بدِمنةٍ ... أخال القصورَ الزُّهر والغُرَف الشُّمّا

فما بَرِحتْ من خاطرى (مصرُ) ساعةً ... ولا أنت فى ذى الدار زايلتِ لى وهْما

---

(١) التليد : القديم . والطارف : الجديد .

(٢) البهم (بضم الباء) : الغنم .

(٣) مروان ولخم : قبيلتان عربيتان ، وهما من القبائل التى تولت السيادة فى بلاد الأندلس زمنا .

إذا جَنَّنى الليلُ آهتززتُ إليكما ... جُنحًا إلى سعدى وجُنحًا إلى سلمى (١)

فلما بدا للناس صُبْحٌ من المُنَى ... وأبصرَ فيه ذو البصيرة والأعمى

وفَرَّتْ سيوفُ الهند وارتكز القَنا ... وأقلعت البلوى وأقشعت الغُمَّى

وحنّت نواقيسٌ ورنّت مآذنٌ ... ورقّت وجوهُ الأرض تستقبل السَّلمى

أتى الدهرُ من دون الهناء ولم يزلْ ... وَلوعًا بُيغيان الرجاء إذا تمّا !

إذا جال فى الأعيادِ حلّ نظامَها ... أو العُرسِ أبلى فى معالمه هَدْما

لئن فاتَ ما أمَّلتِه من مواكبٍ ... فدونكِ هذا الحشدَ والموكبَ الضخما !

رثيت به ذاتَ التُّقى ونظمتُه ... لعنصره الأزكى وجوهرِه الأسمى

نمتكِ مناجيبُ العُلا ونميتِها ... فلم تُلحَقى بنتًا ولم تُسبقى أُمَّا

وكنت إذا هذى السماءُ تخايلت ... تواضعتِ لكنْ بعدَ ما فُتِّها نجما !

أتيت به لم ينظم الشعرَ مثلُه ... وجئتِ لأخلاق الكرام به نظما

ولو نهضتْ عنه السماءُ وخَّضتْ ... به الأرضُ كان المُزنَ والنبرَ والكَرْما ! (٢)

---

(١) الجنح (بضم الجيم وكسرها) : طائفة من الليل .

(٢) يريد أنه يشبه المزن فى الكرم ، والنبر فى العرق والنفاسة ، والخمر فى السكر الذى يسكر الناس به من شعره .

الملك حسين (*)

لك فى الأرضِ والسماء مآتم ... قامَ فيها أبو الملائك هاشم (١)
قعد الآلُ للعَزاء وقامتْ ... باكياتٍ على الحُسين الفَواطم (٢)

***

يا أبا العِلْية البهاليل سَل آ ... باءك الزُّهرَ هل من الموت عاصم (٣)
المنايا تُوازلُ الشَّعرَ الأبـ ... ـيضِ جاراتُ كلَّ أسودَ فاحم (٤)
ما اللَّيالى إلا قِصارٌ ولا الدُّنـ ... ـيا سِوَى ما رأيتَ أحلام نائم
انحسارُ الشِّفاه عن سنٍّ جَذلا ... ن وراء الكرى إلى سنِّ نادِم
سَنَةٌ أفرحت وأخرى أساءتْ ... لم يدُم فى النعيم والكربِ حالم

***

المَناحاتُ فى ممالك أبْنا ... ئكَ بدْريَّةُ العزاء قوائم (٥)
تلك (بغدادُ) فى الدموع وعَمَّا ... نُ وراء السَّوادِ والشام واجم (٦)

(*) هو ملك الحجاز الحسين بن على ، زعيم الحركة العربية فى طلب تحرير أصقاع الجزيرة من حكم الأتراك ، وقد توفى سنة ١٩٣١ ودفن بالقدس الشريف .

(١) أبو الملائك ، أى أبو الملوك . وهاشم ؛ هو أحد جدود النبى صلوات الله عليه .

(٢) الآل : آل البيت النبوى الشريف . والفواطم ، يطلقن على طائفة من السيدات الصحابيات كل منهن تسمى فاطمة ، فمنهن فاطمة الزهراء ، ومنهن فاطمة بنت حمزة .. الخ والغرض الشعرى من هذه المجانسة فى السياق معروف .

(٣) علية (بكسر العين) : جمع على ، وهو الشريف العالى القدر من الناس . والبهاليل : جمع بهلول ، وهو السيد الجامع لكل خير . وآباءك الزهر ، أى آباءك المشابهون للنجوم الزهر .

(٤) يقول : إن المنايا تنزل بالشيب كما تنزل بالشباب ، فليس هناك من عاصم منهن .

(٥) يشبه الحزن على الفقيد بالحزن على صرعى بدر ، أولى غزوات الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

(٦) عمان ، المقصود هنا : هو الصقع المعروف بالشام . والشام : دمشق . والسواد : القرى .

والحجازُ النبيل ربعٌ مُصلٍّ مِن رُبوعِ الهُدى وآخرُ صائم(١)
واشترَتْنا فِصرُ عَبْرى ولُبنا نُ سَكوبُ العيون باكى الحمائم

***

قُم تأمل بنيك فى الشرق زَين الـ ـتّاج ملء السرير نور العواصم(٢)
الزكيونَ عُنصرا مثل إبرا هيمَ والطيّبون مثل القاسم(٣)
وعليهم إذا العيون رَمَتهم عوذٌ مِن محمدٍ وتمائم(٤)
قد بَنى اللهُ بيتهم فهو باقٍ ما بنى اللهُ ماله مِن هادِم
دَبَّروا الملكَ فى العِراق وفى الشّا م فسنّوا الهدى وردّوا المظالم
أمِنَ الناسُ فى ذَراهم وطابت عَربُ الأرضِ تحتهم والأعاجم
وبنَوا دولةً وراء فلسطي ن كعابَ الهدى فتاةَ العزائم
ساسَها بالأَناةِ أروعُ كـ(الدا خل) ماضى الجنان يقظان حازم(٥)
قُبرصٌ كانت الحديد وقد تَن زِل قضبانَه الليوثُ الضراغم(٦)
كَره الدهرُ أن يقومَ لواءٌ تُحشر البِيد تحتَه والعمائم

---

(١) الحجاز النبيل ، يقصد الحجاز الذى بقى محافظا على عهده للفقيد . والربع : الدار .

(٢) العواصم : جمع عاصمة ، وهى البلدان الكبيرة التى تقيم فيها الحكومات .

(٣) إبراهيم والقاسم ، هما من أولاد النبى صلوات الله عليه .

(٤) عوذ : جمع عوذة ، وهى الرقية تحفظ من العين كالتميمة ، وجمع التميمة تمائم .

(٥) الأناة : الرفق . ويريد «بالأروع» الملك فيصل. يشبهه بالداخل وهو عبد الرحمن الداخل صقر قريش مؤسس دولة بنى أمية فى الأندلس .

(٦) قبرص : جزيرة فى البحر الأبيض المتوسط . قضا فيها الملك حسين بقية عمره بعد ما اعتزل الملك . يشبهها أمير الشعراء فى حالة إقامة الفقيد فيها بالقفص الحديد الذى يحبس فيه الأسد ، وصنع الأقفاص الحديدية لحبس الأسود مألوف لمنظمى الحدائق فى عصرنا هذا .

***

قُم تحـــدَّثْ (أبا علىّ) إلينا كيف غامرتَ فى جِوار الأراقم[١]

لم تُبال الثُّيوبَ فى الهَامِ خشنًا وتعلقت بالحـــواشى النَّواعم

هاتِ حدّث عن العوان وصِفها لا تُرَع فى التراب ما أنا لائم[٢]

كُلنـا واردُ السَّرابِ وكلٌّ حَمَـــلٌ فى وليمة الذِّئب طاعم[٣]

قد رجَـوْنا من المغانم حظًّا ووَرَدْنا الوغَى فكُنا الغَنائم

***

قد بَعثت القَضيـةَ اليومَ مَيْتًا رُبَّ عَظم أَتَى الأمورَ العظائم

أنت كالحق ألَّف الناسَ يقظا نَ وزَادَ ائتلافَهم وهْو نائم

إنما الهِمَّـــةُ البعيدةُ غَرسٌ مُناتٌ الجَنى بطىء الكمائم[٤]

رُبما غابَ عن يدٍ غَرَستْه وحَوتْه على المَدى يَدُ قادِم

حَبّذا مَوْقِفٌ غُلبتَ عليه لم يَقِفْهُ للعُرب قَبلك خادِم

ذَائدًا عن ممالكٍ وشعوبٍ نُقلت فى الأكُفِّ نقل الدَّراهم

كلُّ ماءٍ لهم وكلُّ سماءٍ مَوْطِئُ الخيلِ أو مَطارُ القَشاعم[٥]

لَم لَمْ نَدعهم إلى الهمةِ الشَّـ ـماء والعـــلم والطِّماح المزاحم

---

(١) يشير إلى انضمام الفقيد فى صف الحلفاء ضد تركيا فى أثناء الحرب الكبرى ، وقد كان لهذا الانضمام أثره فى نهاية تلك الحرب .

(٢) العوان : الحرب .

(٣) كلنا فى وليمة الذئب طاعم : يريد كلنا مطعوم مأكول لهذا الذئب .

(٤) الجنى : الثمار . والكمائم : محل ما تنبت تلك الثمار .

(٥) القشاعم : النسور ، جمع قشعم . ويريد «بالنسور» : الطيارين الذين يشبهون النسور .

ورُكُوب اللُّجاجِ وهى طَواغٍ والسمواتِ وهى هُوجُ الشكائم(١)
وإلى القُطبِ والجليـدُ عليه والصحارى وما بها من سمائم(٢)
اغسلوه بطيّبٍ مِن وَضُوء الـ ـرُّسـل كالوَرْدِ فى رُباه البَواسم(٣)
وخُذُوا من وسادهم فى المُصلَّى رقعةً كفّنوا بها فرعَ هاشم
واستَعيروا لِنعشه مِن ذُرى المِنـبر عُودًا ومن شريفِ القوائم
واحملوه على البُراق إن اسطعـتم فقد جَلَّ عن ظُهور الرواسم(٤)
وأَديروا إلى العَتيـق (حُسينًا) يبتهلْ رُكنُه وتدعو الدعائم(٥)
واذكروا للأمير مكَّةَ والقَصـرَ وعهدَ الصَّفا وطِيبَ المواسم
ظَمِئَ الحـرُّ للدِّيار وإن كا ن على مَنْهلٍ مِن الخُلد دائم

***

نقِّـلوا النَّعشَ ساعةً فى رُبا الفَتـحِ وطُـوفوا بربه فى المعـالم
وقِفُـوا ساعةً به فى ثَرى الأقـمارِ مِن قَومِه وترب الغمائم
وادْفِنـوه فى القُـدس بينَ سُليما نَ وداودَ والملوكِ الأكارم
إنما القُدسُ مَنزلُ الوحى مَغْنى كلِّ حبرٍ من الأوائل عالم
كُنِّفت بالغُيوب فالأرضُ أسْرا رَ مَدَى الدَّهر والسماءُ طلاسم
وتحلّت مِن البُراقِ بطُغْرا ءَ ومِن حافِرِ البُراقِ بخاتم(٦)

---

(١) يريد «بركوب السموات» ركوب الطيارات . ويريد «بهوج الشكائم» : اللجم، أى اللجم الصعبة القياد .
(٢) السمائم : جمع سموم ، الريح الحارة المحرقة .
(٣) الوضوء (بفتح الواو) : ما يتوضأ به .
(٤) الرواسم : الإبل ، أو الخيل ، أو الركائب عامة .
(٥) العتيق : مسجد بيت المقدس حيث دفن الفقيد .
(٦) الطغراء : ما يكتب فى أول الكتاب . والبراق : هو ركوبة النبى صلوات الله عليه ليلة أسرى به .

يرثى أباه(*)

سَأَلُونى لِمَ لَمْ أَرْثِ أَبى ؟ ... ورثاءُ الأب دَيْنٌ أىّ دَيْن

أيُّها اللُّوّامُ ما أظلَمَكُمْ ... أَينَ لى العقلُ الذى يُسعِدأَيْنْ ؟ (١)

يا أبى ما أنتَ فى ذَا أوّلٌ ... كلُّ نَفس لِلْمنايا فَرْضُ عَيْن

هلكَتْ قَبلك ناسٌ وقُرَى ... ونَعَى النّاعون خيرَ الثَّقلين (٢)

غايةُ المرءِ وإنْ طال المدَى ... آخِذٌ يأخذُه بالأَصغَرَيْن (٣)

وطبيبٌ يَتولّى عاجزًا ... نافضًا من طِبّه خُفَّى حُنَين (٤)

إنَّ للموتِ يدًا إنْ ضَربتْ ... أَوشكَت تصْدعُ شملَ الفَرقَدَيْن

تَنفُذ الجوَّ على عِقْبانه ... وتُلاقى اللَّيثَ بين الجبلين

وتحُطُّ الفَرخَ مِن أيكَتِه ... وتَنالُ الببَّغا فى المتَتين

أنا مَن ماتَ ومَنْ ماتَ أنا ... لقى الموتَ كِلانا مرّتين

نحنُ كنا مُهجةً فى بدنٍ ... ثم صِرْنا مُهجةً فى بدنَين (٥)

ثم عُدْنا مهجة فى بدنٍ ... ثم نُلقى جُثّةً فى كَفَنَيْن

(*) نظم هذه القصيدة حوالى سنة ١٨٩٧ يرثى بها والده الطبيب الذكر المرحوم على بك شوقى رحمه الله .

(١) يسعد : يعين .

(٢) الثقلان : الإنس والجن . وخير الثقلين ، هو سيدنا محمد صلوات الله عليه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان .

(٤) خفى حنين : مثل عربى يضرب عند اليأس من الحاجة المطلوبة والرجوع عن الطلب بالخيبة

(٥) المهجة : الدم ، وقد يعبر بها عن الروح ، يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

ثم نحيي فى (علىٍّ) بعدنا ... وبه نُبعَثُ أُولى البعثتين (١)

انظر الكونَ وقل فى وصفِه ... كلُّ هذا أصلُه من أبوَيْن

فإذا ما قيل ما أصلُهما ... قل هما الرحمةُ فى مَرْحمتين

فقَدَا الجنَّةَ فى إيجادنا ... ونعِمنا منهما فى جَنَّتين

وهما العذرُ إذا ما أغضِبا ... وهما الصفحُ لنا مُستَرضَيين

ليت شعرى أىُّ حىٍّ لم يَدِن ... بالذى دانا به مُبتدِئَيْن

وقَفَ اللهُ بنا حيثُ هُما ... وأماتَ الرُّسلَ إلَّا الوالدَيْن (٢)

ما أبى إلا أخٌ فارقتُه ... وذُه الصدقُ وودُّ الناسِ مِيْن (٣)

طالما قُمنا إلى مائدةٍ ... كانت الكِسرةُ فيها كِسرتَيْن

وشَربنا من إناءٍ واحدٍ ... وغَسلْنا بعدَ ذَا فيه اليَدين

وتمشَّينا يدِى فى يدِه ... مَن رآنا قال عنا أخوَين

نظر الدهرُ إلينا نظرةً ... سوَّت الشرَّ فكانت نظرَتين

يا أبى والموتُ كأسٌ مرَّةٌ ... لا تذوقُ النَّفسُ منها مَرتين

كيف كانت ساعةٌ قَضَيتها ... كلُّ شىءٍ قَبلَها أو بعدُهين؟

---

(١) على ، هو أحد نجلى أمير الشعراء .

(٢) يريد فى هذا البيت أن يقرر أن الأبوة ضرب من ضروب الرسالة التى لم تنقطع كما انقطعت رسالة الأنبياء ، وإنما هى ستظل قائمة بوظيفتها من طبع الأبناء على غرار الآباء مصداقا للأثر القائل : ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه .

(٣) المين : الكذب . وفى هذا البيت على سهولة أدائه أعظم ألوان المدائح لوالد ، فإن الوالد الذى لا يشعر ابنه بسلطة الأب هو الوالد المشتمل على جميع مكارم الأخلاق ، البالغ أعلى درجات الحكمة .

أشَربت الموتَ فيها جُرعةً ... أم شَربت الموتَ فيها جُرعَتين ؟

لا تخف بعدك حُزنا أو بكا ... جَمَدَتْ مِنى ومنك اليومَ عين

أنت قد علَّمتَنى تَرْكَ الأسى ... كلُّ زَين منتهاه الموتُ شَين

ليت شعرى هل لنا أن نلتقى ... مَرَّةً أم ذا آفتراقُ المَلَوَين (١)

وإذا متُّ وأُودِعْت الثرى ... أنلتَقى حفرةً أم حفْرتين ؟

---

(١) الملوان : الليل والنهار ، الواحد منهما ملا .

مصطفى كامل باشا(*)

المَشْرقانِ عليكَ يَنْتحِبان ... قاصيهما فى مأتَمٍ والدَّانى

يا خادِمَ الإسلام أجر مُجاهِدٍ ... فى اللهِ مِن خُلدٍ ومِنْ رضوان

لما نُعيتَ إلى الحجاز مَشَى الأسى ... فى الزائرينَ ورُوِّعَ الحرمان(١)

السِّكةُ الكُبرى حِيالَ رُباهُما ... مَنكوسةُ الأعلامِ والقضبان(٢)

لم تَأْلُها عندَ الشدائد خِدمةً ... فى الله والمختار والسلطان

يا ليت مكَّةَ والمدينةَ فازتَا ... فى المحفِلَيْن بصوتِكَ الرنَّان

ليرى الأواخرُ يومَ ذاكَ ويَسمَعوا ... ما غاب من قُسٍّ ومِن سَحبان(٣)

جارَ التراب وأنت أكرمُ راحلٍ ... ماذا لقيتَ من الوُجود الفانى ؟

أبْكِى صِباكَ ولا أُعاتِب مَن جَنَى ... هذا عليه كرامةٌ للجانى

يتَساءلون أبه (السّلال) قَضيت أم ... بالقلب أم هل مُت بالسَّرطان ؟

الله يَشهد أنَّ موتَك بالحِجا ... والجِدِّ والإقدام والعِرفان

إنْ كان للأخلاق ركنٌ قائم ... فى هذه الدنيا فأنت البانى

بالله فتِّش عن فؤادِك فى الثَّرى ... هل فيه آمالٌ وفيه أمانى ؟

وجدانُك الحىُّ المُقيمُ على المَدى ... ولَرُبَّ حىٍّ مَيِّتِ الوِجدان

النَّاسُ جَارٍ فى الحياةِ لغايةٍ ... ومُضلِّلٍ بجرى بغير عِنان

(*) هو الزعيم الخالد الذكر مصطفى كامل باشا مؤسس الحزب الوطنى ، وقد توفى سنة ١٩٠٨ .

(١) الحرمان : حرم مكة والمدينة .

(٢) السكة الكبرى : يريد سكة حديد الحجاز ، وقد كان الفقيد أعظم الدعاة المجاهدين فى سبيل إنشائها .

(٣) قس وسحبان : خطيبان عربيان يضرب بهما المثل فى الطلاقة الخطابية والفصاحة والحكمة .

والخلدُ فى الدنيا وليس بهيّنٍ ... عُليا المراتبِ لم تُتَحْ لجبان

فلو آن رسلَ الله قد جَبنُوا لمَا ... ماتوا على دينٍ من الأديان

المجدُ والشَّرفُ الرفيعُ صحيفةٌ ... جعلت لها الأخلاقُ كالعنوان

وأحبُّ مِن طُولِ الحياةِ بذلّةٍ ... قِصَرٌ يُريكَ تقاصُرَ الأقران

دَقّاتُ قلبِ المرءِ قائلةٌ له ... إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثوانى

فارفَع لنفسكَ بعدَ موتك ذِكرَها ... فالذكرُ للإنسان عُمر ثانى

لِلمرءِ فى الدنيا وجَمٌّ شؤونها ... ما شاء من رِبح ومِن خسران

فهى الفَضاءُ لراغبٍ مُتطلّعٍ ... وهى المضيقُ لمؤثر السلوان

النــاسُ غادٍ فى الشقاء ورائحٌ ... يَشقى له الرُّحماءُ وهوَ الهانى

ومنعَّم لم يــلقَ إلا لذةً ... فى طَيّها شَجَنٌ من الأشجان

فاصبرْ على نُعمى الحياةِ وبُؤسها ... نُعمى الحيــاة وبُؤسها سيّان(١)

ياطاهرَ الغَدوات والرَّوحاتِ والـــخَطراتِ والإسرارِ والإعلان

هــل قامَ قبلَكَ فى المدائن فاتحٌ ... غازٍ بغــير مُهنَّدٍ وسِنَان؟

يدعو إلى العلم الشريف وعنده ... أن العــلوم دعائمُ العُمران

لفُوكَ فى عَلَم البــلادِ منكّسًا ... جَزع الهــلال على فَتى الفتيان

ما احمرَّ مِن خجلٍ ولا مِن ريبةٍ ... لكنما يَبكى بدمــع قانى(٢)

يُزجُونَ نعشَك فى السناءِ وفى السّنا ... فكأنما فى نَعشِكَ القَمران

وكأنه نَعشُ الحُسين « بكربلا » ... يختالُ بين بكى وبين حنان

فى ذمّــةِ الله الكريم وبرِّه ... ما ضَمَّ مِن عرفٍ ومِن إحسان

---

(١) سيان : مثلان ، الواحد سى .

(٢) قانى : أحمر .

ومَشَى جَلالُ الموتِ وهو حقيقةٌ ... وجَلالك المصدوقُ يلْتقيان

شَقَّت لمنظرِكَ الجيوبَ عقائلٌ ... وبكَتكَ بالدَّمع الهتون غَوانى(١)

والخَلقُ حولَك خاشعون كعهدهم ... إذ ينصِتون لخُطبة وبيان

يتَساءلون بأىِّ قلبٍ تُرتَقى ... بَعدُ المنابرُ أم بأىِّ لسان

لو أنَّ أوطانًا تُصوِّرُ هيكلا ... دَفَنوكَ بين جَوانح الاوطان

أو كان يُحمَل فى الجوارح مَيِّتٌ ... حملوكَ فى الاسماع والاجفان

أو صِيغَ من غُرِّ الفضائلِ والعُلا ... كَفَنٌ لَبستَ أحاسنَ الاكفان

أو كان للذكر الحكيم بقيةٌ ... لم تأتِ بعدُ ؛ رُئيتَ فى القرآن

ولقد نظرتُك والرَّدَى بك مُحدِقٌ ... والداءُ مِلءُ مَعالم الجثمان

يَبغِى ويَطْغَى والطبيبُ مُضلَّلٌ ... قَنِطٌ وساعاتُ الرحيلِ دَوانى

ونواظِرُ العُوَّادِ عنـك أمالها ... دمعٌ تُعالج كَتْمه وتُعانى

تُملى وتكتُب والمشاغِلُ جَمَّةٌ ... ويداكَ فى القِرطاسِ ترتجفان

فهَشَشْتَ لى حتى كأنك عائدى ... وأنا الذى هدّ السّقام كيانى

ورأيتُ كيف تموت آسادُ الشَّرَى ... وعَرفْتُ كيف مصارعُ الشُّجعان(٢)

ووجدتُ فى ذاكَ الخيالِ عزائمًا ... ما للمَنُونِ بدكِّهِنّ يدان

وجَعلتَ تسألنى الرِّثاءَ فهاكه ... من أدمُعى وسَرائرى وجَنانى

لولا مُغالبةُ الشُّجون لخاطِرى ... لنظمتُ فيكَ يَتيمةَ الأزمان

وأنا الذى أرثى الشموسَ إذا هَوَت ... فتعودُ سيرتها إلى الدَّوَران

---

(١) القائل جمع عقيلة ، وهى من كل شىء كريمته . والهتون : من هتن الدمع ، إذا قطر والغوانى جمع غانية ، وهى الفتاة تغتنى بجمالها عن الحلى .

(٢) آساد : جمع أسد . والشرى : طريق فى جبل سلمى كثيرة الأسد .

قد كنتَ تهتِفُ فى الورى بقصائدى ... وتُجلُّ فوقَ النيّراتِ مكانى

ماذا دهانى يومَ بِنْتَ فعقَّنى ... فيكَ القَريضُ وخانَنى إمكانى

هَوِّن عليكَ فلا شمتَ بميِّتٍ ... إنّ المنيَّةَ غايةُ الإنسان

مَن للحَسود بميتةٍ يُلِغّها ... عَزَّت على (كسرى) أنو شرْوان

عُوفيتَ من حَرَب الحياةِ وحرْبها ... فهل ٱستَرحتَ أم ٱستَراح الشانى[1]

يا صَبَّ مِصرَ ويا شَهيدَ غَرامِها ... هذا ثَرَى مِصرٍ فَمِ بأمان

إخلَعْ على مصرٍ شبابَك عاليًا ... والْبَسْ شَباب الحورِ والولدان

فلعل مِصرًا من شبابك تَرْتدى ... مجدًا تتيهُ به على البلدان

فلو آنّ بالهَرمَيْنِ مِن عزماته ... بعضَ المضاء تحرّك الهرَمان

علّمت شُبّانَ المدائنِ والقُرى ... كيف الحياةُ تكونُ فى الشُّبان

مِصرُ الأسيفةُ رِيفها وصعِيدُها ... قَبرٌ أبرُّ على عِظامِك حانى

أقسمت أنك فى التُّرابِ طهارةٌ ... مَلكٌ يَهابُ سؤالَه الملكان

---

(١) حربه (كطلبه) : سلبه ماله . والشانى : المبغض .

حسن بك أنور(*)

تُسائِلُنى (كَرْمَتى) بالنَّهار ... وبالليلِ : أين سميرى (حسن) ؟(١)
وأين النَّديمُ الشَّهىُّ الحديث ... وأين الطّروبُ اللطيف الأذُن
نَجِىُّ البلابِل فى عُشِّها ... ومُلهِمُها صِبيةً فى الفَنَن
فقلتُ لها ماتَ ، واستشعَرَت ... ليالى السُّرورِ عليه الحزن
لِيَن ناءَ مِن سِمَن جِسمُه ... فما عَرفت رُوحه ما السِّمن
وما هو مَيْتٌ ولكنَّه ... بشاشةُ دهرٍ محاها الزَّمن
ومعنًى خَلا القولُ مِن لفظِه ... وحُلمٌ تَطاير عنه الوَسَن(٢)

***

ولا يذكرُ المعهدُ الشَّرقىُّ ... (لأنور) إلاَّ جَليل المِنن
وما كان مِن صَبرهُ فى الصِّعابِ ... وما كان من عونه فى المحن
وخدمةَ فنٍّ يُداوِى القلوبَ ... ويشفى النفوسَ ويُذكى الفِطَن
وما كان فيه الدعىَّ الدخيلَ ... ولكن مِن الفنِّ كان الركن(٣)

***

ولو أنصفَ الصَّحبُ يومَ الوداع ... دُفِنت (كإسحاق) لما دُفِن
فَغُيبتَ فى المِسكِ لا فى التراب ... وأُدرجتَ فى الوَردِ لا فى الكفن

(*) المرحوم حسن بك أنور أحد الأعضاء المؤسسين لنادى الموسيقى الشرقى . وكان من الأصدقاء المقربين لأمير الشعراء ، وقد توفى سنة ١٩٣٠ .

(١) كان يطلق على دار أمير الشعراء كرمة ابن هانئ .

(٢) الوسن : النعاس .

(٣) الركن: الركن ، وقد حركت الكاف من أجل الشعر . والركن من كل شىء : جانبه الأشد والأقوى .

وخُطّ لك القبرُ فى رَوضـــةٍ يَميلُ على الغُصنِ فيها الغُصن
ويلتحِبُ الطّيرُ فى ظِلهـــا ويخلَعُ فيها النسيمُ الرَّسن(١)
وقامت على العـــود أوتارُه تُعيد الحنين وتُبدى الشَّجن
وطارحكَ (الناىُ) شجْو النواح وكنت تئِن إذا الناىُ أَنْ
ومالَ فناحَ عليكَ (الكمانُ) وأظهرَ من بثّـــه ما كمن

***

ســـلامٌ عليكَ ســـلام الرُبا إذا نفحَت والغوادِى الهتن
ســـلام على جـــيرة بالإمام ورَهطٍ بصحرائه مُرتهن
ســـلام على حُفرٍ كالقباب وأخرى ، كمندرسات الدّمن(٢)
وجمع تآلف بعدَ الخـــلاف وصافىَ وصُوفىَ بعد الضّغن
ســـلامٌ على كلّ طودٍ هناك له حَجَـــرٌ فى بِناء الوطن

---

(١) الرسن : الحبل . ويقال : رسن الفرس : شده بالرسن .
(٢) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الناس .

أم المحسنين (*)

أخذَتْ نَعشكِ مصرُ باليمين ... وحَوَتْه مِن يدالرّوح الأمين (١)
لَقِيت طُهْرَ بقاياكِ كما ... لَقيتْ (يثرب) أمَّ المؤمنين
فى سوادْيها وفى أحشائها ... ووراءَ النحر مِن حَبلِ الوتين (٢)

***

خرجت من قصرك الباكى إلى ... رَملة الثّغر إلى القصر الحزين
أخـذَتْ بين اليتـامى مذهبًا ... ومَشت فى عَبَراتِ الباكسين
ورَمَت طَرْفاً إلى البحر تَرى ... مِن وراء الدَّمع أسراب السفين
فبَـدَت جارية فى حُضْنها ... فَنَنُ الوردِ وفَرعُ الياسمين (٣)
وعلى جُؤجُئها نورُ الهدى ... وعلى سُكانها نورُ اليقين (٤)
حَملت من شاطِئَىْ (مرمرةٍ) ... جوهر السُّؤددِ والكنز الثمين (٥)
وطوَت بحرًا بيحرٍ وجَرَت ... فى الأُجاج المِلح بالعَذْب المَعين
واستقلَّت دُرّة كانت سَنًى ... وسناءً فى جباه المالكين (٦)

(*) أم المحسنين ، هى والدة سمو الخديوى عباس باشا الثانى . وقد توفيت بالآستانة سنة ١٩٣١ .

(١) أخذت نعشك مصر باليمين ، تعبير مقصود به القول أن مصر كلها أظهرت اهتماما وعناية كبيرين فى استقبال نعش الفقيدة . أما الشطر الثانى من البيت فهو كناية عن أن النعش كان يحوى ذخيرة من الذخائر المقدسة ، ومن أجل ذلك قام جبريل أمين الملائكة بحراسته حتى يسلم هذه الذخيرة لقومها يدا بيد .

(٢) النحر : موضع القلادة من الصدر . والوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه

(٣) جارية : سفينة . وفى القرآن الكريم : «وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام»

(٤) جؤجؤ السفينة : مقدمها . وسكانها : مؤخرها .

(٥) مرمرة : بحر فى بلاد الترك . يقول : إن هذه السفينة لم تحمل من شاطئ تلك البلاد نعش ميتة وإنما حملت خلاصة السؤدد وجوهر الكنز الثمين .

(٦) السنى ، بالقصر : الضوء ؛ وبالمد : الرفعة .

ذَهَبت عن عِلية صِيدٍ وعَن خُرَّدٍ من خَفِرات البيت عِين
التَّقِيَّاتُ بناتُ المتقِي والأمينـاتُ بُنيَّاتُ الأمين
لَبِسَت فى مَطلع العزِّ الضُحى ونَضتْه كالشموس الآفلين (١)
يَدُها بانيـةٌ غارِسـةٌ كيد الشمس وإن غاب الجبين

***

رَبَّةَ العرشَيْنِ فى دولتها قدرَكبت اليومَ عرشَ العالمين
أضجعت قبلك فيه (مريمٌ) وتوارَى بنساء المُرسلين
إنه رَحْلُ الأوَالى شَدَّه لهمُ آدمُ رسـل الآخرين

***

إخلَعى الألقابَ إلا لَقَبًا عَبقريا هو (أمُّ المحسنين)
ودعى المالَ يَسِرْ سُنَّتَه يَمْض عن قومٍ لايدى آخرين
واقْذِفى بالهمّ فى وَجه الثَّرى واطْرحى من حالقِ عِبءَ السنين (٢)
واسخَرى من شانئٍ أو شامت لَيس بالمخطئ يومُ الشامتين
وتعزَّىْ عن عوادى دولةٍ لم تدُم فى وَلدٍ أو فى قرين
وازهدِى فى موكبٍ لوشِئْتِه لتغَطّى وجهُها بالدارعين (٣)
ما الذى رَدَّ عـلى أصحابه ليس يُحْيى مَوكبُ الدَّفنِ الدفين
رُبَّ محمولٍ على المدفع ما مَنعَ الحوضَ ولاحاط العرين (٤)
باطـلٌ من أُمَمٍ مخدوعةٍ يتحدّون به الحقَّ المُبين

---

(١) نضته : خلعته . والآفلين : جمع آفل . والأفوال للشموس : المغيب .
(٢) حالق الجبل : أعلاه ، كأنه يقول : إن الموت ارتفاع عظيم .
(٣) الدارعين : جمع دارع ، أى لابس الدرع .
(٤) العرين للأسد ، كالبيت للانسان . يقول : كثير ممن تحمل نعوشهم فوق المدافع لم يدافعوا عن الحق ولم يمنعوا العدوان عن الحمى ، فما دام هذا المظهر قد يناله فى الدنيا غير مستحقيه فهو إذن ليس بذى خطر وليس بالذى يعتز به حقيقة .

***

فى (فَروقٍ) ورُباها مأتَمٌ ذَرَفتْ آماقَها فيه العُيون

قامَ فيها من عَقيلات الحِمَى مَـلأٌ بُدِّلْن مِن عِزٍّ بِهُون

أسَرٌ مالَت بها الدنيا فـلم تَلق إلا عِندكِ الركنَ الركين

قد خَلا (بيبك) من حاتمه ومِن الكاسِين فيه الطَّاعمين (١)

طَارت النّعمـةُ عن أيكَتِه وانْقضى ما كان مِن خَفْضٍ ولين

اليتامى نُوَّحٌ ناحيـةً والمساكينُ يمدّون الرَّنين

دولةٌ مالت وسُلطانٌ خلا دُووِلَتْ نُعماه بين الأفربين

مُنهض الشرقِ (علىٌّ) لم يَزل مِن بنيه سيِّدٌ فى (عابدين)

يُصلح الله به ما أفسدَتْ فَترةُ الدهر مِن دُنيا ودين

أمّ عبـاسٍ ومالى لم أقُـل أمّ مصرٍ من بنَـاتٍ وبنين

كُنتِ كالورد لهم واستقبلوا دولة الرّيحان حينًا بعد حين

فيُقـال الأمّ فى موكبِها ويُقالُ الحرَمُ العالى المَصون (٢)

***

(العفيفىّ) عَفافٌ وهُدًى (كالبقيع) الطُّهر ضَمّ الطاهرين (٣)

آدخلِى الجنّة من رَوضتِه إنَّ فيها غُرفةً للصَّابرين

---

(١) بيبك : قصر الفقيدة فى الآستانة ، كان مصيفها كل عام . وحاتم : اسم رجـل يضرب به المثل فى الكرم البالغ ، يقال : كرم حاتمى . وقد شهرت الفقيدة بالكرم ، ومن أجل ذلك قيل لها أم المحسنين .

(٢) يشير هذا البيت إلى أن الفقيدة العظيمة كانت أم خديوى وزوجة خديوى .

(٣) العفيفى : علم على الموضع الذى أقيم فيه مدفن الفقيدة بجوار مدفن قرينها .

الدكتور أحمد فؤاد(*)

أوحت لطرْفكَ فاستهلَّ شُؤونا ... دارٌ مررْتَ بها على (قيسونا)(١)

غاضَت بَشاشتُها وفَضَّت شَمْلها ... دُنيا تَغُرّ السّادِرَ المفتونا

نَزلت عَوادى الدهرِ فى ساحَاتها ... وأقَلَّ رفرَفُها الخطوبَ العُونا(٢)

فتكادُ مِن أسفٍ على آسى الحِمَى ... مِن كلِّ ناحيةٍ تثور شُجونا

تلك (العيادة) لم تكن عَبثًا ولا ... شَركًا لصَيْد مآربٍ وكمينا

دَارُ (ابن سينا) نزّهت حُجُراتُها ... عَن أن تُضمّ ضَلالةً ومُجونا(٣)

خَبتِ المَطالعُ مِن أغرَّ مُؤَمَّلٍ ... كالفجر ثَغرًا والصَّباحِ جبينا(٤)

ومن الوُفودِ كأنهم من حوله ... مَرْضى (بعيسَى الروح) يَسْتَشْفونا

مَثَلٌ تصوَّر من حياةٍ حُرّةٍ ... للنَّشءِ ينطِق فى السكوت مُبينا

لم تُحْصَ من عهدِ الصِّبا حركاتُه ... وتَخالُهُنَّ من الخُشوع سكونا

(*) كان الدكتور أحمد فؤاد مثالا نادرا من أمثلة حسن الخلق ، ونابغة من نوابغ الطب المعدودين ، وقد توفى سنة ١٩٣١ .

(١) قيسون : علم على مسجد بهذا الاسم فى شارع محمد على بالقاهرة ، كانت دار الفقيد قريبة منه ، والشؤون : الدموع . يقول : إن المرور على هذه الدار يجعل العين تفيض دمعا حزنا لما أصاب تلك الدار من الخُول بعد النباهة ، والسكوت بعد الحركة ، والوجوب بعد الطلاقة والسرور ، وهذا لفقد صاحبها طبعا .

(٢) أقل : حمل . والرفرف : شىء مثل الطاق يجعل عليه طرائف البيت . والعون : جمع عوان . والخطوب العون : أى التى نزلت مرة قبل هذه . يريد أن هذه الدار قدعرفت عوائق الدهر وخطوبه قبل هذا الخطب الأخير الذى حل بها .

(٣) يشبه الفقيد فى الطب والأمانة للعلم بابن سينا .

(٤) خبت المطالع : انطفأ نورها .

***

جَمحت جِراحُ المُوزِعِين وأعْضَلَتْ أدواؤُهم وتَغيَّب الشافونا (١)
ماتَ الجَوادُ بِطِبِّه وبأجره ولربَّما بذَلَ الدواءَ مُعينا
وتَجُس راحتُه العليلَ وتارةً تَكْسُو الفقيرَ وتُطعم المِسكينا
أدَّى أمانةَ عِلمه ولطالما حَمَلَ الصدافةَ وافيًا وأمينا
وقضَى حقوقَ الأهلِ يُحسِنُ تارةً بأبيه أو يَصِل القرابة حينا
خُلقٌ ودينٌ فى زمانٍ لا تَرى خُلقًا عليه ولا تُصادف دينا

***

أُمداوِىَ الأرواح قبل جُسومها قم داوِ فيك فؤادىَ المحزونا
رَوِّحْ بلفظكَ كلَّ رُوحٍ مُعذَّبٍ حَيرانَ طار بلُبِّه النـاعونا
قد كال للقدَر العِتابَ وربَّما ظنَّ المُدَلَّهُ بالفضاء ظنونا (٢)
داوَيْتَ كلَّ مُحَطَّمٍ فشفيْتَهُ ونَسِيتَ داءً فى الضلوع دفينا
كبدٌ على دَمِها اتّكأتَ ولَحْمِها فحَمَلْتَ هَمَّ المسلمين سِنينا
ظلت وراءَ الحربِ تشقَى بالنّوى وتَذُوب للوطن الكريم حنينا

***

ناصرتَ فى فجرِ القضيَّةِ (مصطفى) فنَصرتَ خُلقًا فى الشّباب مَتينا (٣)
أقدَمْتَ فى العشرين تحت لوائِه وروائِعُ الإقْدامِ فى العشرينا
لم تَبغ دُنيا طالما أغضَى لها حُمُس الدّعاة وطأطأُوا العِرنينا (٤)

---

(١) أدواء : جمع داء .
(٢) المدله : الذى ذهب فؤاده من هم وعشق ونحوه .
(٣) يشير إلى أنه كان من الأنصار الكبار للزعيم مصطفى كامل باشا .
(٤) حمس : جمع حمس ، بكسر الميم ، أو أحمس : وهو الصلب فى القتال والعقيدة ؛ والحمس . لقب لقريش ، ومن تابعهم فى الجاهلية لتحمسهم والتجائهم للحمساء ، أى الكعبة . والعرنين : الأنف .

***

رُحماكَ (يوسفُ) قِف ركابَك ساعةً ... وٱعطِف على يَعقوبَ فيه حزينا (١)

لم يَدْرِ خلفَ النَّعشِ من حرِّ الجَوى ... أيُشُقُّ جَيْبًا أم يَشُقّ وتينا (٢)

ساروا بمُهجتِه فحُمِّلَ ثكلَها ... وقضَوْا بعائلِه فمالَ غبينا (٣)

أتعودُ فى ركب الربيع إذا ٱنثَنَى ... بَهِجًا يزفُّ الوردَ والنّسرينا

هيهاتَ من سَفَرِ المنيَّة أوْبةٌ ... حتى يَهيبَ الصُّبحُ بالسارينا

ويقالُ للأرض الفضاءِ تمخَّضِى ... فترد شيخًا أو تَمجّ جنينا

***

الله أبقَى، أينَ من جَسَدى يَدٌ ... لم أُنسَ رِفْقَ بَنانِها واللّينا (٤)

حتى تمثَّلَت العِنايةُ صورة ... تُومى براحٍ أو تُجيل عيونا

فجررت جُثمانى وهانت كربةٌ ... لولا ٱعتِناؤكَ لم تكن لِتَهونا

إنَّ الشفاءَ من الحياةِ وعونِها ... ما كان آسٍ بالشفاء ضمينا

واليومَ أُرْتَجِلُ الرِّثاءَ وأنْزَوِى ... فى مأتمٍ أبكى مع الباكينا

سبحانَ مَنْ يَرِثُ الطبيبَ وطِبَّه ... ويُرِى المريضَ مَصارعَ الآسينا (٥)

---

(١) يشبه الفقيد بسيدنا يوسف الصديق ليمهد لتشبيه أبيه بسيدنا يعقوب فى صبره على فراق ابنه ومحنته .

(٢) الوتين : عرق فى القلب إذا قطع مات صاحبه .

(٣) المهجة : تطلق على الدم وعلى الروح ؛ يقال : خرجت مهجته ، أى روحه .

(٤) يشير : إلى أن الفقيد كان أحد أطبائه الذين تمثلت عناية الله به فى عنايتهم بعلاجه واعتنائهم بشفائه .

(٥) الآسينا : جمع آسٍ ، وهو الطبيب .

نجل إمام اليمن (*)

مَضَى الدهـرُ بابْن إمامِ اليمنْ ... وأوْدَى بزين شَبابِ الزمن
وباتَت بصَنعاء تبكِي السيوفُ ... عليه ، وتَبكى القَنا فى عَدن(١)
وأعولَ نجـدٌ ، وضجَّ الحِجازُ ... ومالَ الحُسينُ فعـزَّ الحسن
وغصَّت مَناحاتُه فى الخِيام ... وغصّت مآتمُهُ فى المُدُن
ولو أنّ مَيْتًا مَشَى للعـزاء ... مشى فى مآتمـه ذُو يَزَن (٢)
فتًى كاسمِه كان سيفَ الإلٰه ... وسيفَ الرسول وسيف الوطن
ولُقِّب بالبـدرِ منْ حُسنِه ... وما البدْرُ ، ماقدرُه ، وآبنُ مَنْ ؟

***

عـزاءً جميـلًا إمامَ الحِمَى ... وهَوِّن جَليـل الرزَايا يَهُن
وأنتَ المُعـانُ بإيمانِه ... وظنُّـك فى الله ظَنٌّ حسَن
ولكن متى رقَّ قلبُ القَضاءِ ... ومِن أين لِلموتِ عقـلٌ يَزِن
يجامِلك العَـربُ النازِحون ... وما العَـربيَّةُ إلا وطن
ويجمَـعُ قومَك بالمسلمين ... عظيمُ الفُروضِ وسَمْحُ السُّنن
وأنّ نبيَّهُـمُ واحـدٌ ... نبيُّ الصـوابِ ، نبيُّ اللسن
ومِصرُ التى تجمَـعُ المسلمين ... كما اجتمعوا فى ظِلال الرُّكن (٣)

(*) هو الأمير سيف نجل الإمام يحيى ، وقد توفى غرقا وهو يحاول إنقاذ رفيق له من الغرق سنة ١٩٣٢ .

(١) صنعاء : حاضرة اليمن . وعدن : إحدى الموانى هناك ، وفيها خليج عدن المشهور.

(٢) ذو يزن : أحد أقيال اليمن الأقدمين . ولشجاعة هذا الملك فى استرداد عرش أبيه وأجداده أضيفت إليه أساطير كثيرة .

(٣) يريد بالركن : الكعبة .

تعزّى اليمانيين فى سَيفهم ... وتأخذ حِصّتها فى الحزن

وتقعُد فى مأتم ابنِ الإمام ... وتبكِيه بالعَبَرات الهُتن

وتَنثُر رَيحانَتَىْ زَنبقٍ ... مِن الشِّعرِ فى رَبوات اليمن

ترِفّانِ فوق رُفاتِ الفقيد ... رفيفَ الجنَى فى أعالى الغُصن

قَضَى واجبًا فقضى دُونه ... فتًى خالِصَ السرِّ صافى العَلن

تطوَّحَ فى لُجَجٍ كالجِبال ... عِراضُ الأواسى طِوال القِنن(١)

مَشى مِشيةَ الليث لا فى السلاح ... ولا فى الدروع ولا فى الجُنن(٢)

***

متى صِرتَ يابحرُ غِمدَ السّيوفِ ... وكنا عَهدناك غِمدَ السُّفُن ؟

وكنتَ صِوان الجُمانِ الكريم ... فكيف أزيلَ ولو لم يُصن

ظَفِرتَ بجوهرةٍ فذّةٍ ... من الشرف العبقرى اليَمَن

فتًى بَذَلَ الروحَ دونَ الرِّفاق ... إليك وأعطَى الترابَ البَدن

وهانتْ عليه ملاهى الشباب ... ولولا حقوقُ العُلا لم تَهُن

وخاضَك يُنقِذُ أترابَه ... وكان القضاءُ له قد كَمَن

غدَرتَ فتًى ليس فى الغادرين ... وخُنتَ امرأً وافيًا لم يَخُن

وما فى الشجاعةِ حَتفُ الشُّجاعِ ... ولا مَدَّ عمرَ الجبان الجبن

ولكن إذا حانَ حَيْنُ الفتى ... قضَى ويَعيش إذا لم يحن(٣)

---

(١) القنن : جمع قنة ، وهى رأس الجبل . والأواسى من البناء : الدعائم .

(٢) الجنن : جمع جنة ، بالضم ، وهى ما استترت به من سلاح ودروع ونحو ذلك .

(٣) الحين : الأجل .

***

ألا أيهـذا الشريفُ الرَّضِىُّ ... أبو السّمراء الرّماح اللُّدن

شَهيد المُروءةِ كان البقيعُ ... أحقَّ به من تُراب اليَمن

فهـل غسّلوه بدمعِ العُفاةِ ... وفى كلِّ قلبٍ حزينٍ سكن

لقد أغْرَقَ ابنك صرفُ الزمانِ ... وأغرقْتَ أبنـاءه بالمِنن

أتذكُر إذ هو يَطوى الشُّهورَ ... وإذ هو كالخَشْفِ (حلوٌ) أغن[1]

وإذ هو حولَك حسنُ القصورِ ... وطِيبُ الرِّياض وصَفو الزمَن

بشاشتُه لذةٌ فى العيون ... ونَغمتُه لذةٌ فى الآذن

يلاعِب طُـرَّته فى يَدَيْك ... كما لاعبَ المهرُ فضل الرسن

وإذ هو كالشِّبل يَحكى الأسودَ ... أدلّ بمخْلبِـه وافتَـتَن[2]

فشبَّ فقامَ وراءَ العـرين ... يشُبّ الحروبَ ويُطفى الفِتَن[3]

فما بالُه صار فى الهامدين ... وأمسى عفاءً كأن لم يكن

نظمتُ الدمـوعَ رثاءً له ... وفصّلتُها بالأسى والشَّجَن

---

(١) الخشف (مثلثة الخاء) : ولد الظبى . والأغن : الذى يخرج صوته من خياشيمه . وهذا كناية عن ميعة الشباب .

(٢) الشبل : ولد الأسـد إذا أدرك الصيد . وأدل بمخلبه ، أى تباهى به وتخايل على أقرانه .

(٣) العرين : بيت الأسد . ويشب الحروب : يوقدها .

عبد الله بك الطوير (*)

يا قلبُ ويحك والمودَّةُ ذِمّةٌ ... ماذا صنعتَ بعهدِ (عبد الله)
جاذبْتَنى جَنْبى عَشِيّةَ نَعيِهِ ... وخَفَقْتَ خفقَةَ مُوجَعٍ أوّاه(١)
ولو آنَّ قلبًا ذابَ إثْرَ حَبيبِه ... لَهَوَى بك الركنُ الضعيف الواهى
فعليكَ من حُسنِ المُروءةِ آمرٌ ... وعليكَ مِن حُسنِ التَّجَلُّدِ ناه
نَزل « الطُّوير » فى التراب منازلاً ... تَهْوِى المكارمُ نحوها بِشِمَاه
عَرَصَاتُها مَمْطُورَةٌ بمدامعٍ ... مَوْطُوءَةٌ بمَفَارِقٍ وجِبَاه
لولا يمينُ الموتِ فوقَ يمينِه ... فيها لفاضَت من جَنًى ومياه(٢)

***

يا كابرًا من كابرينَ وطاهرًا ... مِن آلِ طُهرٍ عارفٍ بالله
ومُحكَّمًا عَلِمَ القضاءُ مكانَه ... فى المُقسطينَ الجِلَّةِ الأنزاه(٣)
وحكيمًا اسْتَعصَتْ أَعِنَّتُه على ... كَذِبِ النَّعيم وتُرَّهاتِ الجاه
وأخًا سقَى الإخوانَ مِن (راووقه) ... بِودادِ لا صِلفٍ ولا تيَّاه(٤)

(*) المرحوم عبد الله بك الطوير ، كان أحد رجال القانون فى مصر . وقد توفى سنة ١٩١٥ .

(١) خفق القلب : اضطرب فى موضعه . والأواه : كثير التأوه ، وفى القرآن الكريم « إن إبراهيم لأواه حليم » .

(٢) اليمين ، يراد بها هنا القوة . والجنى الثمار .

(٣) المقسطين ، أى العادلون . والجلة (بكسر الجيم) : قوم سادة عظماء ذوو أخطار والأنزاه : جمع نزه ، وهو العفيف المتكرم .

(٤) الراووق : المصفاة ، كالباطية ونحوها من الآنية التى يوضع فيها المشروب . والصلف : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

قد كان شِعرى شغلَ نفسك فافترح ... من كلِّ (جائلةٍ) على الأفواه

أنزلت منه حين فاتكَ جَمعُه ... فى مَنزلٍ بَهِجٍ بنورِكَ زاه

فاقرأ على « حسّان » منه لعلّه ... بفَتاه فى مَدْح الرسولِ مُباه[1]

وانزل بنور الخلدِ جَدَّك واتصل ... بملائكٍ من آلهِ أشباه[2]

ناعيكَ ناعِى حاتمٍ أو جعفرٍ ... فالناسُ بين نوازلٍ ودَوَاهِ[3]

---

(١) حسان : هو ابن ثابت ، شاعر الرسول صلوات الله عليه .

(٢) جدك : منصوب على نزع الخافض ، أى انزل على جدك . وكان الفقيد منسوبا لآل البيت النبوى .

(٣) حاتم : هو الطائى المشهور بالكرم . وجعفر ، لعله يقصد به جعفرا البرمكى أو عبد الله بن جعفر أحد أجواد العرب فى العصر الأموى . والمقصود تشبيه الفقيد فى كرمه بهذين الرجلين ، اللذين ضرب المثل بكرمهما .

سعد باشا زغلول (*)

شَيعوا الشمسَ ومالوا بضُحاها ... وانحنَى الشرقُ عليها فبكاها
ليتَنى فى الركْبِ لمَّا أفلتْ ... (يُوشعٌ) هَمَّت فنادَى فثناها (١)
جَلَّلَ الصبحَ سَوادًا يومُها ... فكأنَّ الأرضَ لم تَخْلَع دُجاها (٢)
انظروا تَلْقوا عليها شَفَقًا ... من جِراحاتِ الضَّحايا ودِماها
وتَرَوْا بَينَ يديها عَبرَةً ... من شهيدٍ يقطُرُ الورد شَذَاها
آذنَ الحقُّ ضحاياها بها ... ويحه !! حتى إلى الموتَى نَعاها

***

كفَّنُوها حُرَّةً علْوِيَّةً ... كَستِ الموتَ جلالًا وكساها
مِصرُ فى أكفانِها إلا الهُدى ... لحمةُ الأكفانِ حقٌّ وسُداها (٣)
خطَرَ النَّعشُ على الأرضِ بها ... يَحْسِرُ الأبصارَ فى النعشِ سَناها (٤)
جاءها الحقُّ ومن عاداتها ... تؤثِرُ الحقَّ سبيلا واتّجاها (٥)
مادَرتْ مِصرُ بدفنٍ صُبِّحتْ ... أم على البعثِ أفاقتْ من كَراها
صَرختْ تحسبُها بنتَ الثَّرى ... طَلَبتْ من مخْلَبِ الموتِ أباها (٦)
وكأنَّ الناسَ لمَّا نَسلوا ... شُعَبُ السَّيْلِ طَغتْ فى مُلتقاها

(*) زعيم مصر الخالد سعد باشا زغلول المتوفى سنة ١٩٢٧ .

(١) يوشع : أحد أنبياء بنى إسرائيل ، دعا الله أن يؤجل له الغروب فأجابه ونفى الشمس عن غروبها .

(٢) جلل الصبح : كساه وغطى ضوءه .

(٣) اللحمة : ما سدى به الثوب . والسدى ضد اللحمة .

(٤) يحسر الأبصار ، أى يردها كليلة ضعيفة .

(٥) الحق الأول ، يقصد به الموت . والحق الثانى ، يقصد به العدل .

(٦) بنت الثرى : أنثى الأسد .

وضعوا الراحَ على النعشِ كما ... يلمسون الركنَ فارتدَّت نزاها

خفَضوا فى يوم (سعدٍ) هامَهم ... و(بسعدٍ) رَفعوا أمسِ الجِباها

***

سائلوا «زحلةَ» عن أعراسها ... هل مَشى الناعى عليها فَمحاها (١)

عَطّلَ المُصطافَ من سُمّارِه ... وجَلا عن ضِفّة الوادى دُماها (٢)

فتحَ الأبوابَ ليلًا (دَيرُها) ... وإلى (الناقوسِ) قامت بَيْعتاها

صدَع البرقُ الدّجَى تنشُره ... أرضُ (سوريا) وتطويه سَماها (٣)

يَحمِلُ الأنباءَ تَسرِى مَوهِنًا ... كعوادى الثكلِ فى حَرِّ سُراها (٤)

عَرَضَ الشكُّ لها فاضْطَرَبَتْ ... تَطَأُ الآذانَ هَمسًا والشِّفاها

قلتُ ياقوم اجمعوا أحلامَكم ... كلُّ نفسٍ فى وَرِيدَيْها رَداها (٥)

***

ياعدوَّ القيـــدِ لم يلْمَحْ له ... شبَحًا فى خطّةٍ إلا أباها

لايضِقْ ذَرعُكَ بالقيدِ الذى ... حَزَّ فى سُوق الأوالى وبَراها

وقعَ الرُّسلُ عليه والْتَوَتَ ... أرجلُ الأحرارِ فيه فعَفاها

يارُفاتًا مِثل رَيحان الضُّحى ... كلَّلَتْ (عدنٌ) بها هامَ رُباها (٦)

---

(١) يشير البيت إلى أن أمير الشعراء وقت نعى الفقيد كان يصطاف فى زحلة إحدى مصايف لبنان.

(٢) السمار: جمع سامر، وهم إخوان الحديث فى المساء. والضفة من النهر ومن الوادى: الجانب. الدمى: جمع دمية، وهى الصورة يعملها المثال من الرخام.

(٣) صدع: شق وقطع.

(٤) الموهن: نصف الليل أو بعده بنحو ساعة.

(٥) الوريدان: مثنى الوريد، أحد شرايين الجسم.

(٦) عدن: الجنة. وهام رباها، أى رؤوس ربواتها. والربوات: الأمكنة المرتفعة فيها.

وبقايا هيكلٍ من كرمٍ وحياة أترعَ الأرضَ حَياها (١)
ودَّعَ العـــدلُ بها أعلامَه وبكتْ أنظِمةُ الشورى صُوَاها (٢)
حَضَنَتْ نعشَكَ والتفَّتْ به رايةٌ كنتَ من الذل فِداها
ضمَّت الصَّدرَ الذى قد ضمَّها وتلقَّى السهمَ عنها فَوقاها
عَجبى مِنها ومن قائدها كيفَ يَحمى الأعزلُ الشيخُ حِماها

***

مِنبرُ الوادى ذَوَتْ أعوادُه مِن أواسيها وجَفَّتْ مِن ذُراها
مَنْ رَمَى الفارسَ عن صَهْوتها ودَها الفُصحَى بما ألجَمَ فاها؟
قَدرٌ بالمُدنِ ألْوَى والقُرَى ودَها الأجْبالَ منه مادَهَاها
غال (بسطورا) وأردى عصبةٌ لمست جرثومةَ الموتِ يداها
طافت الكأسُ بساقى أمَّةٍ مِن رَحيقِ الوطنياتِ سقاها
عطِلت آذانُها منْ وَترٍ ساحرٍ رَنَّ مَليًّا فشَجَاها
أرغُنٌ هامَ به وِجْدانُها وأذانٌ عشِقتْهُ أُذُناها
كلَّ يومٍ خطبــةٌ روحيَّةٌ كالمزامير وأنغامِ لُغاها
دَلَّهتْ مصرًا ولو أنَّ بها فلواتٍ دلَّهت وَحْشَ فَلاها
ذَائدُ الحقِّ وحامى حَوْضه أنفذَتْ فيه المقاديرُ مناها
أخذَتْ (سعدًا) من (البيت) يَدٌ تأخذُ الآسادَ من أصلِ ثَراها
لو أصابَت غيرذى رُوحٍ لَمَا سَلِمَت منها الثُّرَيَّا وسُهاها
تتحــدَّى الطبَّ فى قفازها عِلةُ الدهر التى أعْيَا دواها

---

(١) أترع : ملأ . والحيا : المطر .
(٢) الصوى : جمع صوة ؛ بضم الصاد ، وهى حجر يوضع فى الطريق كعلامة يهتدى بها .

مِن وَراءِ الأذنِ نالتْ ضَيْغَمًا لم يَنَلْ أقرانَه إلاّ وِجاها
لم تُصارِحْ أصرحَ الناس يدًا ولسـانًا ورُقادا وانتباها

***

هذه الأعوادُ من آدمَ لم يَهْدِ خُفَّاها ولم يعْرُ مطاها
نقلتْ (خُوفو) ومالتْ (بِمنا) لم يفُتْ حيًّا نَصيبٌ من خطاها (١)
تَخلُطُ العُمْرينِ شيبًا وصبًا والحياتَينِ شَقاها ورفَاها
زَوْرقٌ فى الدَّمْعِ يطْفُو أبدًا عرَفَ الضِّفَّةَ إلا ما تلَاها
تهلَع الثكلى على آثارِه فإذا خَفَّ بها يوما شَفاها

***

تَسْكُبُ الدمعَ على (سعدٍ) دمًا أمةٌ من صخرةِ الحقِّ بناها
من لَيانٍ هو فى يُنبوعِها وإباءٍ هو فى صُم صفاها
لُقِّنَ الحقَّ عليه كهْلُها واستَقَى الإيمانَ بالحقِّ فَتاها
بَذَلتْ مالاً وأمْنًا ودمًا وعلى قائدِها أُلْقَتْ رجاها
حمَّلتْه ذِمَّةً أوفَى بها وابْتلتْه بحقوقٍ فقضاها
ابنُ سبعينَ تلقّى دونَها غُربةَ الأسرِ ووَعثاءَ نَواها (٢)
سفرٌ مِن عَدَن الأرضِ إلى منزلٍ أقربُ منه قُطْباها
قاهرٌ ألقَى به فى صخْرةٍ دَفَعَ النَّسْرَ إليها فأواها
كرهت منزلها فى تاجِه دُرّة فى البحرِ والبرّ نفاها
اسألوها واسألوا شانِئَها لِمَ لم يَنفِ من الدُّرِّ سواها ؟
ولد الثورةَ سعدٌ حُرّةً بحياتَىْ ماجدٍ حُرٍّ نماها

---

(١) خوفو ، ومنا : من ملوك مصر الفراعنة .
(٢) الوعثاء : الطريق العسر أو المشقة .

ما تمنَّى غيرَها نسلاً ومَنْ ... يلِد الزهراءَ يَزْهَدْ فى سواها

سالَتْ الغابةُ من أشبالها ... بين عَيْنَيْه وماجَتْ بلَبَاها (١)

بارك اللهُ لها فى فَرْعِهـا ... وقضَى الخيرَ لِمصرٍ فى جَناها

أوَ لم يكتُب لها دُستورَها ... بالدمِ الحرِّ ويَرْفَعْ مُنتَداها؟ (٢)

قد كتبناها فكانت صورةً ... صَدْرُها حقٌّ وحقٌّ مُنتهاها

رَقَـدَ الثائرُ إلا ثورةً ... فى سبيل الحق لم تخمَدْ جُذاها

قد تولاّها صبيًّا فكَوَتْ ... راحتَيْـه وفَتِيًّا فرعاها (٣)

جالَ فيها قلمًا مُستنهضًا ... ولِسانًا كلما أعيَتْ حدَاها (٤)

ورمَى بالنفس فى بُركانها ... فتلقَّى أوّلَ الناس لَظَاها

أعلِمتم بعد (موسى) من يَدٍ ... قَذَفت فى وجه (فِرْعَوْنَ) عصاها؟ (٥)

وطِئت نادبةً صارخـةً ... شاهَ وجهُ الرِّقِّ ياقوم وشاها (٦)

ظفرت بالكبْر من مُستكبرٍ ... ظافر الأيام منصور لِواها

القَنا الصُّمُّ نَشاوَى حَـوْلَهُ ... وسيوفُ الهندِ لم تَصْحُ ظُباها

***

أيْنَ مِن عينىَّ نفسٌ حُرّةٌ ... كنتُ بالأمسِ بعينىَّ أراها ؟

كلما أقبلتُ هَزَّتْ نفسها ... وتَوَاصى بِشرُها بى ونَداها

---

(١) اللبا : جمع لباة ، كقطاة .

(٢) المنتدى : البرلمان .

(٣) يشير إلى عمل سعد باشا فى الثورة العرابية وهو فى مقتبل شبابه .

(٤) أعيت : تعبت . حداها ، من قولهم : حدا الإبل ، أى ساقها وزجرها .

(٥) إشارة إلى تحدى موسى لفرعون وسحرته بالعصا ، فكانت كما ورد فى القرآن : « تلقف ما يأفكون » .

(٦) شاه وجه الرق : أى قبح .

وجرى الماضى فماذا اذكرت ... وادّكارُ النفسِ شىءٌ من وَفاها

ألمح الأيامَ فيها وأرى ... من وراء السنّ تمثال صِباها

لستُ أدرى حين تَنْدَى نضرةً ... علّت الشّيْبَ أم الشّيْبُ عَلاها

حلّت السبعون فى هيكلها ... فتداعى وهْى موفورٌ بِناها

روعةُ النادى إذا جدّتْ فإن ... مَزحت لم يُذهِب المزحُ بهاها

يظفَر العذرُ بأقصى سُخْطِها ... ويَنالُ الودُّ غاياتِ رِضاها

ولها صبرٌ على حُسّادها ... يُشبه الصّفْحَ وحِلمٌ عن عِداها

لستُ أنسَى صفحةً ضاحكةً ... تأخذ النفسَ وتجرى فى هواها

وحديثاً كرِوايات الهوى ... جدّ للصّبّ حنينٌ فرواها

وقناة صَعدة لو وُهِبتْ ... للسّماك الأعزلِ اختالَ وتاها (١)

أين منّى قلمٌ كنتُ إذا ... سمتُه أن يَرثِىَ الشمسَ رثاها ؟

خانَنى فى يومِ (سعدٍ) وجَرى ... فى المَرائى فكَبا دونَ مَداها

فى نعيم الله نفسٌ أوتيتْ ... أنعُمَ الدنيا فلم تَمْسَ تُقَاها

لا الحجَى لما تَناهَى غَرّها ... بالمقاديرِ ولا العِلمُ زَهاها

ذهبَتْ أوّابةً مؤمنةً ... خالصًا من حيرةِ الشكِّ هُداها

آنَسَتْ خَلْقًا ضعيفًا ورأتْ ... من وراءِ العالَمِ الفانى إلهها

ما دعاها الحقُّ إلا سارَعتْ ... لَيْتَهُ يومَ « وصيف » مادعاها (٢)

---

(١) القناة : الرمح . والصعدة : هى التى نبتت مستوية ، فلا تحتاج لتثقيف . والسماك : ما ارتفع به الشىء . والأعزل : نجم فى السماء . يقول : إن له قواما لو منح للنجم المرتفع فى السماء لاختال به .

(٢) وصيف : يقصد مسجد وصيف ، وهى القرية التى توجد فيها ممتلكات الزعيم ، والتى قضى بها .

الشاعر الموسيقى فردى(*)

فتى العَقلِ والنّغمةِ العاليه ... مضى ومحاسِنُه باقيه
فلا سُوقةٌ لم تكنْ أنسَه ... ولا مَلِكٌ لم تزِن ناديه
ولم تَخْلُ مِن طِيبها بَلدةٌ ... ولم تَخلُ مِن ذِكرِها ناحيه
يكادُ إذا هو غَنّى الورى ... بقافيةٍ يُنطِقُ القافيه
يَتيه على الماسِ بَعضُ النُّحاس ... إذا ضَمّ ألحانَه الغاليه
وتَحكُم فى النفسِ أوتارُه ... على العُودِ ناطقةً حاكيه
وتَبلغ موضعَ أوطارِها ... وتُفشى سريرتَها الخافيه
وكم آيةٍ فى الأغانى لهُ ... هى الشمسُ ليس لها ثانيه
إذا ما تَنادى بها العارِفون ... قُل البرق والرعد مِن غاديه
فإن هَمسوا بعدَ جَهرٍ بها ... تخفّقُ الحُلِىِّ على الغانيه
لقد شابَ (فردى) وجازَ المشيب ... و (عيدا) شَبِيبتُها زاهيه (١)
تمثّل مِصرَ لهذا الزمانِ ... كما هى فى الأعصر الخاليه
ونذكر تلك الليالى بها ... ونَنْشُد تلك الرؤى الساريه
ونَبكى على عِزّنا المُنقَضى ... وننْدُبُ أيامَنا الماضيه
فيا آل (فردى) نعزّيكمُ ... ونبكى مع الأسرةِ الباكيه
فقدْنا بمفقودِكم شاعِرا ... يقلُّ الزّمانُ له راويه

(*) الشاعر الموسيقى فردى أحد أعلام إيطاليا العالمين ، وقد توفى سنة ١٩٠١ .
(١) عيدا : رواية تمثيلية للقيد .

إسماعيل أباظه باشا (*)

سقى الله (بالكفر الاباظى) مضجعا ... تضوّع كافورًا من الخلد ساريا

يطيب ثرى (بردين) من نفح طيبه ... كأنّ ثرى (بردين) مسّ الغواليا (١)

فيا لكَ غمدًا من صفيح وجندلٍ ... حوى السّيفَ مصقولَ الغرار يمانيا (٢)

وكنا استللنا فى النّوائب غربه ... فلم يُلْفَ هيابًا ولم يُلْفَ نابيا (٣)

إذا اهتزّ دون الحقّ يحمى حياضه ... تأخّر عنها باطلُ القومِ ظاميا

طوته يدٌ للموت لا الجاهُ عاصمًا ... إذا بطشتْ يومًا ولا المالُ فاديا

***

تنالُ صِبا الأعمار عند رفيقه ... وعند جفوفِ العُود فى السنّ ذاويا

وبعضُ المنايا تُنزلُ الشُّهدَ فى الثرى ... ويحططْن فى التُّرب الجبالَ الرواسيا

***

يقولون يرثى الراحلين فويحهم ... أأمّلتُ عند الراحلين الجوازيا ؟

أبوْا حسدًا أنْ أجعلَ الحىّ أسوةً ... لهم ومثالًا قد يُصادفُ حاذيا

فلما رثيْتُ الميتَ أقضى حقوقَه ... وجدتُ حسودًا للرُّفاتِ وشانيا

إذا أنت لم تَرْعَ العُهودَ لهالكٍ ... فلستَ لحىٍّ حافظَ العهد راعيا

فلا يطوِيَنَّ الموتُ عهدَك من أخٍ ... وهَبْه بوادٍ غير واديك نائيا

أقام بأرضٍ أنت لاقيه عندَها ... وإن بِتُّما تستبعدان التّلاقيا

(*) إسماعيل أباظه باشا ، أحد سراة الزعماء فى البلاد المصرية ، كان صاحب الصوت المتبوع فى الجمعية التشريعية . وقد توفى سنة ١٩٢٧ بعد أن ترك خلفه تاريخا حافلا بالمواقف الوطنية المحمودة .

(١) بردين : قرية الفقيد ، وهى من أعمال مديرية الشرقية . والغوالى : جمع غالية : المسك

(٢) الغرار من السيف حده .

(٣) غرب السيف : حده أيضا . ونابى : كليل لا يقطع .

***

رثيتُ حياةً بالثناءِ خليقةً ... وحَلّيتُ عهدًا بالمفاخِرِ حاليا

وعزّيتُ بيتًا قد تبارتْ سماؤُه ... مَشايخَ أقمارًا ومُرْدًا دراريا(١)

إلى الله (إسماعيلُ) وانزل بساحةٍ ... أَظَلَّ النَّدَى أقطارَها والنّواحِيا

ترى الرحمةَ الكُبرى وراءَ سمائها ... تلفُّ التُّقى فى سَيْبِها والمعاصيا

لدَى ملِكٍ لا يمنَع الظِّلَّ لاذِيًا ... ولا الصَّفْح تَوّابًا ولا العَفْو راجيا

وأُقسمُ كُنتَ المرءَ لم ينْسَ دِينَه ... ولم تُلْهه دُنياؤُه وهْى ماهيا

وكنتَ إذا الحاجاتُ عَزَّ قضاؤُها ... لحاج اليتامى والأرامل قاضيا(٢)

وكنتَ تُصلّى بالملوكِ جماعةً ... وكنت تقُوم الليلَ بالنفس خاليا

ومَن يُعْطَ مِن جاهِ الملوكِ وَسِيلةً ... فلا يَصْنعُ الخيراتِ لم يُعْطَ غاليا

وكنت الجرىءَ النَّدْبَ فى كلِّ موقفٍ ... تَلفَّتَ فيه الحقُّ لم يَلْقَ حاميا(٣)

بَصُرتُ بأخلاقِ الرجالِ فلم أجِدْ ... وإنْ جلَّت الأخلاقُ للعَزْم ثانيا

مِن العزمِ ما يُحيِي فُحُولًا كثيرةً ... وقدَّمَ كافورَ الخَصِيَّ الطَّوَاشِيَا

وما حَطَّ من ربِّ القصائد مادِحًا ... وأَنْزَلَهُ عن رُتْبةِ الشِّعر هاجيا

فليس البيانُ الهجْوَ إنْ كُنتَ ساخِطًا ... ولا هو زُورُ المدحِ إن كنتَ راضيا

ولكِنْ هُدى الله الكريم ووَحيه ... حَمَلْتَ به المصباحَ فى الناسِ هادِيا

تُفيضُ على الأحياء نورًا وتارةً ... تُضيءُ على الموتَى الرِّجامَ الدَّواجيا(٤)

هَياكِلُ تَفْنَى والبيانُ مُخلَّدٌ ... ألَا إنَّ عِتْقَ الخَمْر يُنْسى الأوانيا

---

(١) يشبه شيوخ الأسرة الأباظية بالأقمار ، وشبابها المرد بدرارى النجوم . على حين أن هذه الأقمار والنجوم تتبارى فى الإشعاع والإضاءة .

(٢) حاج : جمع حاجة .

(٣) الندب : الخفيف عند الحاجة إليه .

(٤) الرجام : القبور — والدواجى — جمع داجية : المظلمة .

***

ذهبْتَ (أبا عبدِ الحميد) مُبَرَّءًا ... من الذَّام محمودَ الجوانب زاكيا[١]

قليلَ المساوى فى زمانٍ يَرى العُلا ... ذُنوبا وناسٍ يخلقُون المَساويا

طَوَيْناك كالماضى تَلقّاه غِمْده ... فلم تَسْتَرِحْ حتى نَشَرناك ماضيا[٢]

فكنت على الأفواه سيرةَ بجملٍ ... وكنتَ حديثًا فى المسامع عاليا

وفيتَ لمن أدناكَ فى الملك حِقْبةً ... فكانَ عَجيبًا أنْ يَرى الناسُ وافيا

أثارُوا على آثارِ مَوْتِكَ ضَجَّةً ... وهاجُوا لنا الذِّكرى ورَدّوا اللَّياليا

ومَنْ سابق التاريخ لم يأمَن الهوى ... مُلجًّا ولم يَسْلَمْ منَ الحقد نازيا[٣]

إذا وضَعَ الأحياءُ تاريخ جِيلهمْ ... عَرَفتَ المُلاجى مِنْهُمو والمُحابيا

***

إذا سلم الدُّستورُ هان الذى مضى ... وهانَ من الأحداثِ ما كان آتيا[٤]

ألا كلُّ ذنْب لِلّيالى لأجله ... سدَلْنا عليه صَفْحنا والتَّناسيا[٥]

---

(١) زاكيا : أى ناميا مباركا .

(٢) الماضى ، فى أول البيت : السيف ، وفى آخره : من الزمن الماضى .

(٣) نازيا ، أى وائبا . والملج : المتمادى فى الخصومة .

(٤) الأحداث : نوازل الأيام .

(٥) سدلنا عليه الصفح : أى سجينا على كل الذنوب إعراضنا وسترناها بغفراننا .

تم الجزء الثالث

فهرس

الجزء الثالث

من الشوقيات

صفحة

٣ سليمان باشا أباظه ، مطلعها :
من ظن بعدك أن يقول رثاء فليرث من هذا الورى من شاء

٥ مصطفى باشا فهمى ، مطلعها :
يأيها الناعى أبا الوزراء هذا أوان جلائل الأنباء

٩ أبو هيف بك ، مطلعها :
اجعل رثاءك للرجال جزاء وابعثه للوطن الحزين عزاء

١٢ مولانا محمد على ، مطلعها :
بيت على أرض الهدى وسمائه الحق حائطه وأس بنائه

١٤ سيد درويش ، مطلعها :
كل يوم مهرجان كللوا فيه ميتا برياحين الثناء

١٧ عمر المختار ، مطلعها :
ركزوا رفاتك فى الرمال لواء يستنهض الوادى صباح مساء

٢٠ عبد الحليم العلايلى بك ، مطلعها :
لقد لبى زعيمكم النداء عزاء أهل دمياط عزاء

٢٢ حافظ إبراهيم ، مطلعها :
قد كنت أوثر أن تقول رثائى يا منصف الموتى من الأحياء

٢٦ محمد تيمور ، مطلعها :
ضربوا القباب على اليباب وثووا إلى يوم الحساب

٢٩ يعقوب صروف ، مطلعها :
سماؤك يا دنيا خداع سراب وأرضك عمران وشيك خراب

٣٣ حسين شرين بك ، مطلعها :
أرأيت زين العابدين مجهزا نقلوه نقل الورد من محرابه

٣٦ محمد عبد المطلب ، مطلعها :
قم من علته الشاكى الوصب وتاقى راحة الدهر التعب

٢٨ يرثى جدته ، مطلعها :
خلقنا للحياة وللممات ومن هذين كل الحادثات

صفحة

٤١ محمد عبده ، مطلعها :

مفسر آى الله بالأمس بيننا قم اليوم فسر للورى آية الموت

٤٢ رياض باشا ، مطلعها :

نمات فى المواكب أم حياة ونعش فى المناكب أم عظات

٤٩ عثمان باشا غالب ، مطلعها :

ضجت لمصرع (غالب) فى الأرض (مملكة النبات)

٥١ عبد الحى ، مطلعها :

طوى البساط وجفت الأقداح وغدت عواطل بعدك الأفراح

٥٣ محمد ثابت باشا ، مطلعها :

سر أبا صالح إلى الله واترك مصر فى مأتم وحزن شديد

٥٥ محمد فريد بك ، مطلعها :

كل حى على المنية غادى تتوالى الركاب والموت حادى

٥٩ البنون والحياة الدنيا ، مطلعها :

الضلوع تتقد والدموع تطرد

٦٢ ثروت باشا ، مطلعها :

يموت فى الغاب أو فى غيره الأسد كل البلاد وساد حين تتقد

٦٦ عبد العزيز جاويش ، مطلعها :

أصاب المجاهد عقبى الشهيد وألقى عصاه المضاف الشريد

٦٩ تعزية ورثاء ، مطلعها :

كأس من الدنيا تدار من ذاقها خلع العذار

٧١ ذكرى هيجو ، مطلعها :

ما جل فيهم عيدك المأثور إلا وأنت أجل يا فكتور

٧٣ عبده الحمولى ، مطلعها :

ساجع الشرق طار عن أوكاره وتولى فن على آثاره

٧٦ قاسم بك أمين ، مطلعها :

يأيها الدمع الوفى بدار تقضى حقوق الرفقة الأخيار

صفحة

٨٠ تولستوى ، مطلعها :

(تولستوى) تجرى آية العلم دمعها عليك ويبكى بائس وفقير

٨٣ عمر بك لطفى ، مطلعها :

قفوا بالقبور نسائل عمر متى كانت الأرض مثوى القمر

٨٥ عمر بك لطفى ، مطلعها :

اليوم أصعد دون قبرك منبرا وأقلد الدنيا رثاءك جوهرا

٨٨ الأميرة ، مطلعها :

حلفت بالمستره والروضة المعطره

٩١ ذكرى مصطفى كامل ، مطلعها :

لم يمت من له أثر وحياة من السير

٩٤ المنفلوطى ، مطلعها :

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك فى عصف الرياح الناعى

٩٧ عاطف بركات باشا ، مطلعها :

خفضت لعزة الموت اليراعا وجد جلال منطقه يراعا

١٠١ المويلحى ، مطلعها :

كاتب محسن البيان صناعه استخف العقول حينا يراعه

١٠٤ إسماعيل باشا صبرى ، مطلعها :

أجل وإن طال الزمان موافى أخلى يديك من الخليل الوافى

١١٠ فوزى العزى ، مطلعها :

جرح على جرح حنانك جلق حملت ما يوهى الجبال ويزهق

١١٤ كريمة البارودى ، مطلعها :

أحيث تلوح المنى تأفل كفى عظة أيها المنزل

١١٦ فتحى ونورى ، مطلعها :

انظر إلى الأقمار كيف تزول وإلى وجوه السعد كيف تحول

١٢١ على باشا أبو الفتوح ، مطلعها :

ما بين دمعى المسيل عهد وبين ثرى على

صفحة

١٢٥ جورجى زيدان ، مطلعها :

ممالك الشرق أم أدراس أطلال وتلك دولاته أم رسمها البالى

١٢٨ شهداء العلم والغربة ، مطلعها :

ألا فى سبيل الله ذاك الدم العالى وللمجد أبقى من المثل العالى

١٣٢ سعيد بك زغلول ، مطلعها :

(آل زغلول) حسبكم من عزاء سنة الموت فى النبى وآله

١٣٤ أمين بك الرافعى ، مطلعها :

مال أحبابه خليلا خليلا وتولى اللدات إلا قليلا

١٣٨ الشيخ سلامة حجازى ، مطلعها :

يا ثرى النيل فى نواحيك طير كان دنيا وكان فرحة جيل

١٤٠ أدهم باشا ، مطلعها :

مصاب بنى الدنيا عظيم (بأدهم) وأعظم منه حيرة الشعر فى ثمى

١٤٢ عثمان باشا الغازى ، مطلعها :

هالة للهلال فيها اعتصام كيف حامت حيالها الأيام

١٤٤ بطرس باشا غالى ، مطلعها :

قبر الوزير تحية وسلاما الحلم والمعروف فيك أقاما

١٤٦ يبكى والدته ، مطلعها :

إلى الله أشكو من عوادى النوى سهما أصاب سويداء الفؤاد وما أصمى

١٥٠ الملك حسين ، مطلعها :

لك فى الأرض والسماء مآتم قام فيها أبو الملائك هاشم

١٥٤ يرثى أباه ، مطلعها :

سألونى لم لم أرث أبى ورثاء الأب دين أى دين

١٥٧ مصطفى كامل باشا ، مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان قاصيهما فى مأتم والدانى

١٦١ حسن بك أنور ، مطلعها :

تسائلنى (كرمتى) بالنهار وبالليل : أين سميرى (حسن) ؟

صفحة
١٦٣ أم المحسنين ، مطلعها :
أخـذت نعشك مصر باليمين وحوته من يد الروح الأمين
١٦٦ الدكتور أحمد فؤاد ، مطلعها :
أوحت لطرفك فاستهل شئونا دار مررت بها على قيسونا
١٦٩ نجل إمام اليمن ، مطلعها :
مضى الدهر باين إمام اليمن وأودى بزين شباب الزمن
١٧٢ عبد الله بك الطوير ، مطلعها :
ياقلب ويحك والمودة ذمة ماذا صنعت بعهد عبد الله
١٧٤ سعد باشا زغلول ، مطلعها :
شيعوا الشمس ومالوا بضحاها وانحنى الشرق عليها فبكاها
١٨٠ الشاعر الموسيقى فردى ، مطلعها :
فتى العقل والنغمة العاليه مضى ومحاسنه باقيه
١٨١ إسماعيل أباظه باشا مطلعها :
سقى الله بالكفر الأباظى مضجعا تضوع كافورا من الخلد ساريا

إيضاح لا بد منه

للأستاذ محمود أبو الوفا

حين طلب إلىّ أن أشرف على طبع هذا الجزء من « الشوقيات » لم يكن فى الوقت متسع لإخراجه على كل ما كنت أتوق له من ضبط وشرح وتعليق ، فقد كان الاتفاق بين الناشر والمطبعة قد تم على إنجازه فى عشرين يوما لا تزيد ، ولقد كان لزاما علىّ أن أكون أداة إنجاز لا أداة تعويق .

لهذه الاعتبارات رأيت أن أسير فى العمل على الوجه الآتى :

(أولا) ترك الشرح والضبط كلما أمن اللبس ووضح الكلام سواء أكان خوف اللبس من جهة الإعراب أم من جهة النطق بالمفردة اللغوية ، وحيث وجد اللبس فكان لا بد من الضبط أو التعليق أو كليهما .

(ثانيا) رأيت أيضا أن أترك الكلمات التى تستعمل عين الفعل المضارع فيها على وجهين أو ثلاثة بدون شكل مطلقا حيث عدم الخطأ مضمون .

أما الشرح تركته لا لضيق الوقت ومراعاة الاختصار فقط ، بل لأنى أحببت أن لا أتحكم فى ذوق القراء والأدباء وأفرض عليهم فهمى أنا ، فقد يجوز أن يفهم البيت على أكثر من وجه .

وهذا على مافيه من تطويل فهو تمرين للعقول على نوع من الكسل الذهنى أحب أن يتحاشاه كل طابعى الدواوين .

أما بعد ، فكل ما فى هذا الكتاب من خطأ أو من مؤاخذة فهو إلىَّ ، أما ما فيه من فضل فرجعه إلى الأستاذ حسين شوقى .

فإلى ذوقه وحسن تنسيقه يرجع كل ما فى هذا الكتاب من ذوق وجمال .

محمود أبو الوفا

DATE DUE

J. Lib.
25 AUG 1983

FBT L
21 NOV 2011
Circulation Dept 3

JA
30 SEP 2012
Circulation Dept 4

شوقي ،احمد
الشوقيات
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01041800

892.78
Sh5985sA
1950
v.3
c.1